شرح

الدروس المهمة لعامة الأمة

للإمام العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

المتوفى سنة ١٤٢٠هـ

شرحها

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ مُحمَّدًا عبدُه ورسوله، صلّىٰ الله وسلّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فإنّ كتاب: «الدّروس المُهمَّة لعامَّةِ الأمَّة» مؤلّفٌ قيِّمٌ في موضوع غايةٍ في الأهمِّيَّةِ، لإمام علَم وشيخ ناصح ومُربٍّ مُشفِقٍ؛ ألا وهو الإمام العلّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كَتبه نُصحًا لعامَّةِ الأمَّة فيما ينبغي أن يتعلّموه من أمور الدّين؛ عقيدةً وعبادةً وخُلقًا، وقد رتّبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترتيبًا نافعًا ومُفيدًا للغاية، بيَّن فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضروريَّات الدّين، والواجبات المهمَّة المُتحتّم معرفتها علىٰ كلّ مسلم ومسلمةٍ.

ويُعدّ هذا الكتاب منهجًا رصينًا في تعليم العوامِّ، وتلقينهم أمورَ الدّيانةِ، وتعريفِهم بضروريَّاتِه، وما يَجبُ عليهم تعلّمُه من أمور الدّيانة؛ عقيدةً وعبادةً.

والمُستهدَف فيه بالدّرجة الأولىٰ هم العوامُّ، نُصحًا لهم، وتعليمًا لهم لضروريَّات دينهم؛ ولهذا ممَّا أنبِّهُ عليه في طليعة التّعليق علىٰ هذه الرِّسالة؛ أنّ الأسلوبَ في شرحها سيكون أسلوبًا مُبسَّطا سهلًا، بما يتناسب مع من أُلّفَتْ هذه الرِّسالة من أجلهم، وهم: العوامُّ[(١)].

وقد أجاد الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرِّسالة وأفاد، ونصح وأبلغ في النّصيحة، وكانت هذه الرِّسالةُ مَوطِنَ اهتمامه ومحلّ عنايته إلىٰ آخر حياته، ولا أدلّ علىٰ ذلك من أنّ هذه الرِّسالةَ طبِعَتْ في طَبعَتِها الأخيرةِ في العام الّذي توفّيَ فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعليها تعديلاتٌ

(١) وأصل هذا الشّرح دروسٌ ألقَيْتها في مسجد النّبيِّ ﷺ، بلغت: اثني عشر مجلسًا، عُقِدَت في الشّهر الأخير من عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة، أجْرَيْت عليه تعديلاتٍ وإضافاتٍ وتنقيحات، واللهُ وحدَه المُوَفّق.

منه رَحِمَهُ اللَّهُ، سواءً في إضافة بعض الدّروس، أو في الإضافة والتّكميل لبعض الدّروس؛ فقد أضاف بعضَ الدّروس الجديدة، وكمَّل في بعض، وعدّل شيئًا ما في التّرتيب، والمُعتَمَد في شرحي لهذه الرِّسالة هو علىٰ الطّبعة الأخيرة الّتي صَدرَتْ في العام الّذي توفّيَ فيه رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي هذا دلالةٌ علىٰ مكانة هذه الرِّسالة عند الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وعنايتِه بها إلىٰ آخر حياتِه، وأرجو اللهَ أن يكون في هذا الشّرح شيءٌ من الوفاءِ لهذا الإمام الجليل والمساهمةِ في هذا الباب العظيم.

وأسأل اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يَرزُقَنا أجمعين العلمَ النّافعَ والعملَ الصَّالحَ، والتّوفيقَ لما يُحبُّه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال.

وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه(١).



(١) تنبيه: تمّ تقسيم الكتاب إلىٰ مقاطع متناسبة الحجم؛ تسهيلا لمن رغب في قراءته علىٰ جماعة المسجد، ومُيّز كل مقطع بوضع هذه العلامة: ۞ في نهايته.

مُقدّمة

○ قال الشّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم.

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمُتّقِين، وصلّىٰ اللهُ وسلّم علىٰ عبدِه ورسوله نبيِّنَا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ: فهذه كلماتٌ مُوجَزَةٌ في بيان بعض ما يجب أن يعرفَه العامَّةُ عن دين الإسلام، سمَّيتها: «الدّروس المهمَّةُ لعامَّةِ الأمَّة».

وأسأل اللهَ أن ينفَعَ بها المسلمين، وأن يتَقبَّلَها منِّي، إنّه جوادٌ كريمٌ».

الشرح :

○ هذه مُقدّمةٌ بين يدَيْ هذه الرِّسالة، استهلّها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحمدِ الله والثّناءِ عليه ـ جلّ في علاه ـ بما هو أهله، وبيان أنّ العاقبةَ الحميدةَ والمآلَ الكريمَ في الدّنيا والآخرةِ لأهل التّقوىٰ؛ وهُم: المُلازمون لطاعة الله، المُجانِبون لمعاصيه، المُؤتَمرون بأوامرِه، المُنتَهُون عن نوَاهِيه، العاملون لنَيل رضاه والفَوز بكرامته ـ تبارك وتعالىٰ ـ يوم لقاه.

وبالصَّلاةِ والسَّلام علىٰ الرَّسول المُجتَبىٰ والنّبيِّ المُصطَفىٰ؛ خِيرَةِ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ من خَلقِه، وصَفوَةِ عباده، صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه.

ثمَّ بيَّن أنّها مُوجَزَةٌ، ليس فيها طولٌ مُملّ ولا اختصارٌ مُخِلّ، بل فيها إيجاز، وسهولةُ عبارة، واقتصارٌ علىٰ ما يُحقّق المقصودَ ـ بإذن الله ـ تبارك وتعالىٰ.

وخصَّها «في بيان بعض ما يجب أن يعرفَه العَامَّةُ» أي: من واجبات الدّين وضروريَّاتِه، ولا سيَّما ما لا يُعذَرُ المرءُ بجهله، مع بعض المسائل الّتي هي من المُستَحَبَّات وَليسَت منَ الفرائض، لكنّها من الأمور المُهمَّةِ الّتي ينبغي علىٰ عامَّةِ

الأمَّةِ أن يُعنَوْا بها.

وَسمَّاها: «الدّروس المُهمَّة لعامَّة الأمَّة» وهو اسمٌ مُطابِقٌ للمُسمَّىٰ، وعنوانٌ مُوافِقٌ للمعنىٰ الّذي اشتمَلَتْ عليه هذه الرِّسالةُ، فهي رُتِّبَتْ ترتيبًا بديعًا علىٰ هيئة دروس: الدّرس الأوَّل... الثّاني... الثّالث... إلخ.

«المُهمَّة»: أي: الّتي في غاية الأهمِّيَّةِ، ممَّا يحتاجُ إليه عوامُّ المسلمين.

وَنوَّعَ المُصنِّفُ مضامينَ هذه الرِّسالةِ، فبيَّن فيها ما يَتعلّق بجانب الاعتقاد، وما يتعلّق بجانب العبادات، ولا سيَّما المباني الخمسة للإسلام، وبيَّن فيها أيضًا الأخلاقَ الّتي ينبغي أن يتحَلّىٰ بها المسلمُ، وحذّر فيها من كبائر الذّنوب، وعدّد جملةً منها، وحذّر أشدّ التّحذير من الشِّركِ الأكبر النّاقضِ للدّين المُباين للملّةِ؛ فهي رسالةٌ حَوَتْ مضامينَ عظيمةً ومهمَّةً تَمَسُّ حاجةَ عوَامِّ المسلمين إليها.

«وأسأل اللهَ ﷻ أن ينفَعَ بها المسلمين، وأن يتقَبَّلَها منِّي، إنّه جَوادٌ كريمٌ» هذه دعوةٌ عظيمةٌ، جمَعَتْ بين سؤال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ النّفعَ بهذه الرِّسالة، وأن يتقَبَّلَها منه بقَبول حسنٍ.

وَمن فَضل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وَمَنِّه أنّ هذه الرِّسالةَ لاقت قَبولًا واسِعًا؛ فعُقِدَت المجالسُ الكثيرةُ لمُدارَسَتِها، وقرِئَتْ علىٰ كثيرٍ من النّاس في المساجد، مع البيانِ لشيءٍ من مضامينها، واتّخِذَتْ منهجًا في تَعليم العوامِّ وتلقينهم أمورَ الدّيانة، وترجمَتْ إلىٰ كثيرٍ من اللّغاتِ؛ وهذا كلّه من الأمارات عَلىٰ القَبول ـ إن شَاء الله ـ الّذي جعله اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لهذه الرِّسالة.

وَأسأل اللهَ ـ جلّ وعلا ـ أن يَجزِيَ مُؤلّفَها خَيرَ الجَزاء، وَأن يُثقّلَ بها موازينَه يومَ لقاء الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وَأن يَنفَعَنا أجمعين بها، وأسأله ﷻ أن ينفعَ بهذا الشّرح المُسلمين، وأن يتقبَّله منِّي بقبول حَسنٍ؛ إنّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ سَميعٌ قريبٌ مُجيبٌ. ۞



الدرس الأول:
سورة الفاتحة، وقصار السور

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«الدّرس الأوَّل: سورة الفاتحة، وقِصَار السُّور:

سُورة الفاتحة، وما أمكنَ من قصار السُّور؛ من سورة الزِّلزَلة إلىٰ سورة النّاس؛ تلقينًا، وتصحيحًا للقراءة، وتحفيظًا، وشرحًا لما يجبُ فهمُه».

الشرح:

○ هذَا هُو الدّرسُ الأوَّل من: «الدّروس المُهمَّة لعامَّة الأمَّة»، وهو في تعليمهم سورةَ الفاتحة وقصارَ السُّورِ، وَيقترحُ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن يكونَ التّعليمُ لِقصَارِ السُّوَرِ من سورة الزَّلزَلَة إلىٰ سورةِ النّاس، وأنّ هذا القدْرَ كافٍ للعوامِّ لِيُؤَدّوا بها صلاتَهم؛ فرضَها ونَفْلَها، بما في ذلك قيام اللّيل، حتّىٰ لو كرَّرَ السُّورةَ الواحدةَ مُقتَصِرًا عليها في قيامه من اللّيل؛ فعَن قتادة بنِ النّعمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إنّ رجلًا قام في زمنِ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرَأ من السَّحَرِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، لا يزيد عَليها، فلمَّا أصبَحْنا؛ أتىٰ رجلٌ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذَكر ذَلك لَه، وَكأنّ الرَّجُلَ يتقالّها، فَقالَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنّهَا لَتعْدِل ثلثَ القرْآن**»[(١)].

ومما يستأنس به لاختيار الشيخ البدء من الزلزلة ما رواه النسائي في الكبرىٰ[(٢)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال أتىٰ رجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أقْرِئْني يا رسول الله! فقال: «**اقرأ ثلاثا من ذوات (الر)**». فقال: كبِرتْ سِنِّي، واشتدّ قلبي، وغلظ لساني؛ قال: «**فاقرأ ثلاثا من ذوات (حاميم)**». فقال مثل

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٤).

(٢) برقم: (٧٩٧٣)، وأخرجه أبو داود (١٣٩٩).

مقالته. فقال الرجل: يا رسول الله! أقْرِئني سورةً جامعة، فأقرأهُ النبيُّ ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، حتىٰ فرغ منها. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق! لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل، فقال النبي: «**أفْلح الرويجِل**». مرتين.

فإذا اكتفىٰ العامي بحفظ الزلزلة إلىٰ الناس، أو اقتصر علىٰ بعضها؛ فإنه يكفيه، فإن النبي ﷺ قال بشأن هذا الرجل الذي عزم علىٰ الاقتصار علىٰ الزلزلة وحدها: «أفْلح»، فمن حفظها أو زاد عليها بعض قصار السور؛ فهو من المفلحين إن شاء الله.

وَهذه المنهجيَّةِ في التّعليم تشجِّعُ كثيرًا منَ العَوامِّ علىٰ التّعلّم والحفظِ؛ عندما يُقَال له: إنّ القَدْرَ الّذي تحتاج إليه هُوَ هذا القَدر من السُّوَر؛ من الزَّلزلة إلىٰ النّاس، فيَشعُرُ أنّ القَدْرَ الّذي يحتاجُه لإقامةِ عبادَتِه هُوَ هذَا القَدْر اليَسير، فتَعظمُ عنايَته بهذه السُّوَرِ؛ من حَيْث: الحفظ، وَمن حَيث: الفَهمُ لمعَانيها، حتّىٰ تكونَ تلاوته لهذه السُّوَرِ عن فهم لمعَانيها ودرايةٍ بمَدلولها، ولهذَا لو أنّه خُصِّص في المساجد حلقًا لعوامِّ المسلمين يُقتصَرُ فيها علىٰ هذه السُّوَرِ، وَمَنْ أكمَلَها يُقَال له: أكملْتَ ما تحتاجُ إليه، وإذا أردتّ الزِّيادةَ الْتَحقْ بالحلقات الّتي يُحفَظ فيها القرآن كاملًا، رُبَّما أتقَنَ بَعضُهم في شهرٍ، ورُبَّما في شهْرَيْن، بحَسَبِ مَقْدِرَته وحافِظَتِه، فَهذه المَنهجيَّةُ مُهِمَّةٌ بحيث يَستَشْعِرُ العامِّي في جُلوسِهِ أنّ القَدْرَ المطلوبَ منه لَيس قدرًا كبيرًا، وإنّما هِيَ سُوَرٌ قليلةٌ يَتمكّنُ ـ بإذن الله ـ منْ إتقانِها في وقتٍ يسيرٍ.

وَتكونُ الطّريقةُ في تَعليمهَا للعوامِّ علىٰ نَحوِ مَا بَيَّنَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وَهي عَبْر خُطواتٍ أربع:

١ ـ الخطوة الأولىٰ: التّلقين؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**تلقينًا**» أي: يلقّنُهم الإمَامُ أو المُقرِئ أو الحَافظ هَذه السُّوَرَ، آيةً، آيةً؛ فيُكرِّرُ علىٰ مَسامعهم الآيَةَ الأولىٰ مرَّةً ومرَّتَيْن، ثمَّ الثّانية... وَهكَذا، فالقرآن يُؤخَذُ بالتّلقين، فيَسمَعُونَها سماعًا صحيحًا.

٢ ـ ثمَّ بَعد ذَلك يَقرَؤُون ما سَمعوه، وَيقومُ الإمامُ أو المُقرِئُ أو المُحفّظ بتصحيح قراءَتِهم، وَلهذا قَالَ: «**تصحيحًا للقراءَة**».

٣ ـ ثمَّ تأتي بَعد ذَلك المَرحلةُ الثّالثةُ، وَهِيَ: الحفظ؛ فيحفَظ هَذا الّذي تلَقّنَه وَقرأه بين يَدَيِ الشّيخِ وَصَحَّحَ لَه حفظًا صَحيحًا، ويُكرِّرُه حَسبَ الكفاية؛ فَبعضُ النّاس يحتاجُ إلىٰ أن يُكرِّرَ السُّورَةَ خَمسينَ مرَّة أو مئَةً أو مئتَيْن، لتكُون مَحفوظةً عنده حفظًا مُتقَنًا.

٤ ـ ثمَّ تأتي بَعد ذَلك المَرحلةُ الرَّابعَةُ، وَهي: الشّرح لمَا يجبُ فهمُه، وَتفسير معاني هذه السُّوَر، وَبيان مدلولاتِها، بَدءًا من سُورة الفَاتحة، ثمَّ من سورة الزَّلزلة إلىٰ سورة النّاس.

وَإتمامًا للفائدة أعلّق تعليقًا يَسيرًا ببيَان شيءٍ من مَعاني هَذه السُّوَر الّتي ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بدءًا من سُورة الفاتحة، ثمَّ الزَّلزلة إلىٰ سُورة النّاس، بيانًا مُختَصرًا وَتفسيرًا مُوجزًا.



أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

❍ الاستعاذة يُشرَعُ الإتيان بها في كلّ مرَّةٍ يتلو فيها المُسلمُ كتابَ الله ـ تبارك وَتعالىٰ ـ.

وَالاستعاذة: التجاءٌ إلىٰ الله، وَطلبٌ منه ـ تبارك وتعالىٰ ـ أن يُعيذَ عبدَه، وَأن يَقِيَهُ من الشّيطان الرَّجيم.

وَإنّما شُرِعَت الاستعاذةُ بَيْنَ يدَيْ تلاوةِ كتاب الله ﷻ؛ لأنّ الشّيطانَ أشدّ مَا يكون حرصًا علىٰ صَرفِ العَبد عَن هذا الكتاب العَظيم وَالفَوز بهداياته وَالوقوف علىٰ مَعانيه وَمضامينه والتّأثّر به؛ فشُرِعَ للعَبد أن يَستَعِيذَ بالله من هذا الشّيطان حتّىٰ تَكونَ

قراءته لكتابِ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ قراءةً سالمَةً من وَساوس الشّيطان وَهَمْزِه ونَفْخِه، مَحفوظًا بِحفظ الله.

و«**الشّيْطَان**» أي: العَاتِي المُتَمرِّد، الغَاوِي المُغْوِي لعبادِ الله، الصَّادّ لَهم عَن طَاعةِ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

«**الرَّجيم**» أي: المَطرود المُبعَد المَلْعون، الّذي أبعَدَه اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ من رَحمته، ولمَّا كان مُبعَدًا عن الرَّحمةِ أراد أن يُبعِدَ عبادَ الله عنها، فَطلبَ منَ العَبد أن يَستعِيذَ بالله من هَذا الشّيطانِ العاتِي المُتمَرِّد، الّذي يَعمَل عَلىٰ صَرف الإنسان عَن طَاعة الله وَعبادتِه وَالفَوزِ برَحمَتِه ـ جلّ في عُلاه ـ.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ البَسملةُ آيةٌ من كتابِ الله ﷻ، يُؤتَىٰ بها بين يَدي تِلاوة كلّ سورةٍ، عَدا: سُورة براءة.

وَالبَسملةُ: هِي كَلمةُ استعانةٍ بالله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وَمعنىٰ بدءِ التّلاوة بالبسملة: أي أنّ مَنْ يَتلو كتابَ الله يبدأ تلاوتَه مُستَعينًا بالله؛ لأنّ الباء في: «بِسۡمِ ٱللَّهِ» باء الاستعانة، مُتبرِّكًا بذِكْرِ اسمِهِ ـ تَبارَك وَتعَالىٰ ـ.

﴿ٱللَّهِ﴾ عَلَمٌ عَلىٰ الله ﷻ، ومعناه: ذُو الألوهيَّةِ وَالعبوديَّةِ عَلىٰ خَلقِه أجمعين، وَهُوَ دالّ علىٰ ألوهيَّةِ الله: وَهِي أوصافُ الكَمال وَالعَظمةِ وَالجَلال الّتي استَحَقّ بها أن يُؤْلَهَ وَأن يُعبَدَ وأن يُذَلّ لَه ويُخضَع لَه ـ جلّ في عُلاه ـ، وَدالّ عَلىٰ العبوديَّة: وَهِي أفعال العَبد الّتي يَقتَضِيها هَذا الاسمُ؛ من ذُلٍّ، وخضوع، وَانكسارٍ، وَإقبال عَلىٰ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمَانِ مُشتَقّانِ منَ الرَّحمة، دالّان عَلىٰ ثبوتها لله ـ سُبحانَه وَتعَالى ـ؛ أمَّا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فَهو دالّ علىٰ الرَّحْمةِ الواسعةِ الشّاملَة، قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ دالّ عَلىٰ مَا خصَّ اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ بهِ أولياءَه وَأصفياءَه، كَما قال ـ جلّ في عُلاه ـ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحَمدُ: هو الثّناءُ علىٰ الله مَع الحُبِّ له ـ جلّ وعلا ـ، والله ﷻ يُثنىٰ عليه علىٰ أسمائه الحُسنىٰ وصفاته العُليا، ويُثنَىٰ عليه علىٰ نِعَمه وآلائه ومنَنِه الّتي لا تعَدّ ولا تحصَىٰ.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: خالقِهم، ومالكِهم، والمُدَبِّرِ لهُم، والمُتَصرِّف فيهم، لا شريكَ له في شيءٍ من ذلك، والعالَمُون: هُم مَنْ سِوَىٰ اللهِ.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: المُتّصِفُ بالرَّحمة العامَّةِ والخاصَّةِ كما تقدّم.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وَفي قراءةٍ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يَوم الجَزاء وَالحسَاب، فالدّينُ هو الحسَاب، وَمن أسماء ربِّنا ـ جلّ وعَلا ـ: «الدّيَّان» أي: المُجازي المُحاسِب، وَهذا فيه: الخوفُ منَ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، ومن لقائِه والوقوفِ بين يدَيْه، كَما قال الله ـ جلّ وعَلا ـ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [سُورَةُ الانفِطَار].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها: إخلاصُ العبادةِ وَالاستعانةِ؛ فقَوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: أخلصُ لك عبادَتي، فلا أعبُدُ غيرَك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: أخلصُ استعانَتي بكَ، فَلا أستَعينُ بأحدٍ سِوَاكَ.

ففي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بَراءةٌ منَ الشِّرك، وَفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ براءةٌ من الحَوْل والقوَّة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَحقيقٌ لـ: لا إلهَ إلّا اللهُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَحقيق لـ: لاحولَ ولا قوَّةَ إلّا بالله.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيها الخُلوصُ منَ الشِّرك والرِّياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها خلوصٌ من العُجْبِ والكبريَاء.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: دُلّنَا ووَفّقْنا يا اللهُ؛ لسُلوكِ هذا الصِّراط المُستقيم

واتّباعِه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهو دينُ الله الّذي رَضِيَه لعبادِه، ولا يَرضَىٰ لهم دينًا سِواه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: من النّبيِّين، والصِّدّيقين، والشّهداءِ، والصَّالحين، وحَسُنَ أولَئِك رَفِيقًا، مَنْ جمَعوا بين العِلم النّافِع والعَمل الصَّالح؛ فإنّ المُنعَمَ عَليهم هُم أهل العِلم والعَمل.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَهُم: اليهودُ، ومَنْ سَلك نَهجَهم، ممَّنْ يَعلَمُ الحقّ ولا يَعمَل بِه.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهُم: النّصارىٰ، ومَنْ سَلَكَ مَسلكَهم؛ ممَّن يَعبُد اللهَ ـ تبارك وتعالىٰ ـ بغير بصيرةٍ ولا عِلم.

والمقصودُ: التّحذير منَ علماء السُّوء وعُبَّادِ الضَّلال، كما قال سُفيان ابنُ عُيَيْنَة: «مَنْ فَسَدَ من عُلمائِنا؛ كان فيه شَبَهٌ منَ اليهود، ومَنْ فسَدَ من عُبَّادِنا؛ كانَ فيه شَبَهٌ منَ النّصارىٰ»[(١)].

ومن أعْظَم ما يُعِينُ علىٰ فَهم هَذه السُّورَةِ: حَديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ ﷺ فيما يَروِيهِ عن رَبِّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ أنّه قال: «**قَسَمْت الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلعَبْدِي مَا سَأَل، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لعَبْدِي، وَلعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[(٢)].

ومعنىٰ: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ**» أي: الفاتحة، وسُمِّيَت صَلاةً؛ لأنّه لا صَلاةَ لمَن لم

(١) ذكره ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ١٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).

يقرَأ بها، لعِظَم مكانَتِها في الصَّلاة.

وَمعنىٰ قسْمها بينَ الرَّبِّ والعَبد: أي: أنّ ثلاثَ آياتٍ ونصف منها للرَّبِّ، وهي: أوَّلها، وثلاث آيات ونصفٍ للعَبد، وهي: آخِرها.

فأوَّلها: ثناءٌ علىٰ الله، وآخِرُها: دُعاءٌ للعَبد.

وَهي تسَمَّىٰ: «أمَّ القرآن» لأنّها حوَت إجمالًا ما حوَاه القرآن تفصيلًا، وهي مليئةٌ بالدّروس والعِبر، وتقريرِ قَواعدِ الدّين وأصُول الإيمَان، وأمورِ الشّريعَة والأخلاق والآدابِ، إلىٰ غير ذلكَ ممَّا حوَته هذه السُّورةُ العَظيمةُ. ❁



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

○ هذه السُّورة العظيمة «سورة الزَّلزَلَة» فيها ذِكْرُ الرَّبِّ ـ جلّ في عُلاه ـ للأهوال العَظيمة الّتي تكون بين يَدَيْ قيام السَّاعةِ؛ فإنّ ممَّا يكون بين يدي قيام السَّاعة: تَزلْزُل الأرضِ، وهو ارتجاجُها واهتزازُها.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: ارْتجَّتْ واهتزَّتْ وتحرَّكَتْ.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: أخْرَجَتِ الأرضُ ما في بطنها من الأموات الّذين دُفِنُوا فيها، وألْقَتْ ما فيها من كنوز، وهذا الإخراجُ لهؤلاء النّاس منَ الأرض هو إيذانٌ بقيام السَّاعةِ والوقوفِ بينَ يدي الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: يقوم الإنسانُ من قبره إلىٰ حَشرِه ووقوفِه بين يدَي ربِّه مذهولًا من هذا الأمرِ العجيبِ والمَنظرِ المَهُول، قائلًا: ما لَهَا؟! ما للأرض حَصَلَ لها هذا الّذي حصَل؟!

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تحدّث الأرضُ بما كان عليها وما فعَله النّاسُ فَوْقَها من خيرٍ أو شرٍّ؛ وهذا فيه أنّ الأرضَ تَشهَدُ بما حصل عليها من أخبارٍ وأحوال وأقوال وأعمال قام بها النّاسُ، وهي شهادةٌ منها عليهم بأمر الله، كما قال الله سبحانه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمَرها وأذِنَ لها بهذه الشّهادة.

ثمَّ من بعد ذلكَ يكون حال النّاسِ الصُّدورَ من أرضِ الموقِفِ لمُلاقاةِ الجزاءِ والحسابِ كلّ بحَسَبِ عَمله؛ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: أصنافًا وأجناسًا، كلّ بحَسب عمله من خيرٍ أو شرٍّ، ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: يُعايِنوا ويُشاهِدوا ويقفُوا علىٰ ما قدّموه واقترفُوه وفعَلوه من أعمال، سواءٌ كانَتِ الأعمال خيرًا أو شرًّا، مُحصَاةً عليهم، وهذا الإحصاءُ للأعمال ـ خيرِها وشرِّها ـ بمثاقيل الذّرِّ، يُرَوْا أعمالَهم كلّها، لا ينقصُ من عملهم شيءٌ؛ لا من خيرِ العَمل ولا من شرِّه، لا من قليله ولا من كثيرِه، ثمَّ ينالوا الثّوابَ علىٰ العمل الصَّالح، والعقابَ علىٰ العمَل السَّيِّءِ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

الذّرَّةُ: هي الواحدةُ من صغار النّمل، فالوزن يومَ القيامة بمثاقيل الذّرِّ في خيرِ الأعمال وشَرِّها، وهذا فيه تنبيهٌ للعبادِ أن لا يحقِرُوا من أعمال الخَير شيئًا، وقد قال النّبيُّ ـ عليه الصّلاةُ والسّلام ـ: «**اتّقوا النّارَ ولَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ**»(١)؛ فإنّ الوزنَ يوم القيامة بمثاقيل الذّرِّ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: من خير ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: من شرٍّ ﴿شَرًّا يَرَهُ﴾ أي: عقوبةً علىٰ أعماله جزاءً وفاقًا، وهذا فيه التّحذير من الاستهانة بمُحقّرَاتِ الذّنوب، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا**»(٢). بل عليه أن يَجتَنِبَ الذّنوبَ كبيرَها وصغيرَها، وإنْ وَقَعَ في شيءٍ منها بادر إلىٰ التّوبةِ والإنابةِ إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.
(٢) أخرجه النّسائي في «الكبرىٰ» (١١٨١١)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٥١٣).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

○ هذه السُّورة العظيمة «سورة العاديات» فيها قَسَمٌ من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ بهذه المخلوقات، والله ﷻ يُقسِمُ بما شاء من مخلوقاتِه، وإقسامُ الله تعالىٰ بهذه المخلوقات فيه تشريفٌ لها، وأمَّا المخلوق فلا يجوزُ له أن يُقسِمَ إلّا بالله؛ لقول النّبيِّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالفًا فَلْيَحْلفْ بِاللّهِ أوْ ليَصْمُتْ**»[1]. ولقوله: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّهِ فَقَدْ كَفَرَ أوْ أشْرَكَ**»[2].

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ هذا قَسَمٌ منه ـ تبارك وتعالىٰ ـ بالخَيْل المُنطَلَقة عدْوًا، علىٰ مُتونِها المجاهدون في سبيل الله، الصَّابِرُون المُحتَسِبون، القاصدون بجهادهم إعلاءَ كلمة الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

والعَدْوُ معروفٌ؛ وهو سُرعةُ جَرْيِها، مُتّجِهَةً إلىٰ أماكن أعداءِ دين الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، والضَّبْحُ: هو نَفَسُ الخَيْل، فمَع شدّةِ عَدْوِها وجَرْيِها يَخرُجُ منها هذا النَّفَسُ بهذا الصَّوْتِ.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ أي: أنّ حوافِرَها مع شدّةِ جَرْيِها وعَدْوِها وسُرعَتِها عندما تلامسُ الأرضَ الصَّلبةَ أو الحصىٰ يَنقَدِحُ منها الشّررُ والنّارُ، وهذا دليلٌ علىٰ قوَّتِها وسُرعَتِها وقوَّةِ انطلاقِها لمُلاقاةِ الأعداء.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ المُغيرَات: أي علىٰ الأعداء، صُبْحًا: أي وقت الصُّبح، وهذا هُو الغالب في هَدْيِ النّبيِّ ﷺ وجيوشِه، يُغيرُ علىٰ الأعداء في هذا الوقتِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أي: عندما تأتي بهذه القوَّةِ وهذه السُّرعَةِ إلىٰ حيث مكان الأعداء؛ تثِيرُ الغُبارَ في ساحةِ القتال من شدّةِ العَدْوِ الّذي كانت عليه حتّىٰ وصلَتْ إلىٰ ساحة القتال.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: بالمُقاتل في سَبيل الله وهو علىٰ متنِها، ﴿جَمْعًا﴾ أي: جموع الأعداء، فتأتي مُنطَلقَةً، وَتدخل بالمُقاتل عليها في صفوفِ الأعداء، حتّىٰ يكونَ منه بإذنِ الله ـ سُبحانه وتعَالى ـ الفتْكُ بهم.

هذَا هو القَسَمُ.

أمَّا المُقسَمُ عليه: فهو بيانُ حال الإنسان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ والكَنُودُ: هو الجاحد للنِّعمة، فهذَا حال الإنسان عمومًا، يتفضَّل عليه ربُّه بأنواع النِّعَم وصُنوف المنَنِ، فيكون كَنُودًا جَاحدًا لنعمَة الله عليه وفضله ومنِّه ـ سُبحانَه وتعالى ـ، ومُمسِكًا شحيحًا بخيلًا لا يُنفِق ولا يَبذُل ممَّا آتاه اللهُ، إلّا مَن سلّمَه الله ونجَّاه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: هذا الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: شهيدٌ علىٰ نفسه بهذه الصِّفَةِ الذّميمةِ والخَصلَةِ المَشِينَةِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ نفسُه لا تَقنَعُ مهما أوتِيَ من المال، يحبُّ المالَ حُبًّا جمًّا، أي حبًّا شديدًا، لو أوتِيَ من المال واديًا لتَمنّىٰ أن يكون له وادٍ آخَر.

ثمَّ نبَّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ علىٰ ما يُعِينُ العبدَ علىٰ النّجاة من هذه الخصال والسَّلامة من هذه الصِّفات، فقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ هذا أمرٌ جديرٌ بالعبد أن يكون علىٰ ذكرٍ له وعلم به، وأنّ هذا الجحودَ لنعمَةِ الله، وهذا الحبَّ للمال والانكبابَ عليه، والانشغالَ به عمَّا خُلقَ العبدُ لأجله وأوجدَ لتحقيقِه؛ المآل فيه إلىٰ أنّ هذا العبدَ سيموت، ثمَّ يُبعثَرُ ما في القبور، ويقومُ النّاسُ من قبورهم للمُجازاة والمُحاسبة.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يُحصَّل في ذلك اليوم ما انْطَوَتْ عليه، ليُجَازَىٰ العبدُ

علىٰ ما كان عليه من شُح وبُخل، وكنودٍ وغيرِ ذلك منَ الخِصال الذّميمَة.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: مُطّلعٌ علىٰ أعمالهم الظّاهرةِ والباطنةِ، الخفيَّةِ والجَليَّةِ، ومُجازيهم عليها.

و«الخَبير» اسمٌ من أسماءِ الله؛ وهو العَليم ببواطن الأمور وخفَايا الأشياء، كعِلمه بظاهرِها وعلنِها.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

- ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ هذا اسمٌ من أسماء يوم القيامة، وقد تعدّدت أسماؤها لتَعدّدِ صفاتِها؛ فهي أعلامٌ وأوصافٌ، لأنها دالّةٌ علىٰ أوصاف عظيمة لذلك اليوم.

و«القارعة» أي: الّتي تقرَعُ القلوبَ والأسماعَ من هَوْل شدّتِها وعِظَم خَطْبِها.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وهذا استفهامٌ للتّهويل، وبيان عِظَم ذلك اليوم، وأنّه يومٌ عظيمٌ، ويومٌ شديدٌ.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ في ذلك اليوم تكون حال النّاس في مَوَجَانِ بَعضِهم ببعضٍ، واختلاطِ بعضِهم ببعضٍ كالفراش عندما ينتَشر ويموجُ بعضُه في بعض، وهو نظيرُ قوله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: الصُّمُّ الصِّلَابُ القَويَّةُ المُتماسكةُ المَتينَةُ ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أي: كالصُّوف المَندُوفِ، فأصبح بعدَ ندفِه كومًا، لكنّه غيرُ مُتماسِكٍ، بحيث لو هبَّ هواءٌ يسيرٌ تلاشىٰ، فتذهبُ عن تلك الجبال صلابَتها وقوَّتها.

ثمَّ بيَّن حالَ النّاس في ذلكَ اليوم، وأنّهم علىٰ قِسمَيْن:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رَجَحَتْ بالحسنات والطّاعات وأنواعِ القرُبات، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في جنّة الخُلدِ، في نعيم مُقيم لا يحُول ولا يزُول أبدَ الآباد، قريرةٌ عينُه ـ بمنّة الله عليه وفضله جلّ في عُلاه ـ راضيةٌ، ولهذا جاء في الحَديث الصَّحيح: «**إِذَا دَخَلَ أهْل الجَنّةِ الجَنّةَ، يَقول اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: تريدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقولونَ: أَلَمْ تبيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تدْخِلْنَا الجَنّةَ، وَتنَجِّنَا منَ النّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحجَابَ، فَمَا أَعْطوا شَيْئًا أَحبَّ إِلَيْهِمْ منَ النّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﷻ**»[(١)]. جعلنَا الله أجمعين منهُم بمنِّه وكرمه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: بالسَّيِّئاتِ والمعاصي والذّنوب ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي: أنّ النّارَ هي مأواه وهي مكانُه، وقيل: «أمُّه» أي: رأسُه، أي: يهوي علىٰ رأسه في النّار.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ أي: هذه الهاوية، تعظيمٌ لأمرها، وبيانٌ لخطورتها.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: نارٌ شديدةٌ مُحرِقَةٌ، وقد جاء في الحَديث أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ منْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنّم**»[(٢)]. أعاذَنا الله منها.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

هذه السورة قال عنها ابن القيم رحمه الله: «وهي سورة أخلصت للوعد والوعيد والتهديد، وكفىٰ بها موعظة لمن عقلها»[(٣)].

○ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أي: أشْغَلَكم، وجعلكم تَمضُون في هذه الحياة في غَفلَةٍ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الفوائد» ص ٣٠.

مُستَمرَّةٍ.

﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أي: طلب ما يتكاثر النّاسُ به؛ من مال وتجارةٍ ومساكن ومركوباتٍ وولدٍ، وغيرِ ذلك، ممَّا يُقصَدُ منه مكاثرةُ كلّ واحدٍ للآخَر؛ أشغَلكم هذا التّكاثر عمَّا خُلقتم لأجله، وأوجدتّمْ لتحقيقه، وهو عبادةُ الله، وهذا حال كثير من النّاس؛ انشغلوا بما خُلقَ لأجلهم عمَّا خُلقوا هُم لأجله، وهو عبادةُ الله.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ أي: استمَرَّتْ حالكم في هذا الانشغَال، وهذا اللّهوِ حتّىٰ مُتّمْ وأدخِلْتم القبور، وهي حال كثيرٍ من النّاس؛ فتجد الواحد منهم في لهثٍ وراءَ هذا التّكاثر حتّىٰ يموتَ، ومنْ ثَمَّ يُدرَجُ في قَبره، وسُمِّيَ هذا الدّخول للقبور زيارةً؛ لأنّ القبرَ بَرزَخٌ بينَ الدّنيا والآخرة، ومَعبَرٌ إلىٰ الدّار الباقية، يدخُله الميِّت دخولَ الزَّائرِ؛ لأنّه لا يَستَمرُّ فيه، وإنّما هي زيارةٌ ويَنتَقِل منه إلىٰ الدّار الآخرة.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ ﴿كَلَّا﴾ هذا زَجرٌ عن هذه الحال وهذه الصِّفة، أي: ليس الأمرُ كما أنتمْ مُنشَغِلين به من تكاثرٍ وغفلةٍ، سوف تعلمون: أي إذا أدخِلْتمُ القبورَ، ورأيتمْ عاقبةَ العمل حَسنِه وسَيِّئه.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيدٌ لهذا الأمر، وبيانٌ لعِظَم هذا الشّأن.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لو كان عند الإنسانِ علمُ اليقين بهذَا المآل وهذا المَصير لمَا ألهاه التّكاثر، ولَمَا أشْغَله عمَّا خُلقَ لأجله وأوجدَ لتحقيقه من طاعة الله.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ أي: لتَرِدُنّ القيامةَ، فلتَرَوُنّ الجحيمَ الّتي أعدّها اللهُ للكافرين.

والجحيمُ ـ وهي النّار ـ يؤتَىٰ بها يومَ القيامة إلىٰ أرضِ المَحشَر، كما في الحديث: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَام، مَعَ كُلّ زِمَام سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١). فيُعاينُها النّاسُ ويُشاهِدُونَها.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: تعاينُونَها حقيقةً بأبصاركم؛ وَذلك يَوم القيامة،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَوم يقف النَّاسُ بَين يَدي الله.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: يسألكم اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ يومَ القيامة عَن النَّعيم الَّذي آتاكم في الدّنيا، ويَدخُل في ذلك نعمةُ المَال، ونعمةُ الصِّحَّةِ، وَنعمةُ الوَلَدِ، وَنعمةُ المَركَب، ونعمةُ المَسكَن، حتّىٰ المَاء البارد يُسأل عنه العَبدُ يومَ القيامة(١). وهَذا فيه التّنبيهُ عَلَىٰ ما صُدّرَت به السُّورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أي: أشغَلكم، وأنتم ستسألون يومَ القيامة عنه؛ فإيَّاكم أن يُشغِلَكم هذا النّعيم، وهذا المال عن شُكرِ المُنعِم، والقيام بحَقّه والإقبال عليه، وحُسنِ عبادته والاستعدادِ للقائه ـ جلّ في عُلاه ـ، وإياكم أن يشغلكم هذا الذي خلق لأجلكم عمَّا خُلقْتم أنتم لأجله. ❁



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

❍ هذه سورةٌ عظيمةٌ، بليغةٌ، مُوجَزَةٌ، حوَتِ الخيرَ كُلّه، أقسَمَ اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ فيها بالعصر وهو تقلّبُ اللّيل والنّهار، وهو مَحلّ أعمال العباد من خيرِها وشَرِّها.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أي: جنس الإنسان ﴿لَفِى خُسْرٍ ﴾ النّاس كلّهم خاسِرُون، إلّا مَنِ اسْتَثْنَاهمُ اللهُ في هذه السُّورةِ، وهُم مَنْ جمَعوا صفاتٍ أرْبعًا:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بالله وبما أمرَهُم ـ تبارك وتعالىٰ ـ بالإيمان به، وهذا فيه العلمُ؛ لأنّ الإيمانَ لا يكونُ إلّا عن علم وبصيرةٍ.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: تقرَّبوا إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأنواع العبادات

(١) أخرج الترمذي (٣٣٥٨)، والحاكم (٧٢٠٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أوَّلَ مَا يُسْأل عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ** ـ يعني العبد منَ النّعيم ـ **أنْ يُقَال لَهُ: أَلَمْ نصِحَّ لَكَ جسْمَكَ، وَنرْوِيَكَ منَ المَاءِ البَارِدِ؟**». وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٥٣٩).

وصنوف القُربات طلبًا لرضوانه سُبحانه، وفي إيمانهم وعملهم الصَّالح تكميلٌ لأنفُسِهم.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بدين الله الّذي رَضِيَه لعباده وشرَعَه لهم، وتواصيهم به، أي: حثّ بعضِهم بعضًا علىٰ العنايةِ به والمُحافظةِ عليه، وهذا تكميلٌ لغَيْرهم بعد أن كمَّلوا أنفُسَهم.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ أي: علىٰ طاعة الله، وعن معصية الله، وعلىٰ أقدَار الله المُؤلِمَةِ، وهذا فيه أنّ طريقَ الدّعوة لا بدّ فيه من أذىٰ؛ فلْيَصْبِرِ الإنسانُ ولْيَحْتَسِبْ، حتّىٰ يكونَ بإذن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ من النّاجين الفائزين، وقد قال الإمامُ الشّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو فكّر النّاسُ في هذه السُّورة لكفتْهُم» أي: لكفَتْهُم واعظًا وزاجرًا عن المَنهِيَّات، وسائقًا إلىٰ الخَيْر والبرِّ بأنواعِه.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾.

❍ ﴿وَيۡلٞ﴾ أي: خسرانٌ وهلاكٌ، وقيل: هو وادٍ في جهنّم، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ أي: هذا شغله ودَيدَنُه الهَمزُ واللّمزُ؛ أي: الوقيعةُ في أعراض النّاسِ والطّعنِ فيهم والثّلْب لهم، والهَمْزُ بالقَول، واللّمْزُ بالفعل والإشارَة.

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: هذا همُّه، جمْع المال والاستكثار من جمعه وتعداده، وأنّ عندَه منَ المال كذا وكذا، ويَملكُ من الرَّقيق كذا، ويَملكُ من المواشي كذا، ويملكُ منَ المساكنِ كذا، ويملكُ منَ المَزارع كذا... إلخ، مُعدّدًا مُتفاخِرًا مُتباهيًا مُتَعاليًا علىٰ النّاس بالأموال الّتي عنده.

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ يَظنّ مَنْ هذا شأنُه وهذه صفته أنّ هذا المالَ الّذي يَجمَعُه ويتكاثر به ويتفاخَر به يكونُ سببًا لخلودِه وبقائه في هذه الدّنيا.

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمرُ كما ظنّ ولا كمَا يحسَبُ.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ مَآل هذا أنّه يموت، ويَترُكُ مالَه وراءَ ظَهرِه، ثمَّ يكون مَآله يومَ القيامة أن يُرمَىٰ ويُلقَىٰ في النّارِ، والنّارُ من أسمَائِها «الحُطَمَة» لأنّها تحَطّمُ، أي: تَكسِر وتَهشِم ما ألقِيَ فيها من شدّتِها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ ما هي هذه الحُطَمة؟ ماذا تكونُ؟ الاستفهام للتّهويل، وبيانِ عظَم خطورَةِ هذه النّار.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ أي: المُسَعَّرَة، وبشدّةِ الإيقاد يزدَادُ حَرُّها ـ أعاذَنا الله منها ومن كلّ ما قَرَّبَ إليها من قول وعمل ـ.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ خُصَّت الأفئدةُ بهذا الاطّلاع؛ لأنّ الأفئدةَ هي منبعُ الأعمال ومصدَرُها والمُحَرِّكُ لها؛ فالأعمال تَنبُع منَ القلوب، «**أَلَا وَإِنّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلّهُ؛ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[(١)].

﴿إِنَّهَا﴾ أي: النّار ﴿عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ أي: مُغلَقَةٌ مُحكَمَةُ الإغلاق.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ أي: علىٰ باب جهنّم، سُدّتْ عليهم بها الأبوابُ، فلا خُروجَ لهم منهَا. ❁



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾.

❍ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ ألَمْ تعلَمْ أيُّها النّبيُّ! كيف فعل ربُّك بأبْرَهَةَ

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه.

وجنودِه ومعهم الفيل حينما أتَوْا قاصِدين تخريبَ الكعبة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ أي: مَكرَهم وتخطيطَهم لهَدْم بيت الله ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي في ضَياع وذهابٍ، وعاقبةٍ وخيمةٍ لهم، فلم يَبُوؤُوا بهذه الفِعلة وهذَا المَكر والكَيد إلّا بالخُسران.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعةٌ منَ الطّير مُتتابعةٌ، فهؤلاء جاؤوا بالفِيَلَة، وهي أضخَمُ الحيوانات وأكبَرُها بزَعمهم، لا يَصُدّهم صادٌّ ولا يَردّهم عن هدْم البيت رادٌّ، فأرسلَ اللهُ عليهم طَيْرًا صغيرةً تَحمل حجارةً صغيرةً في مناقيرها.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ حجارةٌ من الطّين المَحمي الصَّلبِ من المكانِ العالي، فمَا يقَع حجَرٌ منها علىٰ واحد من هؤلاءِ إلّا هلكَ شرَّ هَلَكَةٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي: هذه الجُموع الّتي جاءت لهَدم بيتِ الله ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: الزَّرع الّذي هجَمَتْ عليه الماشيةُ وأكلَتْه ووَطَأَتْه بأقدامها، وهذه من آياتِ الله ـ سُبحانه وتعَالى ـ وعظيم قدرَتِه، وأنّ العبدَ مهما بلغ مكرُه وكيدُه وترَبُّصُه يجعَل اللهُ ـ سُبحانه وتعالى ـ له العاقبةَ الوخيمةَ والخسرانَ في الدّنيا والآخرة.

والنّبيُّ ﷺ وُلدَ في هذَا العام ـ عَام الفيل ـ الّذي وقعَتْ فيه هذه الحادثة العظيمةُ، فكانت من جملة الإرهاصات لمَبعَثِه ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾.

○ قال كثيرٌ من المُفَسّرين: إنّ الجارَّ والمَجرورَ في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ مُتعلّقٌ بالسُّورةِ الّتي قَبْلَها وهي سورةُ الفيل؛ فإنّ هذا الهلاكَ لأبرهَة وجنودِه بهذه الآية الباهرة العَظيمة الدّالّةِ علىٰ كمال قدرة الله وعظيم بَطشِه ـ سبحانه وتعالى ـ، فأصبحَ

لقَرَيْشٍ بعدَ هذه الحادثة هَيْبَةٌ، واطْمَأنّوا في سُكناهُم وفي رَحَلَاتِهم التّجاريَّة في الصَّيفِ والشِّتاء.

﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ أي: ما هُم فيه من نعمةٍ ورخاءٍ وأمنٍ، وأنّ المَسالك والرَّحلات التّجاريَّة آمنةٌ في الشّتاء إلىٰ اليَمن، وفي الصَّيف إلىٰ الشّام، تَذهَبُ وتعودُ بكُلّ أمانٍ؛ وهذه نِعَمٌ تَستَوْجبُ شُكرَ المُنعِم وإخلاصَ الدّينِ له، ولهذَا قال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ أي: ليُخلِصُوا عبادتَهم لله وحدَه، مُفرِدِينَه ـ سُبحانه وتعالى ـ وحدَه بالعبادَة، مُخلصِين له الدّينَ ـ جلّ في عُلاه ـ، فلا يجعَلوا معَه شريكًا، ولا يتّخِذوا معه نِدًّا.

﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ الّذي مَنّ عليهم بالطّعام ومَنّ عليهم بالأمن؛ فهذه النِّعَمُ وهذَا الأمنُ مُوجبٌ لشُكر المُنعِم، وإخلاص الدّين له، وإفرادِه ـ تبارك وتعالىٰ ـ وحدَه بالعبادة.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾.

○ ﴿أَرَءَيۡتَ ﴾ أيُّها النّبيُّ! والاستفهامُ معنَاه التّعجُّب ﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ أي: يُكذّبُ بالجزاءِ والبعثِ والوقوفِ بين يدي الله ـ سُبحانه وتَعالى ـ ومُلاقَاتِه ـ جلّ في علاه ـ، ويُكَذّبُ بالدّين، أي: بالشّرع الّذي شرَعَه ودعا عبادَه إليه، القائم علىٰ توحيده وإخلاصِ الدّين له ـ جلّ في عُلاه ـ.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ أي: من ثمراتِ هذا التّكذيب أن يكونَ الإنسانُ بهذه الصّفةِ وهذا الحال؛ ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ أي: يَزجُره

زجرًا شديدًا، ويرْدَعُه رَدْعًا، ويَدفَعُه دفعًا، فلا يتعامَل معَه بشَفَقَةٍ ولا رحمةٍ، ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ غيرَه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ لأنّه في نفسِه لا يُطعِم ولا يُنفِق ولا يَبذُل؛ فكيفَ يكونُ منه حضٌّ لغَيرِه وحثّ له للقيام بذلك؟!

ثمَّ قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وصفهم بأنّهم يُصلّون، فليسوا تاركين لها، لكنّهم ساهون عنها؛ بتضييع أوقاتِها، وعدم الاهتمام بشروطها وأركانها وواجباتها.

وفَرْقٌ بين السَّهو عن الصَّلاة والسَّهو في الصَّلاة؛ فالسَّهو في الصَّلاة يَقَعُ من الإنسان ويُجبَرُ بسجودِ السَّهْوِ، لكنّ المُصيبةَ في السَّهْوِ عن الصَّلاةِ؛ بالغَفلة عنها، وتضييعِ أوقاتِها أو شُروطِها أو أركانِها، ممَّنْ ليسَتِ الصَّلاةُ مُعظّمَةً عندَه وليسَ لها شأنٌ عندَه.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أي: بأعمالهم وصلاتِهم النّاسَ، قال ﷺ: «**يَقومُ الرَّجُل يُصَلّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[(١)].

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ أي: من شدّةِ بُخلهم يَمنَعُون الماعون، وهو ما يُعارُ لوقتٍ مُحَدّدٍ ليُنتَفَعَ به ويُعَادَ إلىٰ صاحبه، مثل: القِدْر والمنخَل والفأس والإبرة وغيرِ ذلك من الأشياء الّتي يَستَعِيرُها الجيرانُ بعضُهم من بعضٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

○ في هذه السورة ذكرُ منّةِ الله سُبحانه علىٰ نبيِّه ومُصطفَاه، بأنْ أعطاه الكوثَر، أي: الخَير العظيم والفَضل العَميم؛ ومن ذلكم: النَّهر الّذي يمنّ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ به علىٰ نبيِّه ﷺ يومَ القيامَة، وكذلك الحوض المورود.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي: شكرًا لله علىٰ منِّه وفضله وعظيم عطائِه، ﴿وَٱنْحَرْ﴾ ذبيحتَك

(١) أخرجه أحمد (١١٢٥٢)، وابن ماجه (٤٢٠٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

لربِّك، مُخلصًا دينَك لله، كما قالَ الله تعَالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سُورَةُ الأَنۡعَامِ].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: عدوَّك ومُبغِضَك ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي: الأقطع من كلّ خير، والأقطع ـ أيضًا ـ منَ الذّكر الحَسَن، فلا يُذكَرُ إلّا بالشّرِّ والسُّوء.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾.

هذه السُّورة «سورة الكافرون» وهي سورة البَراءة منَ الشِّرك والمُشركين، والكفر والكَافرين.

﴿قُلۡ﴾ أي: أيُّها النّبيُّ! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي: بالله ـ سُبحانه وتعَالى ـ، يا مَن تعبدُون معَه غيرَه من الأصنام والأوثان.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي: منَ الأصنام والأوثان الّتي اتّخَذْتموها أندادًا وشُركاءَ لله ـ سبحانه وتعالى ـ.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ مع أنّهم يعبدون اللهَ في جملة ما يعبدُون! لكنّ العبادةَ لله لا تكونُ عبادةً إلّا بالإخلاص، فإذا لم تكُنْ خالصَةً لا تكونُ عبادةً، كما أنّ الصَّلاةَ لا تكونُ صلاةً إلّا بالطّهارةِ، فلو أنّ إنسانًا صلّىٰ من غير طهارةٍ لصَحَّ أن يُقَالَ: لم يُصَلِّ، وكذلكَ مَن عَبَدَ اللهَ بغَير الإخلاص صحَّ أن يقالَ: لم يَعبُدِ اللهَ؛ لأنّ عبادةَ الله لا تكون إلّا بالإخلاص.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ قيل: إنّ الأوّلَ من حيث المعبودُ، فالنّبيُّ ﷺ يعبدُ اللهَ مُخلصًا له دينَه، وهُم يعبدون الأصنامَ والأوثانَ، والثّاني من حيث العبادةُ نَفسُها، فعبادةُ النّبيِّ ﷺ التّوحيدُ والإخلاصُ، وعبادةُ هؤلاء الشِّركُ والتّنديدُ،

وقيل: ليَدُلّ الأوّل علىٰ عدم وجودِ الفِعل، والثّاني علىٰ أنّ ذلك قد صار وصفًا لازمًا.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ هذه براءةٌ منهم ومن دينهم، ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ أي: عبادة الأصنام والأوثان والأنداد والشّركاء ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وهو التّوحيد؛ عبادة الله وإخلاص الدّين له، جلّ في عُلاه.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾.

○ في هذه السُّورة البِشارةُ للنّبيِّ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ بالنّصر العظيم والفَتح المُبين.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ أي: فتح مكّةَ؛ إشارةً إلىٰ عظيم منّةِ الله عليه، وأنّه أمرٌ مُتحقّقٌ وكائنٌ.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ أي: أكثِرْ منَ التّسبيح والاستغفار، وكان ـ عليه الصّلاةُ والسّلام ـ بعد نزول هذه السُّورة يُكثر من أن يقول: «**سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لي**»، يَتأوّل القرْآنَ[(١)].

ومنَ المعاني المُستفَادَةِ من هذه السُّورة: إشعَارُ النّبيِّ ﷺ بدنوِّ أجَله، إذا حصَل هذَا النّصرُ والفتحُ؛ لأنّ الطّاعاتِ العظيمةَ تختَمُ بالاستغفار، وكذا الحياة الكريمَة حياةُ الإيمان والطّاعة تختَمُ به، فكان آخِرَ ما سُمع من نبيِّنا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قبَيْلَ وفاتِه: «**اللّهُمَّ اغفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَألْحقْني بِالرَّفِيقِ**»[(٢)].



(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤) عن عائشة رضي الله عنها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾.

○ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: خَسِرَتْ يداه وخابَتْ، الأوَّل: دعاءٌ عليه، والثّاني: خَبَرٌ عنه.

وأبُو لَهَب: هُو عَمُّ النّبيِّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، وكانَ من أشَدّ أعدائِه، كثيرَ الأذيَّةِ له والتّنقص له ولدينِه.

وثبتَ في سبَب نُزولها أنّ النّبيَّ ﷺ لمَّا صَعِدَ الصَّفَا ذاتَ يوم فقَال: «**يَا صَبَاحَاه!**» فاجتمَعَتْ إليه قرَيْشٌ قالوا: ما لكَ؟ قالَ: «**أَرَأَيْتم لَوْ أَخْبَرْتكُمْ أنّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتم تصَدّقوني؟**». قالوا: بلىٰ. قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فقال أبو لهب: تبًّا لَكَ! ألهذا جمعْتَنا؟! فأنزلَ اللهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ الأموالَ الّتي جَمعَها والأولادَ والتّجارةَ وغير ذلك؛ كلّ هذه لا تغنِي عنه منَ الله شيئًا.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ هو وامرأته يَصْلَوْنَ النّارَ، وهذه السُّورةُ نَزلَتْ في حياةِ أبي لهَب وامرأتِه، وهذه من الآيات العَظيمة والبراهين العَجيبة علىٰ صِدق ما جاء به الرَّسول ﷺ؛ فإنّ فيها الإخبارَ أنّهُمَا يَمُوتَان علىٰ الكُفرِ والمُعاداةِ لدين الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وكان مَوتهما علىٰ ذلك.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهي: أرْوَىٰ بنت حَرْبٍ أمُّ جَميل ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ كانت تحمل شَوْكَ السَّعدان والأذىٰ، وتَضَعُه في طريق النّبيِّ ﷺ، مبالغَةً في إيذائه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي: عُنُقِها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: ترفَعُ به إلىٰ شَفير جهنّم، ثمَّ يُرمَىٰ بها إلىٰ أسفَلِها، أو أنّها تَحمل في النّار الحطبَ علىٰ زَوجها، مُتقَلّدَةً في عُنُقها هذا الحبلَ. ۞



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾.

○ هذه «سورة الإخلاص» تَعدِل ثلثَ القرآن، كما ثبتَ بذلك الحديث عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أنّه قال: «**أَيَعْجزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثلثَ القرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**». فشقّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنَا يُطِيق ذلكَ يا رسولَ الله؟ فقال: «**اللهُ الوَاحدُ الصَّمَدُ ثلث القرْآنِ**»[1].

وتسمَّىٰ: «سورة الإخلاص» لأنّها أخلصَت لبيان التّوحيدِ العِلمي، وسورة الكافرون ـ أيضًا ـ تسَمَّىٰ «سورة الإخلاص» لأنّها أخلصَت لبيان التّوحيد العَملي، والتّوحيد نوعان: عِلمي وعَمَلي.

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: مُتَفَرِّدٌ ـ سُبحانه وتعَالى ـ، لا نِدّ له لا في أسمائه وصفاته، ولا في ربوبِيَّته، ولا في ألوهيَّته ـ جلّ وعلا ـ.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الصَّمد، أي: الكامل في أسمائه وصفاته، الكامل في سُؤدَدِه ونُعوتِه، والصَّمد: الّذي تَصمَدُ إليه الخلائق وتَفزَعُ في حاجاتِها؛ ففيه دلالةٌ علىٰ غِنَىٰ الله عن جميع المخلوقاتِ لكماله في جميع صفاتِه، وعلىٰ كمال قدرتِه وافتقارِ المَخلوقات كلِّها إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأنّها تَصمَدُ إليه وتَفزَعُ إليه في كلّ حاجاتِها، لا غِنَىٰ لها عنه طَرْفَةَ عين.

ومن أحدِيَّتِه وصمَدِيَّته وكماله سُبحانه؛ أنّه ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾؛ نفيٌ للأصل

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري ﵁، ومسلم (٨١١) عن أبي الدّرداء ﵁.

والفرع؛ تَنزَّه وتقدّس عن ذلكَ.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: لا مَثِيلَ له، ولا نِدّ له، ولا سَميَّ له، وتنزَّهَ عن المثال والنِّدّ والنّظير.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

○ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ الفَلَق: الصُّبحُ، أي: أعوذ بالله فِالقِ الإصباح، وقيل ـ أيضًا ـ: فالق النّوىٰ.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أي: منْ شرِّ كلّ مخلوقٍ فيه شرٌّ، وهذا عامٌّ في التّعوُّذِ من كلّ المخلوقاتِ الّتي قامَتْ فيها الشّرور.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي: اللّيل، وما يكونُ فيه من هَوَام، وما تَنبَعِث فيه من شياطين، وما يتحرَّكُ فيه من شُرور.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ أي: السَّواحرُ اللّاتِي يَنفُثْنَ في العُقَد حتّىٰ يَتمَكّنَ السِّحرُ ويقَع، ولا يقع إلّا بإذن الله ﷻ.

والتّعوُّذ بالله ﷻ منهُنّ دليلٌ علىٰ أنّ السِّحْرَ له حقيقَةٌ وله تأثيرٌ، منه ما يَقتل، ومنه ما يُمرِضُ، ومنه ما يُفرِّق بينَ المرءِ وزَوجه، أعاذنا الله ﷻ وحَمَانا أجمَعين.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ أي: من شَرِّ كلِّ حاسِدٍ إذا تحرَّكَ فيه الحَسَدُ، ويدخُل في ذلك العائِنُ؛ لأنّ العينَ لا تكونُ إلّا عن حَسَدٍ.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ

ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

❍ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هذا تعوُّذٌ بالله ـ سُبحانه وتعالى ـ بذِكر ربوبيَّتِه وألوهِيَّتِه ومُلكِه، وهذه الأسماء الثّلاثةُ ـ ربُّ النّاس، ملكُ النّاس، إِلَهُ النّاس ـ مرَّتْ معنا في فاتحة الكتاب؛ حيث ورَدَتْ في مقام الثّناءِ علىٰ الله ﷻ، وفي خاتمةِ الكتاب وردَتْ استعاذةً به ـ سُبحانه وتعَالى ـ واعتصامًا به ـ جلّ في عُلاه ـ.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وهو الشّيطان، ذُكِرَ بهذَيْن الوصفَيْن:

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الّذي يُلقِي الوساوسَ في الصُّدور.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ أي: الّذي إذا ذُكِرَ اللهُ ﷻ؛ خنَسَ وانْطَرَدَ، وابتَعَدَ عن الإنسان.

وفي هذا الحثّ علىٰ المحافظةِ علىٰ ذكر الله ﷻ، وأنّ ذلكَ أعظَمُ واقٍ للعبد منَ الشّيطان.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يُلقِي الوساوسَ والشّرورَ في صُدور النّاس؛ منَ الأفكار الرَّديئةِ، والعقائدِ الفاسدةِ، والمعاني الخَبيثة.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي: أنّ الوَسْواسَ كما يكونُ منَ الجنِّ يكونُ منَ الإنس أيضًا.

والحاصل أنّ المسلمَ مطلوبٌ منه أن يُعنَىٰ بفَهم معاني كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ويكفي العوامَّ أن يحفَظوا هذه السُّوَرَ: الفاتحة، ثمَّ من الزَّلزَلَة إلىٰ النّاس، ويُعنَوْا بمُراجعَة معانيها ومعرفةِ دَلالاتِها، حتّىٰ تكونَ تلاوتهُم لها في كلّ مرَّةٍ عن فهم وتَدبُّرٍ، وعقل للخِطاب. ❁



الدرس الثاني:
أركـــان الإســـلام

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

«الدّرس الثّاني: أركان الإسلام:

بيان أركان الإسلام الخمسة، وأوّلها وأعظَمُها: شهادةُ أن لا إِلَهَ إلّا اللهُ وأنّ مُحمَّدًا رسول الله، بشرح معانيها، مع بيان شروط لا إله إلّا اللهُ، ومعناها: (لا إِلَهَ) نافِيًا جميعَ ما يُعبَدُ من دون الله، (إلّا اللهُ) مُثبِتًا العبادةَ لله وحدَه لا شريكَ له».

الشرح:

○ الإسلامُ له أركانٌ لا يقوم إلّا عليها، والرُّكن: هو جانِبُ الشّيءِ الأقوىٰ الّذي لا يقومُ الشّيءُ إلّا عليه، ومَثَل أركان الإسلام مَثَل الأعمدة في البُنيان.

والبيـــت لا يُبتَنـــىٰ إلّا بأعمـــدةٍ   ولا عِمَـــادَ إذا لَـــمْ تـــرسَ أوتـــادُ

فأركانُ الإسلام: دعائمُه وأعمدَته، وجَوانِبُه الأقوىٰ الّتي لا يقومُ الإسلامُ إلّا عليها.

وَالإسلامُ: هوَ الاستسلامُ لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ بالتّوحيدِ، فمَن أبىٰ أن يَستَسْلمَ لله ﷻ فهو مُستكبِرٌ، ومن اسْتَسْلَمَ لله ﷻ ولغَيْرِه فهو مُشرِكٌ.

وَبهذا يُعلَمُ أنّ الإسلامَ يُضَادّه أمران: الاستكبارُ، والشِّرك.

والإسلامُ يقومُ علىٰ أركانٍ خمسةٍ، بيَّنهَا النّبيُّ الكَريمُ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في حديث ابنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال النّبيُّ ﷺ: «**إِنّ الإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَإِقَام الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَام رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ**»[(١)]. فهذه الخمسَةُ أركانٌ للإسلام، وَأعمدةٌ لا يقومُ إلّا عليها.

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) واللفظ له.

وأعظمُ هذه الأركان وأعلاها شأنًا: شهادةُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وأنّ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ؛ ولهذا قدّمها ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في الحديث فقال: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمَّدًا رَسُول اللّهِ**». فالشّهادتان لله بالوحدانيَّةِ ولنبيِّه ﷺ بالرِّسالةِ هُما أعظم أركانِ الإسلام، وأعظم مبانيه، بل هما أصل الدِّين وأساسُه الّذي عليه يُبنىٰ.

و«لا إله إلّا اللهُ» هي أعظم الكلمات علىٰ الإطلاق، وأفضَلها وأجلّها، وهي أفضل الذّكرِ، يقول نبيُّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «**أَفْضَلُ الذّكْرِ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ**»(١). ويقول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «**خَيْرُ الدّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْت أَنَا وَالنّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٢). ولهذا يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَهي زُبدَةُ دعوة المُرسَلين، وخلاصةُ رسالَتِهم، وأوّل كلمةٍ يَسمَعُها أقوامُهم منهم، فأوَّل ما يخاطبونهم به: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقد نبَّه الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ: أنّ هذا المقامَ مقامُ تعليم الشّهادَتَيْن يُحتاجُ إلىٰ شرح معانيها مع بيانِ شُروط «لا إلهَ إلّا اللهُ».

○ **أمَّا معنىٰ: «لا إله إلّا اللهُ»**: فقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ أنّ: «**(لا إلهَ) نافيًا جميعَ ما يُعبَدُ من دون الله، (إلّا اللهُ) مُثبتًا العبادةَ لله وحدَه لا شريكَ له**» فهي كلمةٌ قائمةٌ علىٰ رُكنَيْن عظِيمَيْن وأساسَيْن متينَيْن، لا توحيد لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ إلّا بهما: النّفيُ والإثبات:

نفيٌ عامٌّ لكلّ ما يُعبَدُ من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، أيًّا كان: جمادًا، أو حيوانًا، أو نباتًا، أو غير ذلك.

وإثباتٌ خاصٌّ للعبادة بكلّ معانيها لله عَزَّ وَجَلَّ وحده.

فمَنْ نفىٰ ولم يُثبِتْ؛ لا يكونُ مُوحِّدًا، ومَنْ أثبَتَ ولم يَنْفِ؛ لا يكونُ مُوَحِّدًا، فلا

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (١٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦٩٦١)، والترمذي (٣٥٨٥) عن عبد الله بن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (١٥٠٣).

يكونُ مُوَحِّدًا إلّا بالنّفيِ والإثبات، كما قال اللهُ سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالىٰ حكايةً عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [سورة الزخرف]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، أي: «لا إِلَهَ إلّا اللهُ».

فالتّوحيدُ؛ كُفرٌ بالطّاغوت، وَإيمانٌ بالله ﷻ.

فهذا مدلول كلمة التّوحيد «لا إِلهَ إلّا اللهُ»، فهي ليسَت كلمةً لا معنىٰ لها أو لفظةً لا مدلولَ لها، بل هي كلمةٌ مُشتَمِلَةٌ علىٰ أعظَم المعَاني، وأجلّ المقاصد، وأنْبَل الأهدافِ وأعْظَمها: توحيدِ الله ـ جلّ وعلا ـ.

فلا يكونُ العبدُ مُوَحِّدًا إلّا بتحقيقِ ما دلّتْ عليه «لا إِلهَ إلّا اللهُ»، من نفيِ العبوديَّةِ عن كلّ مَنْ سوىٰ الله ﷻ، وإثباتِ العبوديّةِ بكُلّ معانيها لله ﷻ وحدَه.

ولهذا؛ فإنّ قائلَ «لا إِلَهَ إلّا اللهُ» حقًّا وصِدْقًا لا يدعو إلّا اللهَ، ولا يَستَغِيث إلّا بالله، ولا يتوَكّل إلّا علىٰ الله، ولا يَطلبُ المَدَدَ إلّا من الله، ولا يَذبَحُ إلّا لله، ولا يَنذُرُ إلّا لله، ولا يَصرِفُ شيئًا منَ العبادَة إلّا لله وحدَه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام].

وبهذا يُعلَمُ أنّ مُجرَّدَ قول هذه الكلمة لا يكفي، بل لابدّ من العلم بمعناها والفهم لمدلولها، ولابدّ من التّحقيق لغايتِها ومقصودِها؛ من إفرادِ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالوحدانيّة، وإخلاصِ الدّين له ـ تبارك وتعالىٰ ـ، أمّا أن يقولَ المَرْءُ: «لا إِلَهَ إلّا اللهُ» ثمَّ يَنقضُها بمقاله أو فعاله؛ كأنْ يَدعُوَ غيرَ اللهِ بأن يقول: مدَد يا فُلان! أو أغِثني يا فُلان! أو أنا عائِذٌ بك يا فُلان! أو ملتجئٌ إليك يا فُلان! أو أن يَذبَحَ أو ينذُرَ لغَير الله!

فهذا كلّه نَاقِضٌ لـ«لا إِلَهَ إلّا اللهُ» مُبايِنٌ لها، فـ«لا إله إلّا اللهُ» إنّما تنفع قائلَها إذا قالَها عن فهم لمعناها، وتحقيقٍ لمدلولها، وقيام بغايتِها ومقصودِها من توحيدِ الله ﷻ وإخلاصِ الدِّينِ له ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

ولقد كان المشركون الذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷺ يفهمون معنىٰ «لا إله إلّا اللهُ»، لكنّهم استكبَرُوا عن قَبُولها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصَّافَّات]، حيث فهموا أنّها تَعنِي تَرْكَ الآلهةِ وبطلانَ عبادَتِها من دون الله، ولهذا قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، أي: أمْرٌ في غاية العَجَبِ، ثمَّ أخذوا يتواصَوْنَ بينهم علىٰ الصَّبرِ علىٰ عبادةِ الآلهة ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦]، ويحدّث بَعضُهم بعضًا مُغتَبِطِين بهذا الصَّبر، ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، أي: لولا أنّنا تَحلّيْنَا بالصَّبر، وإلّا كاد أن يُضِلّنا عن هذه الآلهةِ وعن عبادَتِها، فهم عَرَفُوا معنىٰ «لا إله إلّا اللهُ» وأنّها تَعنِي إخلاصَ العبادة لله ـ تباركَ وتعالىٰ ـ والكُفْرَ بكُلّ مَعبُودٍ سواه، وأنّ كُلّ مَعبُودٍ سوىٰ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ عبادته باطلَةٌ يَجبُ أن يُكفَرَ به ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، أي: استَمسك بـ«لا إلهَ إلّا اللهُ» بخلافِ المُشركين في الزَّمان المُتأخِّر؛ إذ لم يَسْتكبِرُوا عن قَبُولها نطقًا، بل يُردّدونَها مرَّاتٍ وكرَّاتٍ لكنّهم نَقضُوها بمَقَالهم وفِعَالهم؛ دعاءً للمَقبُورِين واستغاثةً بهم والتجاءً إليهم في تفريج الكُرُبات وقضاءِ الحاجاتِ، مع ذبح لهم ونَذْرٍ وغيرِ ذلك، فأيُّ شيءٍ يَنفَعُهم ذلك النّطق؟!

الحاصل أنّ «لا إله إلّا اللهُ» إنّما تَنفَعُ قائِلَها إذا حَقّق ما دلّت عليه، كما قال الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ: «**نافِيًا جميعَ ما يُعبَدُ من دون الله، إلّا اللهُ؛ مُثبِتًا العبادةَ لله وحدَه لا شريكَ له**» أي: فلا يدعو إلّا اللهَ، ولا يستغيث إلّا بالله، ولا يَتوَكّل إلّا علىٰ الله، ولا يَذبَحُ إلّا لله، ولا يَنذُرُ إلّا لله، ولا يَصرِفُ شيئًا من العبادة إلّا لله ـ تباركَ وتعالىٰ ـ وحدَه. ❁



○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأمّا شروط «لا إله إلّا اللهُ» فهي: العلمُ المُنَافِي للجَهل، واليقينُ المُنَافي للشّكِّ، والإخلاصُ المُنافي للشِّرك، والصِّدق المُنافي للكذب، والمَحبَّةُ المُنافِيَةُ للبُغضِ، والانقِيادُ المُنافي للتّرْكِ، والقَبُول المُنافي للرَّدّ، والكُفْرُ بما يُعبَدُ من دون الله، وقد جُمعَتْ في البيتَيْنِ الآتيَيْن:

علـمٌ يقـينٌ وإخـلاصٌ وصـدقك مَـعْ ... محبَّـةٍ وانقيـادٍ والقبـول لهـا
وزِيـدَ ثَامنُهـا الكفـرانُ منـك بمـا ... سـوىٰ الإلـه مـن الأشـياء قـد ألّهـا

الشرح:

○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمّا شُروط لا إلهَ إلّا الله فهيَ» وذكرها، وهي ثمانية شُروط.

فإذا قال قائلٌ: من أينَ أتَيْتم بهذه الشّروط؟

يُقَال: منَ المَصدَرِ الّذي اسْتخْلصَتْ منه شروط الصَّلاةِ، وشروط الحجِّ، وغيرِ ذلك من العبادات؛ فكَما أنّ الصَّلاةَ لها شروطٌ لا تقبَل إلّا بها، والحجُّ له شروطٌ لا يُقبَل إلّا بها، والزّكاةُ لها شروطٌ لا تقبَل إلّا بها، وغيرُ ذلك من الطّاعاتِ لا تقبَل إلّا بشروطِها؛ فكذلكَ «لا إله إلّا اللهُ» لا تقبَل من قَائِلها إلّا بشروطِها، وهي شروطٌ عُلمَتْ بالاستقراءِ والتّتبُّعِ لكلام الله ﷻ، وكلام رسوله صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه.

قيل لوهب بن مُنبِّه رَحِمَهُ اللَّهُ: «أليسَ لا إلهَ إلّا اللّهُ مفتاحُ الجنّةِ؟ قال: «بَلَىٰ، ولَكِنْ لَيْسَ مفْتَاحٌ إِلّا لَهُ أسْنَانٌ، فإنْ جِئْتَ بِمفْتَاحٍ لَهُ أسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وإلّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[(١)]. يشير بذلكَ إلىٰ شروطِها وضوابِطها وقيودِها الوارِدَةِ في كتاب اللهِ وسُنّةِ نبيِّه ﷺ.

فإن قال قائلٌ: إنّ مُجرَّدَ النّطقِ بشهادة أن لا إلهَ إلّا اللهُ يَنفَعُ، وأنّها تقبَل بدونِ ضَوابط وبدونِ شُروط؛ قيل: معنىٰ ذلكَ: أنّ قولَ المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ينفعُهم، وكذلكَ قولهم إذا لَقوا الّذين آمنوا: آمنّا،

---

(١) علّقه البُخاري في «صحيحه»، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلّا الله، ووصله في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦).

ينفَعهم!! ولا يقول بذلك قائلٌ.

فـ«لا إله إلّا اللهُ» لا تقبَل من قائلها بمُجَرَّدِ النّطق، بل لابدّ من الإتيانِ بشروطِها وضوابطِها المُستمَدّةِ من الكتاب والسُّنّة.

جاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه قيل له: إنّ ناسًا يقولون: مَنْ قال لا إله إلّا اللهُ دخل الجَنَّةَ. فقال: «مَنْ قال لا إِلَهَ إلّا اللهُ فأدّىٰ حقّها وفَرْضَها دخَلَ الجَنّةَ»(١).

○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وأمّا شروط لا إله إلّا اللهُ فهي**»:

□ **الأوّل**: «**العلم المُنافي للجهل**»: أي: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، وحقيقة ما دلّت عليه من توحيد الله ﷻ، وإفرادِه ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة، وإخلاص الدّين له، والكفرِ بكلّ ما يُعبَدُ من دون الله، كما مرَّتْ معنا الآيات الكثيرات الّتي توضِّحُ معنىٰ «لا إله إلّا اللهُ» كقوله تعالىٰ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله: «**المُنافي للجهل**» أي: علمًا صحيحًا وفهمًا قويمًا لهذه الكلمة يخرُجُ به عن سبيل الجهل والجاهلين، فإن قالَها بلا علم بمعناها ومدلولها؛ فإنّها لا تَنفَعُه، قال الله سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم إذ هُو الأساسُ، وقال الله سُبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [سورة الزخرف]، قال المُفَسِّرُون: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بـ«لا إله إلّا اللهُ» ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: يعلمون معنىٰ ما شهدوا به(٢). وفي «صحيح مسلم»(٣) عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أنّه قال: «**مَنْ مَاتَ وهُوَ يَعْلَمُ أنّهُ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ دَخَلَ الجَنّةَ**» فاشترط العلمَ.

□ **الثّاني**: «**اليقين المُنافي للشّكِّ والرَّيبِ**» واليقين هو تمامُ العلم وكماله، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، أي:

(١) أخرجه قوام السُّنّة في «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (٢/ ١٥٢).
(٢) انظر: «تفسير الطّبري» (٢٠/ ٦٦٢)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٢٢٤).
(٣) برقم (٢٦) من حديث عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيقَنُوا، ولم يَشُكّوا، فالإيمان والتّوحيدُ لابُدّ فيه من اليقين، والعقيدة الصَّادقةِ الصَّحيحةِ، ورَبْطِ القَلْبِ علىٰ ذلك، أمَّا إذا كان الشّخصُ مُترَدّدًا شاكًّا مُرتَابًا فهذا لا يُقبَل منه، وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أنّه قال: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَأَنِّي رَسُول اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلّا دَخَلَ الجَنّةَ**». فاشترط اليقينَ وهو انتفاءُ الشّكِّ. وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بالجَنّةِ**»(٢). فلابُدّ أن تكون نابعةً عن يقينٍ من قلبِ قَائِلها، فلا يكون عنده شكٌّ ولا ارتيابٌ، فإن وجد الشّكّ والارتيابَ لم تقبَلْ منه وإن قالها مرَّاتٍ.

□ **الثّالث من شروطها: «الإخلاص المُنافي للشِّرك والرِّياء»** كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وفي «الصَّحيح» عن نبيِّنا ﷺ أنّه قال: «**أَسْعَدُ النّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(٣). فاشترط ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ الإخلاصَ؛ أن تكون نابعةً من قلبٍ مُخلصٍ لله، لم يُرِدْ بهذه الكلمةِ وبأعمال الدّين إلّا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ والخالص: هو الصَّافي النّقيُّ الّذي ليس فيه شائبةُ شركٍ أو رياءٍ أو نحو ذلك.

وفي معنىٰ الخالص لغةً تأمَّلْ قولَ الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿خَالِصٗا﴾ أي: صافيًا نقيًّا، ليس فيه شائبةُ دم ولا شائبةُ فَرْثٍ، مع أنّه يَخرُجُ من بين فرثٍ ودم، لكنّه يخرج في غايةِ الصَّفاء وتمام النّقاء.

فإخلاصُ العبادة لله ربِّ العالمين أن تكونَ العبادةُ صافيةً نقيَّةً، لم يُرَدْ بها إلّا اللهُ

---

(١) برقم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ـ سبحانه وتعالى ـ، فإذا جُعِلَ مع الله ﷻ غيرُه في العبادَة خَرَجَتْ عن هذَا الصَّفاء والنّقاء فلا تقبَل، ولهذا يقول الله سبحانه في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَملَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١). والإخلاص محلّه ومنبعُه القَلب، ولهذا قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**خَالصًا منْ قَلْبِهِ**».

□ **الرَّابع من شروطها**: «**الصِّدق المُنافي للكذب**» بأن يقولَها صادِقًا من قَلبه، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**مَا منْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ صِدْقًا منْ قَلْبِهِ، إِلّا حَرَّمَهُ اللّهُ عَلَىٰ النّارِ**»(٢). فاشترط ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ الصِّدقَ في هذه الكلمة، والصِّدق فيها أن يكون ما يقوله بلسانه يَنطَوِي عليه قَلبُه، أمَّا إذا كان يقولها بلسانه ولا يَعتَقِدُ مَدلولَها بقَلبِه فهذا هو المُنافِق، ولهذا قال اللهُ سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، أي: كاذبون في أنّ ما قالوه بألسنتهم لا يعتقدونه في قلوبهم؛ فمَنْ يقولها بلسانِه قولًا مُجَرَّدًا وقلبُه لا يَعتَقِدُ ما دلّتْ عليه فهذا كاذِبٌ لا تقبَل منه هذه الكلمةُ.

□ **الخامس من شُروطها**: «**المَحبَّةُ المُنافيةُ للبُغضِ والكُرْهِ**» بأن يحبَّ قائلها اللهَ ﷻ، وَرسولَه ﷺ، ودينَ الإسلام، والمُسلمين القائمين بأوامر الله الواقفين عند حدوده، وأن يُبغِضَ مَنْ خالف «لا إله إلّا اللهُ» وأتىٰ بما يُناقِضُها من شركٍ وكفرٍ، وممَّا يَدُلّ علىٰ اشتراطِ المحبَّةِ: قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن الكفّار المُشرِكين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ لأنّ محبَّةَ المؤمنين لله ﷻ محبَّةٌ خالصةٌ، وأمَّا محبَّةُ المشركين لله فمَحبَّةٌ سُوِّيَ فيها غيرُ اللهِ باللهِ، ولهذا يقولون يومَ القيامة إذا أدخِلوا النّارَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فـ«لا إله إلّا اللهُ» إنّما تَنفَعُ عندما تكون نابعةً عن محبَّةٍ لله ﷻ، ومحبَّةٍ لهذه الكلمةِ العظيمةِ، ومحبَّةٍ لمَا دلّتْ عليه؛ من توحيدِ الله، وإخلاصِ الدّينِ له، ومحبَّةٍ لأهلها وأعمالها، ومن الدّعاءِ العظيم المأثورِ عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «**وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عمل يُقَرِّبُنِي إِلَىٰ حُبِّكَ**»(١). وفي حديث أنسٍ ﷺ عن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحبَّ المَرْءَ لَا يُحبُّهُ إِلّا للّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ**»(٢)؛ أمورٌ ثلاثةٌ: أَصْلٌ، وتفريعٌ، ونفيٌ للمُضادّ:

♦ **الأصل**: مَحبَّةُ الله ﷻ. ♦ **والتّفريع**: مَحبَّةُ ما يُحبُّه اللهُ ﷻ.

♦ **ونفيُ المُضَادّ**: أن يكرَهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذْ أنقَذَهُ اللهُ ﷻ منه، كما يكره أن يُقذَفَ في النّار.

□ **السَّادس من شروطها**: «**الانقيادُ المُنَافِي للتّرْكِ**» والانقيادُ: هو الاستسلام والطّواعِيَةُ والامتثال لأمرِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، فـ«لا إله إلّا اللهُ» تعني استسلامَ العبد لله ﷻ، وانقيادَهُ لشَرْعِهِ، وطاعَتِه لأمرِه ـ جلّ في عُلاه ـ، ولهذا يقول ـ جلّ وعَلا ـ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، أي: بـ«لا إلَهَ إلّا اللهُ» ويقول ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، أي: انْقَادُوا وامتَثِلوا، فأهل «لا إله إلّا اللهُ» حقًّا: مَن يَسْتَسْلِمُون للهِ انقيادًا وطَوَاعيةً، وامْتِثالًا لأوامِرِه ـ جلّ وعلا ـ.

□ **السَّابع من شروطها**: «**القَبول المُنَافِي للرَّدّ**» القَبول، أي: لهذه الكلمة، ولمَا تَقتَضِيه من توحيدِ اللهِ ﷻ، وإخلاصِ الدّين له، قال الله سبحانه في شأن المُشرِكين:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٩٠)، والترمذي (٣٢٣٥) عن معاذ ﷺ، وهو جزء من حديث اختصام الملأ الأعلىٰ، وقد صحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٣١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، عن أنس ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات]، فذكر من حالهم أنّهم أبَوْا أن يقولوا: «لا إله إلّا اللهُ» وأن يَقبَلوا هذه الكلمة وما دلّتْ عليه من توحيد الله ﷻ، وإخلاص الدّين له.

□ **الثّامن من شروطها: «الكُفر بما يُعبَدُ من دون الله»** كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**»[1]. فهذا قَيْدٌ لا تكون «لا إله إلّا اللهُ» مقبولةً إلّا به؛ الكفرُ بما يُعبَدُ من دون الله بالبَراءة من الشِّركِ وأهله، ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. ◉



❍ قال رحمه الله: «وقد جُمعَتْ - أي: هذه الشّروط - في البيتَيْنِ الآتيَيْنِ:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مَعْ ... محبَّةٍ وانقيادٍ والقبول لها

وزِيدَ ثَامنُها الكفرانُ منك بما ... سوىٰ الإلهِ من الأشياء قد أُلّها

الشرح:

❍ فهذه هي شروط «لا إله إلّا اللهُ» الثّمانِيَةُ، ومن أهل العلم من يَقتَصِرُ في عَدّها علىٰ سبعةٍ باعتبار أنّ الثّامنَ الّذي زِيدَ داخِلٌ فيما قبلَه، وممَّن جمَعَها نظمًا الشّيخُ حافِظ حَكَمي رحمه الله في منظومته: «سُلّم الوصول»، قال:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قيِّدَتْ ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردَتْ

فإنّهُ لَمْ ينتَفِع قائلها ... بالنّطقِ إلّا حيث يَستَكملها

العلمُ واليقينُ والقَبول ... والانقيادُ فادْرِ ما أقول

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣) عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه.

والصِّــــدق والإخــــلاصُ والمَحَبَّــــهْ   وفّقَـــــــكَ اللهُ لمَــــــــا أحبَّــــــــهْ

وشرحها في كتابه: «معارج القَبول شرح منظومة سلّم الوصول»[(١)]، وهو مطبوعٌ متداولٌ، يُنصَحُ باقتنائه والإفادةِ منه؛ فإنّه كتابٌ عظيمٌ جدًّا في بابه، قد أحسَنَ فيه مُؤَلّفُه رَحِمَهُ اللهُ، وأجاد وأفاد، وحشد فيه الأدلّةَ من كتاب الله وسنّة رسوله ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في بيانِ جوانب الاعتقاد وأصول الدّيانة.



○ قال رَحِمَهُ اللهُ:

«مع بيان شهادةِ أنّ مُحمَّدًا رسول الله، ومقتضاها: تصديقه فيما أخْبَرَ، وطاعته فيما أَمَر، واجتنابُ ما نهىٰ عنه وزجر، وألّا يُعبَدَ اللهُ إلّا بما شرَعَه اللهُ ﷻ ورسوله ﷺ».

الشرح:

○ هذا يتعلّق بالشّهادة للنّبيِّ ﷺ بالرِّسالة، وهي قرينة الشّهادة لله ﷻ بالوحدانيَّة، وهذا من عظيم شَرَفِ النّبيِّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ ورفيع قَدرِه؛ حيث قرنَ ـ سُبحانه وتعالى ـ الشّهادةَ له ﷺ بالرِّسالة بالشّهادة له ـ جلّ وعلا ـ بالوحدانيَّة، فشهادةُ «أن لا إلهَ إلّا اللهُ» لا تقبَل إلّا بشهادة «أنّ مُحمَّدًا رسول الله».

وشهادةُ «أنّ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ» هي شهادةٌ له بالرِّسالة، والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [النِّسَاءِ: ٦٤]، فهذه الغاية من بعثَةِ الرُّسل: أنْ يُطَاعُوا، فلا يَكفِي أن يقول: أنا أشهَدُ أنّه رسولٌ، بل لابُدّ في هذه الشّهادةِ من طاعة المُرسَل، والائتمار بأمرِه، والانتهاءِ عن نواهيه، وتصديقِ أخبارِه، ولهذا قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: «ومقتَضاها: تصديقه فيما أخْبَرَ، وطاعته فيما أمَرَ، واجتنابُ ما نهىٰ عنه وزجَرَ، وألّا يُعْبَدَ اللهُ إلّا بما شرعه اللهُ ﷻ ورسوله ﷺ» وهذا هو التّحقيق لشهادة «أنّ مُحمَّدًا رسول الله» أن يَقومَ العبدُ بما تَقتَضِيه من طاعةٍ للرَّسول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في

(١) انظرها في (٢/ ٤١٨).

أوامرِه، والانتهاء عن نواهيه، والتّصديق لأخبارِه؛ لأنّه ﷺ جاء بأمور ثلاثة: أوامر، ونواهي، وأخبار؛ فمَنْ شَهِدَ له ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ بالرِّسالة؛ فلْيُصدّقْه في أخبارِه، ولْيَأْتَمرْ بأوامرِه، ولينتهِ عن نواهيه، صلوات الله وسلامُه عليه.

فشهادةُ «أنّ مُحمَّدًا رسول الله» تَعنِي: تجريدَ المتابعة للرَّسول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ، كما أنّ «لا إله إلّا اللهُ» تعني تحقيقَ التّوحيد لله وإخلاص الدّين له ـ جلّ في عُلاه ـ، فلا يكونُ المرءُ من أهل شهادة «أنّ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ» حقًّا وصدقًا إلّا إذا حقّق هذه الأمورَ الّتي تقتَضِيها هذه الشّهادةُ؛ من الطّاعة للرَّسول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في أوامرِه، والانتهاءِ عن نواهيه، والتّصديقِ له ﷺ في أخبارِه، وألّا يُعبَدَ اللهُ إلّا بما شَرَعَ، أي: بما جاء عن الرَّسول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ.

وهو ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ رسولٌ، والرَّسول مُهِمَّته إبلاغُ كلام المُرسِل ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [النور: ٥٤]، وقد بلّغ البلاغَ المُبينَ، وما تَرَكَ خَيْرًا إلّا دلّ الأمَّةَ عليه، ولا شرًّا إلّا حذّرها منه صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه، «مِن الله الرِّسالةُ، وعلىٰ الرَّسول البلاغُ، وعلينا التّسليمُ»(١).

فمَنْ قال: «أشهَدُ أنّ مُحمَّدًا رسول الله» فلْيُسَلّمْ بكُلّ ما جاء به الرَّسول ﷺ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ولْيُطِعْه في أوامرِه، فقد جُعِلَتْ طاعتَه ﷺ من طاعةِ الله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهذه الآية تسمَّىٰ «آية المحنَة» أي: فمَنِ ادّعىٰ محبَّةَ اللهِ ﷻ، فلْيَمْتَحنْ نفسَه في ضوءِ ما دلّتْ عليه من برهان

(١) كلمة ثبتت عن الزُّهري رَحِمَهُ اللهُ، أخرجها البخاري تعليقا في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، ووصلها الخلال في «السُّنة» (١٠٠١)، وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٠٤)، و«تغليق التّعليق» (٥/ ٣٦٦).

علىٰ صدقِها.

❍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وألّا يُعبَدَ اللهُ إلّا بما شرعَه اللهُ عَجَّلَ ورسوله ﷺ» لا بالأهواء والبدع؛ ولهذا تكاثرت عنه ﷺ الأحاديث في التّحذير من البدع والنّهي عنها، ومن الأحاديث العَظيمة الّتي عدّها العلماء أصلًا من أصول الدّين الّتي يقومُ عليها دينُ الإسلام قوله ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»(١). وفي روايةٍ: «مَنْ عَملَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢). أي: مَردُودٌ علىٰ صاحبِه، غيرُ مَقبُول منه، وكان ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ إذا خَطَبَ النّاسَ قال: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣). وقال في حديث العرباض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ منْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنّ كُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٤). والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

والشّهادتان؛ «شهادة أن لا إِلَهَ إِلّا اللهُ» و«شهادة أنّ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ» عليهما قيامُ الدّين كلّه، فـ«لا إله إلّا اللهُ» تَعنِي: الإخلاصَ، و«مُحمَّدٌ رسول الله» تعني: المتابعةَ، والدّينُ إنّما يقوم علىٰ الإخلاص للمعبود عَجَّلَ، والمتابعة للرَّسول ﷺ، كما قال الفُضَيْل بنُ عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، قال: «أخلَصُه وأصوبُه» قيل: يا أبا عليٍّ! وما أخلَصُه وأصْوَبُه؟ قال: «إنّ العملَ إذا كان خالصًا ولم يكُنْ صوابًا؛ لم يُقبَلْ، وإذا كان صوابًا ولم يكُنْ خالصًا؛ لم يُقبَلْ؛ حتّىٰ يكونَ خالصًا صوابًا؛ والخالصُ: ما كان لله، والصَّوابُ: ما كان علىٰ السُّنّة»(٥)؛ فالخالص: ما كان لله

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢) وغيرهم.
(٥) أخرجه ابنُ أبي الدّنيا في «الإخلاص والنية» (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥).

ﷻ، وهذا مدلول: «لا إله إلّا اللهُ»، والصَّواب: ما كان علىٰ السُّنّة، وهذا مدلول: «مُحمَّدٌ رسول الله ﷺ».

فعلىٰ هاتَيْن الكلمَتَيْن قيامُ دينِ اللهِ، وعن هاتَيْن الكلمَتَيْن يُسأل الأوَّلون والآخِرُون:

١ ـ ماذا كنتم تَعبُدون؟ وجوابه: «لا إله إلا الله».

٢ ـ ماذا أجَبْتمُ المُرسَلين؟ وجوابه: «محمد رسول الله».

الأوَّل: الإخلاصُ، والثّاني: المتابعة.



قال رَحِمَهُ اللهُ:

«ثمَّ يُبيَّنُ للطّالب بقيَّةُ أركانِ الإسلام الخمسةِ وهي: الصَّلاةُ، والزَّكاةُ، وصومُ رمضان، وحجُّ البيتِ الحرام لمَن استطاعَ إليه سبيلًا».

الشرح:

○ تبيَّنُ أركانُ الإسلام من حيث أهمِّيَّتها وبيانُ شيءٍ من أحكامها.

فالصَّلاةُ: هي **الرُّكن الثّاني** من أركان الإسلام، وهي أعظَمُ مَبانِيه بعد التّوحيد، وهي البُرهَانُ لصدق إيمانِ الشّخصِ، كما قال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ عندما ذُكِرَتْ عنده الصَّلاةُ قال: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**»[(١)]. فالصَّلاةُ بُرهَانٌ، أي: شاهِدٌ ودليلٌ علىٰ صدق إيمانِ الشّخص، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ١٨]، وجاء في الحديث عن نبيِّنَا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أنّه قال:

(١) أخرجه أحمد (٦٥٧٦)، والدارمي في «مسنده» (٢٧٦٣)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٢٥٦٥)، وابن حبَّان في «صحيحه» (١٤٦٧) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «بإسناد حسن». انظر: «مجموع فتاويه» (١٠/ ٢٧٨).

«**العَهْدُ الّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١).

وشأنُ الصَّلاة في دين الله - تبارك وتعالىٰ - شأنٌ عظيمٌ، وهي أوَّل ما يُسأل عنه العبدُ يومَ القيامة، فإن قبِلَتْ فقد أفْلَحَ وأنْجَحَ، وإن رُدّتْ خاب وخَسِرَ(٢). وقد جاء في القرآن نصوصٌ كثيرةٌ في الأمرِ بإقامتِها، والمحافظةِ عليها، والعنايةِ بمواقيتِها، والتّحذيرِ من السَّهو عنها، والتّفريط فيها، وإضاعتِها؛ منها قوله ﷻ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠] في أكْثَرَ من موضع من كتاب الله سُبحانه، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [سورة المدثر]، إلىٰ غير ذلك من الآيات المُعظِّمةِ لشأن الصَّلاةِ، المُبيِّنةِ لعظيم مكانَتِها ورفيع مَنزِلَتِها في دين الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

وَحريٌّ بكلّ مسلم أن تَعظمَ عنايته بهذه الفريضَة الّتي هي صلةٌ بينَه وبينَ ربِّه تعالىٰ، اهتمامًا بأركانِها وواجبَاتِها وشروطِها وغيرِ ذلكم ممَّا شرع اللهُ فيها، وأن يُؤدّيَها بغايةِ الخشوع والإحسَان والطّمأنينةِ ظاهرًا وباطنًا ليفُوزَ بعظيم الثّواب، ففي «صحيح مسلم»(٣) عن عثمان بن عفّان ﷺ قال: «سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلم تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إلّا كَانَتْ كَفّارَةً لمَا قَبْلَهَا منَ الذّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلكَ الدّهْرَ كُلّهُ**».

والرُّكنُ الثّالث: **الزَّكاة**، وهي قرينةُ الصَّلاةُ في كتاب الله - جلّ وعلا -، والزَّكاةُ تطَهِّرُ المرءَ، وتزكّي قلبَه، وتزكّي مالَه، وتكونُ بركةً له ولماله، و«**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، عن بريدة ابن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٢) ورد ذلك في حديث أخرجه الترمذي (٤١٣)، والنّسائي (٤٦٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٢٠).

(٣) برقم (٢٢٨).

مَال»[(١)].

والزَّكاةُ قليلٌ من كثير أعطاه اللهُ ﷻ الأغنياءَ، وَهي صدقةٌ تؤخَذُ من الأغنياء وترَدّ علىٰ الفُقَرَاءِ، ويترتّبُ عليها من المصالح والمنافع الشّيءُ الكثيرُ؛ من تحقيق المودّةِ، والتّكافُل والتّراحُم والتّعاوُن، وزوال الخصال الذّميمةِ من حَسَدٍ وبغضاءَ وعُدوَانٍ وغيرِ ذلك، وهي من محاسِن هذا الدّين العَظيم؛ لأنّها تحقّق مصالحَ عظيمةً للمُجتَمعاتِ المُسلمَةِ، وتظهِرُ قوَّةَ التّكافُل الّذي جاء به الإسلام وأوْجَبَه وافْتَرَضه، «صَدَقَةً تؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَترَدّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ»[(٢)]. ولهذا لابُدّ أن يُعنىٰ المُسلمُ بهذه الفريضةِ العظيمةِ، فمَنْ كان عِندَه مالٌ يَبلغُ النِّصابَ وجَبَ عليه أن يَتعلّمَ أحكامَها حتّىٰ يُؤَدّيَها كما أمر اللهُ ﷻ إلىٰ أهلها، وأن يُحافِظَ علىٰ إخراجها طيِّبَةً بها نفسُه، مُتقرِّبًا بها إلىٰ ربِّه ـ سبحانه وتعالى ـ ليفُوز بتَحقيقه لهذه العبادَة فوزًا عظيمًا، وما تقرَّبَ مُتقَرِّبٌ إلىٰ الله بشيءٍ أحبَّ إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالى ـ ممَّا افْترَضَهُ ـ جلّ وعلا ـ علىٰ عباده.

والرُّكن الرَّابع: الصِّيام؛ رمضان شهرٌ مبارك عظيم، افترض الله ـ سبحانه وتعالى ـ علىٰ عباده صيامَه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فالصِّيام تحقيقٌ لتقوىٰ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وتخليصٌ للنّفس من رعوناتِها وتتبُّعِها لملَذّاتِها وشهواتِها، لكونه يُمَرِّنُ النّفوسَ علىٰ الصَّبرِ عمَّا تَهوَاهُ ممَّا يُلائِمُها ويُوافِق طَبيعَتَها، فمتىٰ تمرَّنَتِ النّفسُ علىٰ ذلك بالصِّيام هانَ عليها تَركُ المحارِمِ الّتي لا تَتِمُّ التّقوىٰ إلّا بتَرْكِها فهو جُنّةٌ للعَبْدِ من الذّنوبِ ومن سَخَطِ الرَّبِّ ـ سُبحانه وتَعالى ـ، وفيه من المصالح والخَيرات والبَركات الشّيءُ الكثير، وهو شَهْرٌ في السَّنَةِ افترض الله ـ سبحانه وتعالى ـ علىٰ العباد صيامَه، فمَن وُفّقَ لأداء الصِّيام كما ينبغي كانَ له زادًا في عامه كُلّه، يصوم شهرًا لكن تبقىٰ آثارُه في العام كلّه بإذن الله

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

والرُّكن الخامس: **الحجُّ**، افترضَه اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ في العُمُرِ كلّه مرَّةً واحدةً علىٰ المُستَطِيع وما زاد فهو تَطوُّعٌ، كما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقد ثبت عن النّبيِّ ﷺ أحاديث كثيرةٌ في ترغيب أمَّتِه في الحجِّ وحثّهم علىٰ هذه الطّاعةِ العظيمةِ، وبيانِ ما يَغنَمُونَه في الحجِّ من أجورٍ عظيمةٍ وثوابٍ جزيلٍ وغفرانٍ للذّنوب، فمَنْ كان مُستَطِيعًا وجب عليه أن يجتَهد في معرفة أحكام الحجِّ ليُؤَدّيَه علىٰ بصيرةٍ، وليفوزَ بخَيْراته وأجوره الوفيرة.

وتأمَّلْ ـ رعاك الله ـ هذه المباني الخمسةَ الّتي يقوم عليها دينُ اللهِ ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وتأمَّلْ عِظَمَ شَأنِها ورَفيعَ مكانَتِها من دينِ الله ﷻ، وأنّ مَنْ وفّقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأكرَمه بتحقيقها والقيام بها كما ينبغي؛ دخل يومَ القيامة الجنّةَ، كما في حديث مُعاذ رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسولَ اللّهِ! أخبِرْني بعَمَلٍ يُدخِلني الجنّةَ، ويُباعِدُني عن النّارِ» فعَدّ له ﷺ هذه المَباني الخمسَة[(١)]. وفي حديث جابر في «صحيح مسلم»[(٢)] أنّ رجلًا قال للنّبيِّ ـ عليه الصّلاةُ والسّلام ـ: «أَرَأَيْتَ إِذَا صَلّيْت الصَّلَوَاتِ المَكْتوبَاتِ، وَصُمْت رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْت الحَلَالَ، وَحَرَّمْت الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ ذَلكَ شَيْئًا أَأَدْخُل الجَنّةَ؟» قال: «**نَعَمْ**».

وفي خبر الرَّجُل الأعرابيِّ الّذي عدّدَ ﷺ عليه هذه الأركانَ، فقال: «واللّهِ لا أزيدُ علىٰ هذا ولا أنْقصُ». قال ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». وفي روايةٍ: «**دَخَلَ الجَنّةَ إِنْ صَدَقَ**»[(٣)].

فهذه الأركانُ الخمسةُ هي المباني الّتي يقومُ عليها الإسلامُ، ويجبُ علىٰ المُسلم أن يُحافِظَ عليها مُحافَظَةً دقيقةً، ويعنىٰ بها عنايةً فائقةً، وهي أعظم ما يُتقَرَّبُ به إلىٰ الله

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، عن مُعاذ بن جَبل رضي الله عنه. وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (٤١٣).

(٢) برقم (١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦، ١٨٩١)، وأخرجه مسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

ﷻ، كمَا في الحديث القدسِيِّ: «**ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»[1]. فإذا وُفّقَ العبدُ للمُحافظة عليها في حياته كان يوم القيامة من أهل الجنّة.

ولهذَا ينبغي علىٰ أهل العلم وطلّابِ العلم أن يُعنَوْا بحَثّ العوامِّ وعموم النّاسِ علىٰ المحافظةِ علىٰ هذه الأركان والعنايةِ بها، ويُبيِّنُوا لهم مكانَتَها وعظيمَ شَأنِها من دين الله ﷻ، وأنّ مثَلَها من الدّين كمَثَل الأعمدةِ من البُنيان، وينبغي علىٰ كلّ مسلم أن يُحافِظَ علىٰ هذه الأعمدَة، مُستعِينًا بالله، طالبًا مدّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ وتوفيقَه.



(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الدرس الثالث:
أركـــان الإيمـــان

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرس الثّالث: أركان الإيمان:

أركان الإيمان، وهي ستّة: أن تؤمنَ بالله، وملائكتِه، وكُتبِه، ورُسُله، وباليوم الآخِر، وتؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه من الله تعالىٰ».

الشرح:

○ الإيمانُ أشْرَفُ المَطالب، وأجلّ المَواهب، وأعظَمُ الأهداف، وأرْفَعُ الغايات وأنْبَلها؛ فبالإيمانِ يَحْيَا العبدُ الحياةَ الطّيّبَةَ في حياتِه الدّنيا، ويفوزُ يومَ القيامة بثَواب الله العَظيم ونعيمه المُقيم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وثمارُ الإيمانِ وآثارُه المُباركات علىٰ العبد في دنياه وأخراه لا تحصَىٰ ولا تسْتَقْصَىٰ، بل إنّ كلّ خيرٍ يناله العبدُ في الدّنيا والآخرة، وكلّ اندفاعِ شرٍّ يتحقّق للعبد في الدّنيا والآخرة، فهو من ثمار الإيمان وآثاره العظيمة المباركة.

والإيمان؛ أجلّ المواهب، وأعظمُ العطايا، وأكبرُ المنَن، وهو: منّةُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ علىٰ مَن شاء من عبادِه، كما قال ـ جلّ في عُلاه ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحجرات]، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

وهو يقوم علىٰ أصول عظيمةٍ وأسسٍ متينةٍ لا قيامَ للإيمان إلّا عليها؛ فإنّ مَثَل هذه

الأصول مع الإيمان كمَثَل الأساسِ للبُنْيَانِ والأصول للأشجار، كما يَدُلّ لذلكَ قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سُورَةُ إبراهِيمَ]؛ فهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده، ودعاهم لتأمُّله والتّفكّر فيه، في بيان الإيمان وأصوله، وما يقوم عليه، وما يتفرَّعُ عنه من فُروع، وما يترتّبُ عليه من ثمارٍ وفوائد ينالها أهل الإيمان في دُنياهم وأخراهم، والشّاهد من إيرادِ هذه الآيةِ قول الله ـ جلّ في علاه ـ: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فكمَا أنّ الشّجَرَ لا يقومُ إلّا علىٰ أصوله، فكذلكَ الإيمانُ لا يقومُ إلّا علىٰ أصوله وأركانِه ودعائمه، وإذا كانت الشّجرَةُ إذا قطِعَ أصلها ماتت، فكذلكَ الإيمانُ إذا عُدِمَ أصله انتفىٰ، ولم يُنتفَعْ بعمل ولا قربَةٍ، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥].

فالأعمال والطّاعات وأنواع القربات إنّما تكونُ مقبولةً من العامل إذا كانت قائمةً علىٰ إيمانٍ صحيح وعقيدةٍ راسخةٍ ثابتةٍ في القَلب، ولهذا فالإيمانُ ـ بأصوله العظيمةِ وأسُسِه المتينة ـ يُصحِّحُ الأعمالَ، ولا تكونُ مقبولةً إلّا به، كما قال ـ جلّ وعَلا ـ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسرَاء: ١٩]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النّحل: ٩٧]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

وقد دلّ الكتابُ والسُّنّةُ علىٰ أنّ الإيمانَ يقوم علىٰ أركانٍ ستّةٍ، وقد عرفنا أنّ الرُّكنَ هو جانب الشّيءِ الأقوىٰ الّذي لا قِيامَ للشّيءِ إلّا عليه، فأركان الإيمان هي دعائمُ الإيمان وأصوله وأعمدَته الّتي عليها يَرتكِز، فلا قيامَ للإيمان إلّا عليها، وهي أصولٌ ستّةٌ جاء تِبيَانُها في كتابِ اللهِ ﷻ وسُنّةِ رسوله ﷺ، وهي: الإيمانُ بالله، وملائكتِه، وكُتبِه، ورُسُله، واليوم الآخِرِ، والإيمانُ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه؛ وهي أصولٌ اتّفَقَ الأنبياءُ كلّهم ـ من أوّلهم إلىٰ آخِرِهم ـ علىٰ الدّعوة إليها، بل إنّ دعواتِ الأنبياءِ تَرتكِزُ علىٰ هذه الأصول وتقومُ عليها، وقد قال نبيُّنا ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلّاتٍ؛**

أمَّهَاتهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[(١)]؛ أي: عقيدَتهم واحدةٌ وأصولهم واحدةٌ، ولهذا يقول العلماء: إنّ أمورَ الاعتقادِ وأصولَ الدّيانةِ ليست ممَّا يَدخُله النّسخُ، لا في شريعةِ النّبيِّ الواحد، ولا بين نبيٍّ وآخَر، وإنّما النّسخُ يكون في الشّرائعِ والأحكام، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أمَّا العقيدةُ واحدةٌ، ومَن يقرأ القرآن وما قصَّه اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ من خَبَرِ الأنبياءِ وذِكر دعوَتِهم، وما تقوم عليه من أصول وأُسُسٍ؛ يَجدُ أنّ هذه الأصولَ بارزةٌ في دعوةِ أنبياءِ اللهِ ورُسُله عليهم صلوات الله وسلامُه أجمعين. ۞

وأصول الإيمان مُتلازِمَةٌ ومُتَرَابِطَةٌ، لا ينفَكّ بعضُها عن بعضٍ؛ الإيمانُ ببَعضِها يقتَضِي الإيمانَ بباقيها، والكفرُ ببعضِها أو بشَيْءٍ منها كفرٌ بها كلّها، فالدّينُ لا يقوم إلّا علىٰ هذه الأصول كلّها مُجتَمعةً، فمَن أخلّ بشيءٍ من هذه الأصول فلم يُؤمنْ به؛ بطَلَ إيمانُه، وحَبِطَ عَمله، وكان في الآخرة من الخاسِرين، ومثل هذه الأصول للإيمان ـ كما تقدّم ـ كمَثَل الأصول للأشجار، أرأيْتمْ لو أنّ شجرةً قطِعَ أصلها كيف يكون شأنُها؟! فهكذا الشّأنُ في الإيمان إذا انتفىٰ شيءٌ من أصوله العظيمةِ الّتي لا قيامَ له إلّا عليها.

وقد جاء تِبيَانُ هذه الأصول في كتابِ الله ﷻ وسنّةِ رسوله ـ عليه الصّلاةُ والسَّلام ـ؛ وعليه فإنّه كلّما عَظمَ نصيبُ العبدِ وحظّه من الكتاب والسُّنّةِ قراءةً وتفقهًا وتأمُّلًا وتدَبُّرًا عَظمَ حَظّه من هذه الأصول وزاد نصيبُه منها؛ ولهذا فإنّ النّاسَ يتفاوتونَ في الإيمان بها بحَسَبِ تفاوُتِهم في فهم القرآن وفهم سنّةِ النّبيِّ الكريم ﷺ؛ فإنّه كُلّما عَظمَتْ عند العبد وتمكّنت في قلبِه الشّواهدُ والدّلائل والبراهينُ والحُجَجُ علىٰ هذه الأصول، وما تَزُول به الشّبَهُ الّتي يُلْقِيها الشّيطانُ؛ زاد إيمانُه رسوخًا وقوّةً وتَمكّنًا، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والقرآنُ الكريمُ بُيِّنَتْ فيه هذه الأصول أتَمَّ بيانٍ وأوفاه؛ إجمالًا وتفصيلًا، وكذلك سنّةُ النّبيِّ الكريم ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ، ولْنَقِفْ وقفاتٍ مع بعض الآياتِ في تِبيَانِ أصول الإيمان، ولا سيَّمَا الآيات الجامعات:

□ **وأوَّل ذلكَ:** ما جاء في أوَّل سُورة البَقرة؛ حيث يقول ربُّنا ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾؛ فهذه الآيات الكريمات ذُكِرَت فيها هذه الأصول العظيمةُ والأسُسُ المتينةُ وَصْفًا لعباد الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ المُتّقين، وهذا فيه أنّ أساسَ التّقوىٰ الّذي عليه تبنَىٰ وأصلَها الّذي عليه تقوم هُو الاعتقادُ الصَّحيحُ بالإيمانِ بهذه الأصول العظيمةِ والدّعائم المَتينَةِ الّتي يقومُ عليها الإيمانُ.

وقول الله سُبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: الّذين يُؤمنُونَ بكلّ ما غاب عنهم ممَّا أخبرَتْهم به رُسُل الله، وهذا من أكْمَل أوصافِ المُؤمنين وأجَلّها، حتّىٰ إنّ عبدَ الله بنَ مسعود رضي الله عنه قال: «واللهِ الّذِي لا إِلَهَ إلّا هُوَ ما آمن أحَدٌ بأفْضَلَ من إيمانٍ بغَيْبٍ»[(١)]. فانظرْ هذا الوصفَ العظيمَ الجليلَ الّذي وصَفَ اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ به عبادَه المُتّقِين، قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ فإيمانُهم لا يتوقّفُ علىٰ الحواسِّ؛ لأنّ كثيرًا من النّاس لا يُؤمنُ إلّا بما يَعرِفُه من خِلال حوَاسِّه، وحواسُّ العبدِ خمسةٌ: الذّوق، والشّمُّ، والسَّمعُ، والنّظرُ، واللّمس، فما لا يَعرِفُه من خلال هذه الحواسِّ لا يؤمن به ويَجحَدُه ويكونُ كافِرًا به، أمَّا المُؤمنُ فعِندَه هذَا الأصل العَظيمُ؛ يؤمنُ بكلّ ما غابَ عنه ممَّا أخبرَتْ به رُسُل الله عليهم السلام؛ فيَدخُل تحتَ هذه الجملةِ أصول الإيمان كلّها، ولهذا قال أبو العالية وغيرُه من أئمَّةِ التّفسير فيما نقلَه ابنُ جرير وابنُ كثير وغيرُهما: «﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (١٨٠)، وابن منده في «الإيمان» (٢٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٦)، والحاكم في «مستدركه» (٣٠٣٣)، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه» ووافقَه الذّهبي.

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: الّذين يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبِه، ورُسُله، واليوم الآخر، والقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه، والبعثِ بعد الموت»[(١)].

فهذه صفةٌ وميزَةٌ شرَّف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها أهلَ الإيمان؛ لأنّهم صدّقوا المُرسَلين، وتلقّوْا كلّ ما جاءت به رُسُل اللهِ ﷺ بالقَبُول والتّسليم، «آمنّا بالله، وبما جاء عن الله، علىٰ مُرادِ الله، وآمنّا برُسُل الله، وما جاء عن رُسُل الله، علىٰ مُرَادِ رُسُل الله»[(٢)].

«من اللهِ الرِّسالةُ، وعلىٰ الرَّسول البلاغُ، وعلينا التّسليم»[(٣)].

فهذه حال أهل الإيمان؛ يؤمنون بكلّ ما يَبلغُهم ويصِل إليهم من طريق الرُّسُل ـ عليهم صلوات اللهِ وسَلامُه ـ، ويَتلَقّوْنَه بالقبول والتّسليم، دون تردّدٍ أو توقفٍ، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، أي: أيقنُوا، ولم يَشُكّوا.

فيَدخُل تحتَ هذه الجملة: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أصول الإيمان؛ من الإيمان بالله؛ إيمانًا بأسمائه، وصفاته، وعظمته، وأفعاله، وكلّ ما أخْبَرَتْ به الرُّسُل عن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وعن الملائكة، وعن الكُتبِ، وعن أحوال الرُّسُل الأوّلين، وغيرِ ذلك.

ثمَّ قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ أي: الكُتبِ المُنزَّلَة، وفيه الإيمان بالرُّسُل الّذين أنزِلَتْ عليهم هذه الكتب ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ وهذا ذِكرٌ لأصل من أصول الإيمان، وهو: الإيمانُ باليوم الآخِرِ.

فإذًا؛ هذا التّصديرُ لسورةِ البَقرة جاء مُشتَملًا علىٰ هذه الأصول العظيمةِ والرَّكائزِ المَتينَةِ الّتي يقوم عليها دينُ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

□ **ثمَّ قال اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ بعد ذلك في السُّورةِ نفسِها:** ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ فهذا أمرٌ بالإيمان بالله

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٤٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٦٥).

(٢) ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله، ذكره ابن تيمية رحمه الله في مواضع كثيرة من كتبه؛ انظر: «الرسالة المدنية» (ص ٣)، و«جامع المسائل» (٥/ ٦٢).

(٣) سبق تخريجه.

ﷻ، وبكُلّ ما أنزِلَ منَ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فيَنتَظِمُ تحت ذلك كلّه أصول الإيمان؛ فإنّ الإيمانَ بالله ﷻ إيمانٌ به وبكلّ ما أمَرَ بالإيمان به ـ سبحانه وتعالى ـ ممَّا أنزَلَه في كُتبِه وتَضمَّنَه وَحْيُه المُنَزَّل علىٰ رُسُله الكِرَام ـ عليهم صلوات الله وسلامُه أجمعين ـ.

في هذه الآية أمرٌ بالإيمان ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وفي تمام السُّورَةِ إخبارٌ من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ بتحققِه بامتثال المؤمنين لمَا أمَرَهم به؛ ففي أوائل السُّورة جاء الأمرُ به، وفي تمامها جاء الإخبار بتحقق ذلك فيهم؛ قال اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ في تمام هذه السُّورة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيه: إثبات الإيمان باليوم الآخر، فجاءت هذه الآية في خاتمة السُّورة مُشتَمِلَةً علىٰ هذه الأصول العظيمةِ.

فافْتتِحَتْ سورةُ البقرة بأصول الإيمان، واخْتتِمَتْ بأصول الإيمان ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وقد جاء عن نبيِّنا ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ منْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(١). وهذا حثّ علىٰ قراءتهما. ومن فوائد هذه القراءةِ المُتكَرِّرَةِ كلّ ليلةٍ: تجديدُ الإيمان بهذه الأصول العظيمةِ.

ولهذا ينبغي أن يُعلَمَ أنّ الأذكارَ المشروعةَ المأثورةَ عن النّبيِّ ﷺ كلّها تصُبُّ في هذا الباب؛ تقوية الإيمان وتجديده؛ لأنّ الإيمانَ يَحتَاجُ إلىٰ تجديدٍ، كما قال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في الحديث الصَّحيح: «**إنّ الإيمَانَ لَيَخْلَق فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخلَق الثّوْبُ الخَلق، فَاسْألوا اللّهَ أنْ يُجَدّدَ الإيمَانَ فِي قلوبِكُمْ**»(٢). فالقراءة كلّ ليلةٍ لهاتَيْن الآيتَيْن يكون به تجديدٌ للإيمان واستحضارٌ واستذكارٌ للعهد بهذه الأصول العظيمةِ؛ لا سيَّما مع

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٤)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٥٨٥).

القراءة بالتّدبُّر والتّأمُّل، وأكْرِمْ بها من ليلةٍ يَفتَتِحُها المؤمنُ بتجديد العهدِ بهذه الأصول العظيمةِ الّتي يقوم عليها دينُه كلّه.

□ وفي أثناء هذه السُّورة جاء ذكرُ هذه الأصول في قول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، فذكر ـ تبارك وتعالىٰ ـ هذه الأصولَ العظيمةَ والأسُسَ المتينةَ.

وجميعُ هذه الآياتِ الّتي مرَّتْ في ذكرِ أصول الإيمان مُجتَمعَةً لم يُذكَرْ فيها الإيمانُ بالقَدر، وهو داخلٌ في الإيمان بالله ﷻ؛ لأنّ الإيمانَ بالقَدَر، إيمانٌ بقدرَةِ اللهِ ﷻ، وقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ خاصَّةٌ بتقريره كقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: ٤٩]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [سُورَةُ الأعْلَىٰ]، وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، وقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المُرسَلات: ٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٠]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

والقرآن ـ كما أشرت ـ جاء فيه تبيانٌ لهذه الأصول إجمالًا وتفصيلًا؛ ولهذا عندما تقرأ القرآنَ تجد آياتٍ كثيرةً تتعلّق بالإيمان بالله ﷻ وذِكرِ أسمائِه وصِفاتِه وعَظَمَتِه وأفعاله، وآياتٍ كثيرةً تتعلّق بالإيمان بالملائكةِ وأوْصَافِهِم وأعمالهم ووظائِفِهم، وآياتٍ كثيرةً تتعَلّق بالإيمان بالكُتبِ المُنَزَّلةِ، وآياتٍ كثيرةً تتعلّق بالأنبياء وقَصَصِهم وأخبارِهم، وآياتٍ كثيرةً في وصف اليوم الآخر وذكر أسمائه وعلاماتِه وأوصافِه وأهواله، وآياتٍ كثيرةً تتعلّق بالإيمان بالقَدَرِ؛ ولهذا لا تكاد تقرأ في القرآن آيةً إلّا وفيها ما يتعلّق بهذه الأصول العظيمةِ الّتي يقوم عليها دينُ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

وهذا كلّه ممَّا يُبيِّنُ لنا مكانةَ هذه الأصول، وعِظَمَ شأنِها، ورِفعَةَ مكانَتِها، وأنّها أساسٌ يقوم عليه دينُ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وفي حديثِ جبريل المشهور ـ حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ـ لمَّا سأل جبريل عليه السلام النّبيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال: «أخبِرْني عن الإيمانِ»؟ قال: «**أنْ تؤْمنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتؤْمنَ بالقَدَرِ**

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(١)]. فذَكَرَ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ أصولَ الإيمان السِّتَّةَ الّتي يقومُ عليها دينُ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ. ۞

وَفي السُّنّةِ أحاديث كثيرةٌ جدًّا تتعلّق بالتّعريفِ بالله ﷻ، وذِكرِ أسمائِه وأوصافِه، وعظَمَتِه ـ جلّ في عُلاه ـ، وأحاديث كثيرةٌ تتعلّق بالملائكة وذِكْرِ أوصافِهم وأعمالهم وأخبارِهم ووظائفِهم، وأحاديث كثيرةٌ تتعلّق بذكر الكُتبِ، وذِكْرِ الأنبياءِ ـ عليهم صلوات الله وسلامُه ـ، وأحاديث كثيرةٌ في وصف اليوم الآخِرِ وأهوال يوم القيامة وأوصافِ الجنّةِ والنّارِ، وأحاديث كثيرةٌ في ذكر تفاصيل تتعلّق بالإيمان بالقَدَرِ؛ فالسُّنّةُ مليئةٌ بالأحاديث الّتي تبيِّنُ هذه الأصولَ العظيمةَ والأسُسَ المتينةَ الّتي يقوم عليها دينُ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

وأصل هذه الأصول: الإيمانُ بالله ﷻ، وبقيَّةُ الأصول تَبَعٌ له وفَرْعٌ عنه، وانْظر تبعيَّةَ هذه الأصول لهذا الأصل في مثل قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، فهي أصولٌ تابعةٌ للإيمان بالله ﷻ؛ أصل أصول الإيمان وأعظمها.

والإيمانُ بالله؛ هو: الإيمان بوحدانيَّةِ الله ـ جلّ في علاه ـ في ربوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، وأسمائِه وصفاتِه؛ وبهذا يُعلَمُ أنّ الإيمانَ بالله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يقوم علىٰ أركانٍ ثلاثةٍ، لا يكون العبدُ مُؤمنًا بالله إلّا بالإيمان بها وتحقيقِها:

☐ **الرُّكن الأوّل**: الإيمانُ بوحدانيَّةِ الله ﷻ في ربوبيَّتِه؛ باعتقادِ تفرُّدِه ـ سبحانه وتعالى ـ بالرُّبوبيَّةِ لا شريك له، خَلْقًا ورَزْقًا وتصرُّفًا وتدبيرًا وإحياءً وإماتةً، وأنّ الأمرَ كلّه بيدِه، وأنّ الخلقَ كلّهم طَوْعُ تدبيرِه وتسخيرِه ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فالله سبحانه ربُّ العالمين، وخالقهم أجمعين، ومالكُهم لا شريك له، والمُتصَرِّف فيهم، المُدبِّرُ لشؤونهم؛ عطاءً ومنعًا، خفضًا ورفعًا، قبضًا وبسطا، عزًّا وذلًّا، حياةً وموتًا، الأمرُ أمرُه ـ جلّ في علاه ـ والخلق خلقه، يحكم فيهم بما يريد، ويقضي فيهم بما يشاء، لا مُعقِّبَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

لحكمه، ولا رادّ لقضائه، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ [فاطر].

□ **الرُّكن الثّاني**: الإيمانُ بوحدانيَّةِ الله ﷻ في أسمائه وصفاتِه، وأنّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ له الأسماءُ الحُسنىٰ والصِّفات العُلَا، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سورة الحشر].

والقرآنُ الكريم مُشتَمِلٌ علىٰ التّعريف بالمعبود ﷻ، وبعظَمَتِه وبأسمائه وصفاته وأفعاله ـ جلّ في علاه ـ، فمنْ أركانِ الإيمان به: الإيمانُ بأسمائه وصفاته؛ بأنْ نُثبِتَها كما جاءت، ونُمرَّها كما وَرَدَتْ، بلا تكييفٍ ولا تمثيل ولا تحريفٍ ولا تعطيل، وننفي عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما نفاه عن نفسِه وما نفاه عنه رسوله ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ، لا نتجاوزُ في هذا الباب كتابَ الله وسنّةَ رسوله ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ، وفي هذا يقول الإمامُ المُبجَّل أحمدُ بنُ حَنبل رحمه الله: «نصِفُ اللهَ بما وصف به نفسَه، وما وصفه به رسوله ﷺ؛ لا نتجاوز القرآنَ والحديثَ»(١).

ومنْ لا يُؤْمنُ بأسمائِه ﷻ وصفاتِه ليس مؤمنًا بالله، وكيف يكون مُؤمنًا بالله من يَجحَدُ أسماءَه ولو واحدًا منها؟! فإنّ جَحْدَ واحدٍ من أسمائه أو صفةٍ واحدةٍ من صفاتِه كُفْرٌ به، وانظرْ شاهدَ ذلك في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ عن الكفّارِ: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]؛ فسمَّىٰ ﷻ جحْدَهُمُ اسمَه ـ تبارك وتعالىٰ ـ «الرَّحمَن» كفرًا، وكيف يكون مؤمنًا بالله مَن لا يؤمن بأسمائه ولا يؤمن

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٦).

بصفاتِه الواردةِ في كتابِه وفي سنّةِ رسوله ـ صلوات اللهِ وسلامُه وبركاته عليه ـ؟

□ **الرُّكنُ الثّالث من أركان الإيمان بالله**: الإيمانُ بوحدانيَّةِ الله ﷻ في ألوهيَّتِه، كما قال اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [سورة الزخرف]؛ والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

والإيمانُ بوحدانيّةِ الله ﷻ في ألوهيَّتِه يكون بالاعتقاد بأنّه المَعبودُ بحقٍّ، ولا معبودَ بحقٍّ سواه، وإخلاصُ الدّين له وإفرادُه وحدَه بالعبادة؛ بأنْ يُفرِدَ العبدُ ربَّه ﷻ بالذّلّ والخضوعِ والانكسارِ والرُّكوعِ والسُّجودِ والذّبح والنّذرِ، وغير ذلك من العبادات، وهو مدلول «لا إله إلّا اللهُ» فلا يدعو إلّا اللهَ، ولا يستغيث إلّا بالله، ولا يتوَكّل إلّا علىٰ اللهِ، ولا يَذبَحُ إلّا للهِ، ولا يَنذُرُ إلّا لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، ولا يَمُدّ يدَيْهِ في دعائه إلّا لله، فالّذي يَمُدّ يَدَيْه ويدعو «مدد يا رسولَ الله!» أو: «مَدَد يا فلان!» ما عرَفَ حقيقَةَ الإيمان بالله ﷻ، ولا عَرَفَ حقيقةَ ما دعت إليه رُسُل الله ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليهم أجمعين ـ. ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام]، بهذا التّوحيد أمرَ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، وأمْضىٰ حياتَه ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ في الدّعوةِ إلىٰ هذا التّوحيدِ وهذا الإخلاصِ، **«إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ، وَاعْلَمْ أنّ الأمّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفّتْ الصُّحُفُ»**[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٦).

فهذا هو الإيمانُ بالله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وهو يقوم علىٰ هذه الأركان الثّلاثةِ، ودينُ الإسلام سُمِّيَ توحيدًا؛ لأنّ مبناه علىٰ الإيمان بوحدانيَّةِ الله في ربوبيَّته وأسمائِه وصفاتِه وألوهيَّتِه، ولا يكون مؤمنًا بالله إلّا مَن آمَن بها وحقّقَ ما دلّت عليه وما اقتضَتْهُ من توحيدٍ وإخلاصٍ لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ. ◉



❍ **الأصل الثّاني من أصول الإيمان: الإيمان بالملائكة**؛ والملائكة خلقٌ من خلْقِ الله ﷻ، وجُنْدٌ من جُنودِه، لا يَعصُون اللهَ ـ تبارك وتعالىٰ ـ ما أمَرَهم ويفعلون ما يُؤمَرون، لا يَعلَمُ عدّتَهم إلّا الّذي خَلَقَهم ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

والمطلوبُ منّا في باب الإيمان بالملائكةِ أن نُؤمنَ بالملائكة إجمالًا فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فُصِّلَ، سواءٌ في الأسماء أو الأعداد أو الأوصاف أو الوظائف.

☐ **فمثلًا: أسماء الملائكة**؛ لَم يُذكَرْ في النّصوص إلّا أسماءُ بعضِهم، مثل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ومُنكَر ونكِير. فهذه الأسماءُ التّفصيليَّةُ الّتي ورَدَتْ في الكتاب أو ورَدَتْ في السُّنَّة نؤمنُ بها تفصيلًا كما وردت، وما لم يأْتِ من أسمائهم تفصيلًا نُؤمنُ به إجمالًا، فنؤمن أنّ لله ﷻ ملائكةً، ولهم أسماءٌ اللهُ أعلَمُ بها، كذلك الأسماءُ الّتي تَشمَل الملائكةَ كلّهم، مثل: **الملائكة، والكرامُ البَرَرَة، رُسُل الله، السَّفَرَة**، فكلّ ما جاء تفصيلًا عن المَلائكة فيما يتعلّق بأسمائهم نؤمن به.

☐ **وأوصاف الملائكة**؛ نُؤمنُ تفصيلًا بما جاءت به النّصوص مُفصَّلةً في ذكر أوصاف الملائكة، وما لم يَأْتِ من التّفَاصيل في أوصافهم نؤمن به إجمالًا ولا نخوض في تفاصيلَ لا دليلَ عليها من كتابٍ ولا سنّةٍ، ولهذا لا يجوزُ للإنسان أن يَصِفَ الملائكةَ بأيِّ وصفٍ إلّا بدليل؛ لأنّهم غيبٌ، ووسيلتنا في معرفة هذا الغَيب من خلال الوحي، فما جاء في الوحي منَ التّفاصيل نؤمنُ به، وما لم يَأْتِ لا نخوضُ في شيءٍ لا علمَ لنا به، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

◉ وَمِنْ أوصاف المَلائكة عَلىٰ وَجه التّفصيل: مَا جَاء في الحَديث الصَّحيح عَن

نبيِّنا ﷺ أنّه قال: «**أذِنَ لي أنْ أحَدّث عَنْ مَلَكٍ منْ مَلَائِكَةِ اللّهِ منْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إنّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أذُنِهِ إلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمائَةِ عَام**»[(١)]. وَهذا فيه إثبات العَاتِقِ، والأذُن وشَحْمَةِ الأذُنِ، وَعِظَم الخلق، فَلو أنّ طيرًا طار من عاتِقِ الملَك مُتّجهًا إلىٰ شحمةِ أذنِه لاحتاج إلىٰ سبعمائة سنة طيران حتّىٰ يصلَ إليهَا، وأمَّا بالنِّسبَةِ لنا فالمَسافةُ بين العاتق وشحمة الأذن قصيرةٌ جدًا، لا تَكفِي أن يَقف الطّيْرُ مُجَرَّدَ وُقوف.

⦿ وَمِنْ أوصافهم: أنّهم خُلقوا من نُور، كمَا في الحديث عَن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**خُلقَتِ المَلَائكَةُ منْ نُورٍ**»[(٢)]. وأنّ لَهم أجنحَةً، قال الله تعالىٰ: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١]. وقال عبْدُ اللّهِ ابن مسعُود: «رَأىٰ رَسُول اللّهِ ﷺ جبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ ولَهُ سِتّمائَةِ جَنَاح، كُلّ جَنَاح منْهَا قَدْ سَدّ الأفُقَ، يسْقط منْ جَنَاحهِ منَ التّهَاوِيل والدّرِّ وَالْيَاقوتِ مَا اللّهُ بِهِ عَليمٌ»[(٣)].

فهم خلقٌ عظيم، لهم أوصافٌ عظيمةٌ تدلّ علىٰ عَظَمَةِ هذه المخلوقات وقوَّتِها وكِبَرِ أجسامها.

□ **وأعدادُ الملائكة** إجمَالا، نؤمنُ بأنّ عددَهم لا يُحصيه إلّا الّذي خلقَهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وممَّا يدلّ علىٰ هذه الكثرةِ العَظيمةِ للمَلائكة قصَّةُ الإسراء بالنّبيِّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ حيث قال: «**ثمَّ رُفِعَ لي البَيْت المَعْمُورُ، فقلْت: يَا جبْرِيل مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا البَيْت المَعْمُورُ يَدْخُلهُ كُلّ يَوْم سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ، إذَا خَرَجُوا منْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ**»[(٤)]. وقال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «**أطّتِ السَّمَاءُ، وَحُقّ لَهَا أنْ تَئِطّ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أرْبَعِ أصَابعَ إلّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجدًا للّهِ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٤٨). وله شواهد انظرها في «الصحيحة» (٧/ ١٤١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد (٢١٥١٦)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، عن أبي ذر رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٢).

فهذا ممَّا يدُلّ علىٰ كثرةِ المَلائكة.

وتفصيلًا نؤمنُ بالأعداد المُتعَلّقَةِ بالمَلائكة علىٰ التّفصيل كما وردت؛ كقول الله سبحانه: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقول النّبيِّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَام، مَعَ كُلِّ زِمَام سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[١].

□ **وَوظائفُ الملائكة وأعمالهم: إجمالًا:** هُم جُنْدٌ لله ﷻ، وَعبادٌ مُكرَمون، وَكلّ منهم قائمٌ بما يَأمُرُه اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ به أتمَّ قيام، ليس فيهم مَنْ يعصي اللهَ في أمرِه، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وَتفصيلًا: نؤمن بوظائفهم الّتي جاء تِبيَانُها في الكتاب والسُّنّة؛ فَمن الملائكة مَنْ هو مَوكُولٌ بالوحي، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ]، وَمنهم مَنْ هُو مَوكُولٌ بقبضِ الأرواح، ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة: ١١]، ومنهم مَن هُو مَوكُولٌ بحفظ العبد، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وَمنهم مَن هُو موكولٌ بالكتابة، ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ [سُورَةُ الانفِطَارِ]، ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]، ومنهم من هو موكول بالقَطْرِ. إلىٰ غير ذلك من وظائف الملائكة الّتي جاء تفصيلها في كتابِ الله وسنّة نبيِّه ﷺ، فكلّ ذلك نُؤمنُ به.

ومن ذلك ـ أيضًا ـ ما جاء في الحديث قال ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ منْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[٢]. وقال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنّةِ، وَإِنّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لطَالبِ العِلْم**»[٣]. فطالب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

العلم يمشي إلىٰ حلقة العلم ويجلس فيها يوميًّا، ولا يرىٰ الملائكةَ وهي تضع أجنحَتَها لطالب العلم، ولا يراهم وهم يحفّون مَجلسَ العلم بأجنحَتِهم، لكنّه يُؤمنُ بذلك، وعلىٰ يقين به؛ لأنّه يؤمن بالغيب، وهذا الإيمان له أثرُه علىٰ العبد وله وَقْعُه في النّفوس، حيث يَستَشْعِرُ العبدُ في طلبه للعلم هذه الكرامةَ العظيمةَ، في شرف طلب العلم، وأنّه من شرفه أنّ الملائكةَ تضع أجنحَتَها له رضًا بما يصنع. ❁

○ **الأصل الثّالث من أصول الإيمان: «الإيمانُ بالكُتبِ المُنزَّلة»** كما قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، أي: آمنت بكلّ كتابٍ أنزلَه اللهُ علىٰ كلّ رسول، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وهذه الآيةُ من الآيات الّتي جَمَعَت أصولَ الإيمان بما فيها الإيمان بالكتب، وفيها أنّ الكفرَ بأصول الإيمانِ أو الكفرَ بشيءٍ منها كفرٌ بالله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأنّ اللهَ ـ تبارك وتعالىٰ ـ سمَّىٰ عدمَ الإيمان بها كفرًا.

والإيمان بالكُتبِ إيمانٌ إجماليٌّ فيما أجملَ، وإيمانٌ تَفصيليٌّ فيما فُصِّلَ؛ لأنّ الكتبَ المُنزَّلةَ لم تذكَرْ أسماؤُها كلّها، ولا التّفاصيل الّتي فيها، وإنّما ذُكِرَ أسماءُ بعضِها، وذُكِرَت تفاصيل جاءت في بعضِها، فما لم يَرِدْ تفصيلًا نؤمن به إجمالًا، وما جاء مُفصَّلًا نؤمن به مُفصَّلًا كما ورد.

وَمن الكتب المُنزلة: «التّوراة» الّتي أنزِلَت علىٰ موسىٰ عليه السلام، و«الإنجيل» الّذي أنـزِل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، و«الزَّبـور» الّذي أنـزِل علىٰ داود عليه السلام، و«الصُّحُفَ» الّتي أنزِلَت علىٰ إبراهيم عليه السلام، فهذا الّذي جاء تفصيلًا نؤمن به تفصيلًا.

ومن ذلك: ما جاء في قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [سورة الأعلى] هذا شيءٌ تفصيلي نؤمنُ به كما جاء، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فهذا ثناءٌ في التَّوراةِ الّتي أنزَلها علىٰ موسىٰ عليه السلام، وفي الإنجيل الّذي أنزَلَه علىٰ عيسىٰ عليه السلام بهذه الأوصاف العظيمة والنّعوت الجميلة علىٰ الصَّحابة رضي الله عنهم من قَبْل أن يُوجَدوا.

وممَّا نُؤمنُ به فيما يتعَلّق بالتّفصيل الّذي في هذه الكُتب: أنّها كلَّها قائمةٌ علىٰ التّوحيد، وأنها كلّها مُشتملَةٌ علىٰ أصول الإيمان السِّتّةِ، وأنّ دعوةَ الأنبياء واحدةٌ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١] النُّذُر: الرُّسُل؛ كلّهم مُتَّفِقون علىٰ هذا الأصل: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وعلىٰ الإيمان باليوم الآخر، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ [الزمر: ٧١]، وذكرِ ما فيه من جنّةٍ ونارٍ وجزاءٍ وحسابٍ وعقابٍ.

ومن الإيمان بالكتب: أن نَعتقِدَ أنّها كلّها وَحْيُ الله وتَنزيله ـ جلّ في علاه ـ، وأنّ الرُّسُلَ بلّغت تلك الكُتبَ وافيةَ البلاغِ المُبين، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [النور: ٥٤]، وأنّها مُشتَمِلَةٌ علىٰ الهدىٰ والفَلاح والسَّعادةِ والنّجاح، وأنّ مَنْ آمنَ بتلك الكُتبِ منَ الأمم الّتي أنزِلَتْ عليهم؛ فقَد أفلحَ وأنجحَ وسَعِد في دنياه وأخرَاه، ومَن لم يُؤمنْ بها فقَد خاب وخَسر.

ونؤمن بأنّ القرآنَ الكريمَ هو خاتَمُ الكُتبِ المُنزَّلةِ، فلا كتابَ بعدَه، كما أنّ نبيَّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ خاتَمُ النّبيِّين فلا نبيَّ بعدَه، وأنّ القرآنَ الكريمَ مُصدّقٌ لمَا بيْنَ يدَيْه ومُهَيْمنٌ عليه، إلىٰ غيرِ ذلك من الأمور الّتي تتعلّق بهذا الأصل العظيم من أصول الإيمان.



○ **الأصل الرَّابع من أصول الإيمان: «الإيمان بالرُّسُل الكرام»** إجمالًا فيما أجْمَل، وتفصيلًا فيما فُصِّل، والله ـ تبارك وتعالىٰ ـ قصَّ علينا خبَرَ عددٍ من الأنبياء، ولم يَقصُصْ خبَرَ عددٍ آخَرَ منهم، قال تعالىٰ: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فمنهُم مَن قصَّ اللهُ ﷻ خبرَه، ومنهم مَن ذكَرهم بأسمائهم، وآخَرُون من الأنبياء ـ وهُم عددٌ ليس بالقليل ـ لم تذكَرْ أسماؤهم لا في القرآن ولا في السُّنّةِ، والّذين ذُكِرُوا بأسمائِهم من الأنبياء في القرآن الكريم خمسةٌ وعشرون نبيًّا، لكن هناك أنبياءُ آخرون ورُسُلٌ لم تذكَرْ أسماؤهم؛ فمَن ذُكِرَت أسماؤهم منَ الأنبياء نؤمنُ بهم تفصيلًا، ومن ذُكِرَت تفاصيل دعوتِهم وأخبارِهم مع أمَمهم نؤمن بها تفصيلًا كما وردَتْ؛ كقصَّةِ موسىٰ، وقصَّةِ عيسىٰ، وقصَّةِ نُوح، وقصَّةِ هودٍ، وقصَّةِ صَالح، وقصَّة أيُّوبَ، وقصَّة سليمانَ وغيرِهم ـ عليهم السَّلام ـ ممَّا جاءت أخبارُهم مُفصَّلَةً، وبعضُهم أكْثَرُ تفصيلًا من بعض، فكلّ هذه التّفاصيل نؤمن بها كما جاءت في كتاب الله ﷻ.

وأيضًا ما جاء من ذلك في السُّنّة نؤمنُ به مُفصَّلًا كما جاء، وما لم يَرِدْ من ذلك تفصيلًا نؤمن به إجمالًا، ونعتقِدُ أنّهم أجمعون بلّغوا البلاغَ المُبينَ، وما تركوا خيرًا إلّا دَلّوا أمَمَهم عليه، ولا شرًّا إلّا حَذّرُوا أمَمَهم منه، وأنّ مَنْ آمَنَ بهم واتّبَعهم؛ فقد سَعِدَ في دنياه وأخراه، ومنْ كذّبَهم وكفَرَ بهم؛ فقد خسر الدّنيا والآخرةِ.

ونؤمن بأنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ فضَّلَ بعضَ النّبيِّين علىٰ بعضٍ، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فنؤمن بهذا التّفاضُل بين الأنبياء، ونؤمن أنّ أفضلَ الأنبياءِ هم أولوا العَزْم من الرُّسُل، وهم خمسةٌ: نوحٌ، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمَّد ـ صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين ـ، جمعهم اللهُ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾، ونؤمن أنّ أفضلَ أولي العزم من الرُّسُل هو مُحمَّدٌ ﷺ خاتَمُ النّبيِّين وسيِّدُ وَلَدِ آدم أجمعين، ونؤمن أنّه ﷺ خُتِمَت به

الرِّسالاتِ، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وصحَّ عنه ﷺ أنّه قال: «وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[١]. إلىٰ غير ذلك من التّفاصيل المُتعَلّقَةِ بالإيمان بالرُّسُل الكرام.



○ **الأصل الخامس من أصول الإيمان: «الإيمان باليوم الآخر»** والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكلّ ما يكون بعد المَوْتِ ممَّا جاء ذِكرُه وتَفصِيله في الكتابِ والسُّنّةِ، والموت بدايةُ اليوم الآخر، والقَبرُ أوَّل مَنازِل الآخرة، ومن مات قامت قيامَته وبدأتْ ساعَته.

فالإيمانُ باليوم الآخر: هو الإيمانُ بكلّ ما يكون بعد الموت، بدءًا من فتنةِ القَبْرِ وعذابِه ونعيمه، ثمَّ ما يكونُ بعد ذلك من أمورٍ؛ من البعث والنّشور، والقيام بين يَدَيْ ربِّ العالمين، والحَشْرِ، والموازين، والصِّراطِ، وتطايُرِ الصُّحُفِ؛ فآخِذٌ كتابَه باليمين وآخِذٌ كتابَه بالشِّمال، والجنّةِ والنّارِ، والتّفاصيل المُتعلّقَةِ بعذاب النّار، والتّفاصيل المُتعلّقةِ بنعيم الجنّةِ.

□ **والإيمانُ باليوم الآخر علىٰ درَجَتَيْن:**

١ ـ **إيمانٌ جازِم**؛ وهو الّذي لا يُقبَل إيمانٌ إلّا به، أن يَجزِمَ ولا يَشُكّ أنّ ثمَّةَ يومٌ آخِر فيه حسابٌ وعقابٌ، فمَن شكّ أو ارتاب؛ لا يكون مُؤمنًا، ولا يُقبَل منه عملٌ.

٢ ـ **إيمانٌ راسخ**؛ وهو الإيمان المُتَمكِّن منَ القَلب المُتعَمِّق في النّفس، الّذي يَستَحْضِرُه العبد في المُناسبات وفي الأحوال وفي الأعمال وفي الأمور، بحيث كلّما أراد أن يُقدمَ علىٰ شيءٍ تَذَكّرَ الإيمانَ باليوم الآخر، وتجدُه في كلّ وقت يستعدّ ويتهَيَّأ لليوم الآخر، ولهذا يقول أهل الرِّفعَةِ وأهل الدّرجات وأهل الفوز بالنّعيم مخبِرين عن هذا الإيمان الرّاسخ وأثره عليهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور]؛ لأنّ هذا الإشفاقَ والخوفَ يُورِث الاستعدادَ والتّهيُّؤَ،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة]، أي: كنت علىٰ عقيدةٍ جازمةٍ وإيمانٍ راسخ بأنّني سأحاسَب، وأقفُ بين يدي الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فأثمر هذا الإيمانُ استعدادًا وتهيُّؤًا ليوم المعاد.

ويدخُل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأشراطه وعلاماتِه الّتي تكون بين يَدَيْه، وهي علاماتٌ صغرىٰ وعلاماتٌ كبرىٰ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها.

○ **الأصل السَّادس من أصول الإيمان: «الإيمانُ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ»** والإيمانُ بالقَدر إيمانٌ بعلم الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ الأزلي السَّابِق بكلّ ما يكون، وأنّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ أحاط بكلّ شيءٍ علمًا، وأحصىٰ كلّ شيءٍ عددًا، وأنّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ كتب مقاديرَ الخلائق وأعمالَهم قَبْلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ بخمسين ألف سنة، والإيمان بمشيئة الله ﷻ، وأنّ ما شاء اللهُ كان وما لم يشأْ لم يكنْ، والإيمان بأنّ الله ﷻ خالق كلّ شيءٍ، فالإيمانُ بالقَدر يقومُ علىٰ أركانٍ أربعةٍ، يجمعُها هذا البيت:

علـــمٌ كتابـــةُ مـــولانا مشيئتـــه وخَلْقـــه وهـــو تكويـــنٌ وإيجـــادُ

فهذه الأمورُ الأربعةُ هي مراتب الإيمان بالقدر، ولا يكون مؤمنًا بالقَدر إلّا من آمن بها، وهي:

◉ **المرتبة الأولىٰ**: الإيمان بالعلم، وأنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ علم أزلًا ما كان، وما سيكون، وما لم يكُنْ أنْ لَوْ كان كيف يكون، أحاط بكلّ شيءٍ علمًا، وأحصىٰ كلّ شيءٍ عددًا.

◉ **المرتبة الثّانية**: الإيمان بالكتابة؛ وأنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ كتب مقاديرَ الخلائق وأفعالَ العباد ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقد جاء في الحديثِ عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أنّه قَال: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلقَ**

السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[(١)]. وفي الحديث الآخر قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللّهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتبُ؟ قَالَ: اكْتبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْم القِيَامَةِ**»[(٢)]. فجرىٰ القلمُ بكتابةِ ما هو كائِنٌ إلىٰ يوم القيامة.

◉ **المرتبة الثّالثة**: المشيئةُ؛ أنّ الأمورَ كلّها بمشيئةِ الله، ما شاء اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يكُنْ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فنؤمن بمشيئته النّافذة، وقدرتِه ـ تبارك وتعالىٰ ـ الشّاملةِ، وأنّه لا يكون في مُلْكِ الله إلّا ما شاءه اللهُ وأرادَه ـ تبارك وتعالىٰ ـ كَوْنًا وقَدَرًا.

◉ **المرتبة الرَّابعَة**: مَرتَبةُ الخلق والإيجاد، وأنّ اللهَ ـ تبارك وتعالىٰ ـ خالق كلّ شيءٍ، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

فهذه مراتبُ الإيمان بالقدر: العلم، والكتابة، والمشيئة، والإيجاد، ولا يكون الإيمان بالقدَرِ إلّا بالإيمان بها.

والإيمانُ بالقدر والتّصديق به خَيرِه وشَرِّه من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يُثمرُ في العبد حُسنَ إقبال علىٰ الله ﷻ، وتمامَ توكّل عليه ـ جلّ في علاه ـ، وحُسنَ التجاءٍ إليه، وسؤال دائم وتوجُّهٍ إلىٰ الله بأن يُثبِّتَ العبدَ، وأنْ لا يزيغ قلبَه وأن يُصلحَه، وأن يعيذَه؛ لأنّ الأمرَ بيده ـ سُبحانه وتعالى ـ؛ فله ثمارٌ عظيمةٌ وآثارٌ مباركة، «كان النّبيُّ ﷺ في جنازةٍ، فأخذَ شيئًا فجعلَ ينكُت به الأرضَ، فقال: «**مَا منْكُمْ منْ أَحَدٍ إِلّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ منَ النّارِ، وَمَقْعَدُهُ منَ الجَنّةِ**» قالوا: يا رسولَ اللّه، أفلا نتّكِل علىٰ كتابِنا، وندَعُ العملَ؟ قال: «**اعْمَلوا فَكُلّ مُيَسّرٌ لمَا خُلقَ لَهُ، أَمّا مَنْ كَانَ منْ أَهْل السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لعَمَل أَهْل السَّعَادَةِ، وَأَمّا مَنْ كَانَ منْ أَهْل الشّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لعَمَل أَهْل الشّقَاوَةِ**» ثمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود». انظر: «الصَّحيحة» (١٣٣).

وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [سُورَةُ اللَّيْلِ] الآيَةَ»[(١)]. والعبدُ عليه في هذا المقام أن يَحرِصَ علىٰ ما ينفعه من خير الدّنيا والآخرة، وأن يستعين برَبِّه، وأن يتوكّلَ عليه، وأن يطلب منه المدّ والعونَ والتّوفيقَ والتّسديدَ، كما قال النّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[(٢)].

الحاصل أنّ هذه الأصولَ العظيمةَ والأركانَ المتينةَ الّتي يقومُ عليها الإيمان، وهي: الإيمان بالله، والملائكة، والكُتب، والرُّسل، واليوم الآخِر، والإيمان بالقدر خَيرِه وشرِّه؛ أصولٌ يجب علىٰ كلّ مُسلم أن يُعنىٰ بها عنايةً عظيمةً مُقدّمةً علىٰ عنايته بأيِّ أمرٍ آخَر، وأن يجتهدَ في التّفقه فيها، وزيادةِ العلم فيها والرُّسوخ، من خلال مطالعة الأدلّة وكلام أهل العلم من أهل السُّنّة في بيانها وتوضيحها. ❁



(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٨)، ومسلم (٢٦٤٧) عن علي ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

الدرس الرابع:

أقسام التوحيد، وأقسام الشرك

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرس الرَّابع: أقسام التّوحيد وأقسام الشِّرك:

بيانُ أقسام التّوحيد، وهي ثلاثةٌ: توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيدُ الألوهيَّة، وتوحيدُ الأسماء والصِّفات.

◘ أمَّا توحيد الرُّبوبيَّة: فهو الإيمان بأنّ اللهَ سبحانه الخالقِ لكلّ شيءٍ والمُتصَرِّفِ في كلّ شيءٍ لا شريكَ له في ذلك.

◘ وأمَّا توحيدُ الألوهيَّة: فهو الإيمان بأنّ اللهَ سبحانه هو المعبود بحقٍّ لا شريكَ له في ذلك، وهو معنىٰ لا إله إلّا اللهُ؛ فإنّ معناها: لا معبودَ حقّ إلّا اللهُ، فجميع العبادات من صلاةٍ وصوم وغير ذلك يجبُ إخلاصُها لله وحدَه، ولا يجوزُ صَرفُ شيءٍ منها لغيره.

◘ وأمَّا توحيد الأسماء والصِّفات: فهو الإيمان بكلّ ما ورد في القرآن الكريم أو الأحاديث الصَّحيحة من أسماء الله وصفاتِه، وإثباتها لله وحده علىٰ الوجه اللّائق به سبحانه من غير تحريفٍ ولا تعطيل ولا تكييفٍ ولا تمثيل؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سُورَةُ الإخلاص]، وقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقد جعلها بعضُ أهل العلم نوعَيْن، وأدْخلَ توحيدَ الأسماء والصِّفات في توحيد الرُّبوبيَّة، ولا مُشاحَّةَ في ذلك؛ لأنّ المقصودَ واضحٌ في كلا التّقسيمَيْن».

الشرح:

❍ في هذا الدّرس بيانٌ لما يتعلّق بأقسام التّوحيد الثّلاثة؛ التّوحيد الّذي خلقنا اللهُ

ـ تبارك وتعالىٰ ـ لأجله وأوْجَدَنا لتحقيقِه، وقد دلّتْ نصوصُ الكتاب والسُّنّة بالاستقراءِ والتّتبُّع أنّه يَنقَسِم إلىٰ أقسام ثلاثةٍ:

١ ـ توحيد الرُّبوبيَّة.

٢ ـ توحيد الألوهيَّة.

٣ ـ وتوحيد الأسماء والصِّفات.

وهي أقسامٌ متلازِمَةٌ مُترَابِطَةٌ لا يَنفَكّ بعضُها عن بعضٍ؛ إيمانُ العبد بربوبيَّةِ الله ﷻ وأسمائه ـ تبارك وتعالىٰ ـ وصفاتِه يَستلزِمُ أن يُخلصَ العبادةَ كلّها لله ﷻ، وأن يُفرِدَه ـ تبارك وتعالىٰ ـ وحده بالعبادة، وأن لا يَتّخذَ معه الأندادَ والشّركاءَ.

وتوحيدُ الألوهيَّةِ يتضمَّن توحيدَ الرُّبوبيَّةِ، وتوحيدَ الأسماء والصِّفاتِ، وأشار الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر حديثِه عن هذه الأقسام أنّ من أهل العلم من جَعلَها قِسمَيْن، فجعل توحيدَ الرُّبوبيَّةَ وتوحيدَ الأسماء والصِّفاتِ قسمًا واحدًا، وهو التّوحيدُ العلمي، وتوحيدَ الألوهيَّةِ قسمًا، وهو التّوحيد العملي.

ولهذا؛ بعضُ العلماء يقول: التّوحيد قسمان:

١ ـ توحيدٌ علمي؛ ينتظمُ توحيدَ الرُّبوبيَّةَ وتوحيدَ الأسماء والصِّفات؛ لأنّ كلًّا منهما المطلوبُ فيه العلمُ والمعرفةُ والإثبات.

٢ ـ توحيدٌ عملي؛ وهو توحيدُ الألوهيَّةِ بإفراد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالعبادة، وإخلاصُ الدّين له.

وكلٌّ من هذَيْن التّوحيدين مقصودٌ للخلق؛ كما يدلّ للأوَّل قول الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ويدُلّ للثّاني قول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ في الآية الأولىٰ خَلَقَ ليَعْلَمُوا، والثّانية خَلَقَ ليَعْبُدُوا.

فهذان التّوحيدان هما مقصودُ الخلق؛ أنْ نعلَمَ أسماءَ ربِّنا ﷻ وصفاتِه، وأنْ نَعرِفَه

ـ جلّ في علاه ـ بما تعرَّف إلىٰ عباده به من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا وأفعاله العظيمة، والنّوعُ الثاني العملي أن يُفرَدَ بالعبادة وأن يُخلَصَ الدّينُ له.

ولا مشاحَّةَ في ذلك؛ لأنّ من عدّ التّوحيدَ قِسمَيْن جعل الرُّبوبيَّةَ والأسماء والصِّفاتِ تحت قسم واحدٍ وهو العلمي؛ لأنّ المطلوبَ في كلٍّ منهما هو العلم، والثّاني الّذي هو توحيدُ الألوهيَّةِ توحيدٌ عملي.

وهذه الأقسام الثّلاثةُ للتّوحيد عُلمَت بالتّتبُّع والاستقراء لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهو استقراءٌ تامٌّ، وهو حجَّةٌ كما هو شأنُ أمورٍ كثيرةٍ من الشّريعةِ عُرِفَتْ بالاستقراءِ والتّتبُّعِ لكلام اللهِ وكلام رسوله ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ؛ فهذا التّقسيمُ للتّوحيد تقسيمٌ شرعيٌّ؛ بمعنىٰ أنّه مُتلَقّىٰ من كتاب الله وسنّةِ رسوله ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ.

انْظرْ هذه الأقسامَ ـ علىٰ سبيل المثال ـ في سورة الفاتحة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾: توحيد الرُّبوبيَّة، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: توحيد الأسماء والصِّفات، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ توحيد الألوهيَّة.

وانظر هذه الأقسامَ في آخر سورةٍ في القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: توحيد الرُّبوبيَّة، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾: توحيد الأسماء والصِّفات، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ توحيد الألوهيَّة. ●



ثمَّ شرحَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلّ نوع من هذه الأنواعِ الثّلاثة شرحًا مُختَصرًا، فقال:

❍ **«أمَّا توحيدُ الرُّبوبيَّة: فهو: الإيمان بالله سبحانه الخالقِ لكلّ شيءٍ والمُتصَرِّفِ في كلّ شيءٍ، لا شريكَ له في ذلك»** هذا النّوعُ يقال له: توحيد الرُّبوبيَّة، وهو أن يُثبِتَ العبدُ ويُقِرَّ ويؤمنَ بربوبيَّةِ الله ﷻ للعالَمين خَلْقًا ورِزْقًا وإحياءً وإماتةً وتصرُّفًا وتدبيرًا لشؤون العباد، لا شريكَ له ـ تبارك وتعالىٰ ـ في شيءٍ من ذلك.

وهذا لا يكفي لأنْ يكونَ المرءُ مُوحِّدًا، ولا يُنجي من عذاب الله ﷻ ما لم يَأْتِ بلازِمه وهو توحيدُ العبادة، بأن يُخلصَ عبادتَه ودينَه لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، كما قال الله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]؛ ولهذا قال اللهُ سُبحانه عن الكفّار المُشركين: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]؛ أي يؤمنون ـ كما قال ابنُ عبّاس رضي الله عنهما وغيرُه ـ بالله ربًّا خالقًا رازقًا[1]؛ لأنّ المُشرِكين إذا سُئلوا: مَنْ خلقَكُمْ؟ مَنْ خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ؟ منْ يَرزُقكم؟ من الّذي يُحيِي ويُميت؟ في كلّ ذلك يقولون: اللهُ؛ فهم يؤمنون بأنّه الرَّبُّ الخالق الرَّازِق المُحيِي المُميت المُدَبِّر، وقوله: ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ أي: مُشرِكون معه غيرَه في العبادة.

ومثله قول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، هذا خطابٌ للمُشركين الكفّار ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ أي: شُرَكاء في العبادة ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنّه لا خَالقَ لكم غيرُ الله ﷻ؛ فإقرارُكم بأنّه لا خَالقَ غيرُ الله؛ يَستَلزِمُ أن تفرِدوه بالعبادة، وأنْ لا تَتّخِذوا معه الأندادَ والشّركاءَ.



○ قال: «**وأمّا توحيدُ الألوهيَّة: فهو الإيمانُ بأنّ اللهَ سبحانه هو المَعبودُ بحقٍّ لا شريكَ له في ذلك، وهو معنىٰ لا إله إلّا اللهُ؛ فإنّ معناها: لا معبودَ حقّ إلّا اللهُ، فجميعُ العبادات من صلاةٍ وصوم وغيرِ ذلك يَجبُ إخلاصُها لله وحدَه، ولا يَجُوزُ صَرفُ شيءٍ منها لغيره**».

الشرح:

هذا توحيد الألوهيَّة، ويقال له أيضًا: توحيد العبادة، ويقال له: التّوحيد الإرادي الطّلبي، ويقال له: التّوحيد العملي؛ كلّها أسماء لمسمًّىٰ واحدٍ.

والمراد بهذا التّوحيد: إخلاصُ الدّين لله؛ بأن لا يُدعىٰ إلّا اللهُ، ولا يُستغاثَ إلّا بالله،

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنّة والجماعة» (٦٦٥).

ولا يُتوكّل إلّا علىٰ الله، ولا يُذبح إلّا لله، ولا يُنذَرَ إلّا لله، ولا يُصرَفَ شيءٌ من العبادة إلّا له ـ تبارك وتعالىٰ ـ، كما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سُورَةُ الأَنعَام].

فتوحيدُ الألوهيَّةِ هو إفرادُ الله ﷻ بالعبادة، وإخلاصُ الدِّين له، والبراءةُ من الشِّرك، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [سُورَةُ الزُّخرُف]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرةٌ جدًّا.

فتوحيد الألوهيَّة هو معنىٰ: «لا إله إلّا الله» كما أشار الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ؛ ولهذا يقال لهذه الكلمة: «كلمة التّوحيد» لأنّ مدلولَها التّوحيدُ وهي كلمته، ولا توحيد إلّا بها؛ بنفي العبوديَّةِ عن كلّ مَنْ سوىٰ الله، وإثباتِ العبوديَّةِ بكلّ معانيها لله وحده؛ ذلًّا وخضوعًا وركوعًا وسجودًا ودعاءً ونذرًا وذبحًا وخوفًا ورجاءً، إلىٰ غيرِ ذلك، فتخلَصُ العبادةُ كلّها لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، ولا يُجعل معه شريكٌ في شيءٍ منها.

وليسَت «لا إله إلّا الله» نافعةً قائلَها ما لم يُحقّقْ مدلولَها وهو توحيدُ الله؛ فإنّ مَنْ يقولها بلسانه وينقضُها بفِعاله لا تنفعُه؛ مَن يقول: «لا إله إلّا الله» ثمَّ إذا دعا يدعو غيرَ الله، ويستغيث بغير الله، ويَطلبُ المَدَدَ من غير الله، ويَذبَحُ ويَنذُرُ لغير الله، هذا لا تَنفعُه «لا إله إلّا الله» لأنّه لم يُحقّقْ ما دلّتْ عليه من التّوحيد، فـ«لا إله إلّا الله» ليست كلمةً لا معنىٰ لها أو لفظةً لا مدلولَ لها، بل هي كلمةٌ مُشتَمِلةٌ علىٰ أجلّ المعاني، وأفضل المقاصد، وأنبل الأهداف، وهو توحيد الله وإخلاصُ الدّين له ـ تبارك وتعالىٰ ـ. ❁

وقد جاءت النّصوص الشّرعيَّة حاثّةً علىٰ العناية بهذه الكلمة، والمحافظة عليها، واتخاذُها وِردًا في الصَّباح والمساءِ، وعند النّوم، وأدبارِ الصَّلواتِ، وغير ذلك، كلّ ذلك ترسيخًا لهذا التّوحيد؛ وخُذْ مثالًا جميلًا مُفِيدًا نافعًا ثمينًا للغاية: عندما تسلّمُ من صلاتِك، كم مرَّةً تردّدُ هذه الكلمةَ؟ وبماذا تتبِعُها حَسبَ ما ورد في سنّةِ النّبي ـ عليه

الصَّلاة والسَّلام ـ؟ كان يُهلّل بهنّ دُبُرَ كلّ صلاةٍ: «**لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قوَّةَ إِلّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْل وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**»(١)؛ ثلاث تهليلاتٍ، وتتبَعُ كلّ تهليلةٍ بالتَّأكيدِ علىٰ معنىٰ لا إله إلّا اللهُ والتّحقيقِ لمدلولها:

◉ فالتّهليلةُ الأولىٰ أتبِعَتْ بقوله: «**وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**» لأنّ لا إله إلّا اللهُ تقوم علىٰ رُكنَيْن: نفيٍ وإثباتٍ؛ النّفيُ في قوله: «**لَا إِلَهَ**» والإثبات في قوله: «**إِلّا اللهُ**»، وهذا هو التّوحيد؛ فأكّدَ النّفيَ والإثباتَ بقوله: «**وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**» فإنّ قولَه: «**وَحْدَهُ**» تأكيدٌ للإثبات، وقولَه: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**» تأكيدٌ للنّفي، فأتْبَعَ «**لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ**» بتأكيد التّوحيدِ الّذي دلّتْ عليه، ثمَّ أتبِعَتْ ببراهين التّوحيد: «**لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» أي: أنّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ كونه تفرَّد بالمُلكِ وحدَه والتّدبيرِ وحدَه، وأنّه علىٰ كلّ شيءٍ قديرٌ لا شريكَ له، هذا دليلٌ علىٰ وجوبِ إفرادِه بالتّوحيدِ وإخلاصِ الدّين له ـ جلّ في علاه ـ.

◉ والتّهليلةُ الثّانيةُ أتبِعَتْ بقوله: «**ولَا نَعْبُدُ إِلّا إِيَّاهُ**» فإنّ قولَه: «**وَلَا نَعْبُدُ إِلّا إِيَّاهُ**» هذا معنىٰ: لا إِلَهَ إلّا اللهُ؛ فعطَفَ عليها معناها ومدلولَها اهتمامًا بمقام هذه الكلمة ومدلولها العظيم، وأنّها إنّما تَنفَعُ بتحقيقِ هذا المدلول لا باللّفظِ مُجرَّدًا، ثمَّ أتبِعَت ببراهين التّوحيد: «**لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الفَضْل، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ**» أي: كما أنّه تَفرَّدَ بالنِّعمَةِ لا شريكَ له، تفرَّدَ بالفَضل لا ندّ له ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وتفرَّد بالثّناء الحَسن والصِّفات العَظيمة والأسماء الحُسنىٰ ـ جلّ في عُلاه ـ؛ فهذا من الدّلائل والبراهين علىٰ وجوب إفرادِه وحدَه ـ تبارك وتعالىٰ ـ بالعبادة.

◉ والتّهليلة الثّالثة أتبِعَتْ بقوله: «**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**» وهذا فيه أنّ كَلمةَ التّوحيدِ هي كلمةُ الإخلاص؛ إخلاصِ الدّين لله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]،

(١) أخرجه مسلم (٥٩٤) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

فنقول: لا إِلَهَ إلّا اللهُ بألسِنَتِنا، مُعتَقِدِين ما دلّتْ عليه من الإخلاصِ بقلوبنا، وبذا نكون من أهلها حقًّا.

وأنتَ ترىٰ في هذا التّهليل الّذي يُشرَعُ للمُسلم أن يُردّدَه دُبُرَ كلّ صلاةٍ استذكارًا لـ«لا إله إلّا اللهُ» ولمَدلولها، والتّأكيد علىٰ معناها، والتّحقيق لما دلّت عليه، ولو أرَدْنا أن نَستَخْلصَ تعريفًا جامعًا لمعنىٰ «لا إله إلّا اللهُ» من هذه التّهليلاتِ الثّلاثِ الّتي يُشرَعُ لنا أن نَقولَها دبُرَ كلّ صلاةٍ نقول:

معنىٰ «لا إله إلّا اللهُ»: ألّا نَعبُدَ إلّا اللهَ، وحدَه لا شريكَ له، مُخلصِينَ له الدّين، وهذا من أجْمَعِ وأحْسَنِ وأوفىٰ ما يكون تعريفًا لـ«لا إله إلّا اللهُ».

الحاصل؛ أنّه ينبغي أن نَعلَمَ أنّ التّهليلاتِ والأذكارَ الشّرعيَّةَ عُمومًا ما جاءت لتقَالَ مُجَرَّدَ قَوْل، أو أنّها كلامٌ يُؤتَىٰ به في أوقاتٍ مُعيَّنَةٍ مُجرَّدَ إتيانٍ، بل هذه الأذكار عبارةٌ عن تجديدٍ لتوحيد العَبد، وتوثيقٍ للعهد مع الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ بتحقيقِ توحيدِه وإخلاصِ الدّين له ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فتأتي هذه الكلمات مع المسلم في صباحه ومساءه، وفي صلواتِه، وفي تحرُّكاتِه وتَنقلاتِه، وفي جميعِ أمرِه، تجدّدُ عهدَ التّوحيدِ وميثَاقَه العظيمَ بأن يُخلصَ العبدُ دينَه لله ﷻ، وأن يُفرِدَ ربَّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ بالعبادة والذّلّ والخضوعِ؛ فلا يدعو إلّا اللهَ، ولا يسأل إلّا اللهَ، ولا يَستغِيث إلّا بالله، ولا يَتوكّل إلّا علىٰ الله، ولا يَصرِفُ شيئًا من العبادةِ إلّا لله وحدَه.

وقد وُجدَ في النّاسِ ممَّنْ لم يَعقِلْ هذا المَقصِدَ العظيمَ مَنْ يَرفَعُ مثلًا أصبُعَه قائلًا: «لا إله إلّا اللهُ» وهو لا يعرف مدلولَ هذه الكلمة، ولذا تجدُه بعد قليل يَمُدّ يَدَيْه ويقول: «مدد يا فُلان»!! فهذا التّناقضُ السَّريعُ بينَ إتيانه بكلمَة التّوحيدِ ونَقضِه لها بهذا الدّعاء لغير الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ لأنّه يقولها ولا يَعِي معناها، ولا يَعِي ما دلّتْ عليه من توحيدٍ لله، وإخلاصٍ لله بالعبادةِ، وإفراده ـ جلّ وعلا ـ بالذّلّ والخضوع والدّعاءِ والرَّجاءِ، والدّعاءُ أعْظَمُ أنواع العبادة، بل قال النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**الدّعَاءُ هُو العِبَادَةُ**» وتلا قولَ الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][(١)].

حدّثني أحدُ الأفاضل ـ وآلَمَنِي حديثه ـ فقَال: سمعت رجلًا في سجوده يقول: «مَدَد يا فُلان»!! وقَد قرأ في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ وهذه عهدٌ بينه وبين الله أن لا يدعُوَ إلّا اللهَ، ولا يستعين إلّا بالله، ولا يَسألَ إلّا الله، ولا يَتوَكّلَ إلّا علىٰ الله، ثمَّ في صلاتِه نفسِها وهو ساجدٌ يقول: مدد يا فلان! أين هذا العهدُ الَّذي قاله وهو قائمٌ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾؟ أي: نعبدك، ولا نعبدُ غيرَك، ونستعينُ بك ولا نستعينُ بغَيرك، وقد قال النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «**إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ، وَاعْلَمْ أنّ الأمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفّتْ الصُّحُفُ**»[(٢)].

فالحاصل أنّ: «لا إله إلّا اللهُ» هي كلمةُ التّوحيد، والتّوحيدُ هو مدلول هذه الكلمة، وهي: إخلاصُ الدّين لله عز وجل؛ إفرادُه بالذّلّ والخُضوع والدّعاء والرَّجاء والخوف والذّبح والنّذر وغيرِ ذلك من أنواع العبادَة، كما قال الشّيخُ رحمه الله: «**فجميع العباداتِ من صَلاة وصَوم وغير ذلكَ يجبُ إخلاصُها لله وحدَه، ولا يجوزُ صَرفُ شيءٍ منها لغَير الله**» أي: أنّ مَنْ صرَفَ شيئًا منه لغير الله عز وجل نقض بهذَا الصَّرفِ توحيدَه، وأصبح بعمَله هذا منَ المُشركين، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر]، قوله: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾؛ «عمل» هُنا مفردٌ مضاف، والمُفرد المُضاف ـ كما هي القاعدة عند أهل العلم ـ تفيد العمومَ، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي: تحبطَنّ جميعُ أعمالك؛ من صلاةٍ وصيام وحجٍّ وصدقةٍ وبرٍّ وصلةٍ وغير ذلك، كلّها تكون باطلةً إذا

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٢٩).
(٢) سبق تخريجه.

أشرك العبدُ مع الله غيرَه وسوَّىٰ غيرَ الله بالله في شيءٍ من حقوقِه سُبحانه، بأن دعا غيرَ الله، أو استغاث بغير الله، أو ذبحَ لغير الله، أو نذر لغير الله، أو صرف غير ذلك من العبادات لغير الله، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ].



○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وأمَّا توحيد الأسماء والصِّفات: فهو الإيمان بكلّ ما ورد في القرآن الكريم أو الأحاديث الصَّحيحة من أسماء الله وصفاتِه، وإثباتها لله وحده علىٰ الوجه اللّائق به ـ سبحانه وتعالىٰ ـ».**

الشرح:

○ **معنىٰ أن نوحِّدَ اللهَ بأسمائه وصفاته:** أن نُثبِتَ له ـ تبارك وتعالىٰ ـ الأسماءَ الحسنىٰ والصِّفاتِ العليا الّتي أثبَتَها لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في سنّتِه علىٰ الوجه اللّائق بجلال الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ لأنّ إضافةَ هذه الأسماء والصِّفاتِ إلىٰ الله تقتَضِي اختصاصَه بها، علىٰ حدّ قوله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإِخْلَاصِ: ٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النَّحْلِ: ٧٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَةِ: ٢٢]؛ فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ له الأسماءُ الحسنىٰ والصِّفات العلا، فتثبَت كما جاءت، ويُؤمَن بها كما وردت في كتاب ربِّنا وسنّةِ نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ولا نتجاوز في ذلك القرآنَ والحديثَ، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَصِفُ اللهَ بما وصف به نفسَه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، لا نتجاوز القرآنَ والحديثَ»(١).



○ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **«من غير تحريفٍ، ولا تعطيل، ولا تكييفٍ، ولا تمثيل»** هذه أمورٌ

(١) سبق تخريجه.

أربعةٌ حذّر الشّيخ رَحِمَهُ اللهُ منها، وأنّ الواجبَ أن تثبَتَ الأسماءُ والصِّفات مع الحذر الشّديد من الوقوع في شيءٍ من هذه الأمور الأربعة؛ لأنّ كلًّا من هذه الأمور الأربعة يُعدّ إلحادًا في أسماء الله ﷻ وصفاته، وربُّنا يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا تهديدٌ ووعيدٌ لكلّ من يُلحدُ في أسماء الله أو صفاتِه ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

والإلحاد طرُقٌ كثيرةٌ وسُبُلٌ مُتعدّدةٌ، لكنّها يَجمَعُها وصفُ الإلحاد؛ من النّاس مَنْ إلحادُه تحريفٌ، ومن النّاس من إلحادُه تكييفٌ، ومن النّاس من إلحادُه تمثيلٌ، ومن النّاس من إلحادُه تعطيلٌ؛ فهذه أمورٌ يجب أن يُحذَرَ منها أشَدّ الحذَرِ.

قوله: «**من غير تحريف**» أي: من غير تحريفٍ لهذه الأسماء والصِّفات، سواء بتحريف الألفاظ أو بتحريف المعاني.

⊙ **وتحريف الألفاظ**: يكون مثلًا بزيادة حرفٍ، أو بحذف حرفٍ، أو بتغيير حرَكَةٍ إعرابيّةٍ بحيث يتغيَّرُ المعنىٰ.

⊙ **وتحريف المعاني**: يكون بإعطاء اللّفظِ مدلولَ لفظٍ آخر.

قوله: «**ولا تعطيل**»: أي ولا جَحْدٍ وتكذيبٍ بها وعدم إثبات؛ لأنّ التّعطيل هو النّفيُ.

وقوله: «**ولا تكييفٍ**» أي: ولا خَوْضٍ في معرفة كيفيَّتِها؛ فلا يقال: كيف استوىٰ؟ كيف ينزل؟ كيف يده؟ كيف سمْعُه؟ هذا سؤالٌ باطل؛ لأنّنا أخبِرْنا بأسماء الله ﷻ وصفاته ولم نُخبَرْ بكيفيَّتِها؛ فنُثبِت ما أخبِرْنا به، ولا نخوض فيما لم نُخبَرْ به، ولهذا الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ قال: «الاستواء معلومٌ والكيفُ مجهولٌ» أي: لا نعلمُه، وفي رواية قال: «الكيفُ غير معقول»: أي لا نعقِله.

قوله: «**ولا تمثيل**»: أي لشيءٍ من صفات الله ﷻ بصفات المخلوقين؛ كأن يقال: «سَمْعُ الله كسمعنا، أو بصر الله كبصرنا» تعالىٰ الله وتقدّس عن ذلك، وهذا التّمثيل كفرٌ بالله، والممثّل كافرٌ، ومَن يقول: إنّ يَدَ معبودِه كيدِه، وسَمعَه كسمعِه، وبصَرَه كبصره

هذا لا يعبدُ اللهَ، كما قال بعضُ السَّلف: «والمُمثّل يعبُدُ صَنَمًا»(١). أمَّا ربُّنا ـ جلّ في علاه ـ فصفاته تليق به، ليس كمثله شيء، لا سَميَّ له ولا مثيلَ في شيءٍ من أسمائه وصفاتِه ـ تبارك وتعالىٰ ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، فتمثيل صفاتِ الله بصفات المخلوقين هذا كفرٌ بالله وإلحادٌ في أسمائه وصفاته ـ جلّ في عُلاه ـ. ◉



○ قال رحمه الله: «عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سُورَةُ الإخلاص]، وقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

الشرح:

أي: نُثبِت هذه الصِّفاتِ عملًا بهذه السُّورة وهي تسمَّىٰ: «سورة الإخلاص» لأنّها أخلصَت لبيانِ صفةِ الرَّبِّ، ولو قال قائلٌ: مَن هو الله؟ فأجابَ المُجيبُ بتلاوة هذه السُّورة لكانَ الجوابُ وافيًا كافيًا في التّعريف بالرَّبِّ عز وجل.

فما أعظَمَ شأنَها في بيان صفةِ الرَّبِّ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ! كما في قصَّةِ الصَّحابي الجليل الّذي كان يقرأ في كلّ ركعة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأشكل ذلك علىٰ من معه من الصَّحابة، فأخبروا النّبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، فقال: «**سَلوهُ لأيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلكَ؟**» فَسألوهُ، فقال رضي الله عنه: «لأنّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأنَا أحبُّ أنْ أقْرَأ بِهَا» فلمَّا أخبرَ النّبيُّ ﷺ بذلكَ، قال: «**أخْبِرُوهُ أنّ اللّهَ يُحبُّهُ**»(٢). وفي الحديث الآخر: «**حُبُّكَ إيّاهَا أدْخَلَكَ الجَنّةَ**»(٣).

وعملًا بقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] حيث أثبتَ سبحانه لنفسه السَّمعَ والبصرَ بعد نفيه للمثليَّةِ، فدلّ ذلك علىٰ أنّ إثباتَ

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «المجموع» (٥/ ١٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) أورده البخاري تعليقا في باب الجمع بين السّورتين في الرَّكعة، وأخرجه أحمد (١٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٠١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (٢١٣٠).

الصِّفات لا يستَلزِم التّشبِيهَ، فهو سبحانه لا يُشبِهُه شيءٌ لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

◉ وتوحيدُ الأسماء والصِّفاتِ يقوم علىٰ رُكنَيْنِ اجتمعَا في هذه الآية وفي سورة الإخلاص وهُما: **التّنزيهُ بلا تعطيل، والإثبات بلا تمثيل**، فمَن جَحَد شيئًا من أسماءِ الله وصفاته ونفاها فليسَ بمُؤمن، وكذلكَ مَن كيَّفَها أو شَبَّهها بصفات المخلوقين، سبحان الله عمَّا يصفون وتعالىٰ الله عمَّا يقول الظّالمون.

قال: «**وقد جعلها بعضُ أهل العلم**» أي: أقسامَ التّوحيد الثّلاثة «**نوعَيْن، وأدخل توحيدَ الأسماء والصِّفات في توحيد الرُّبوبيَّة**» باعتبار أنّ هذَيْن النّوعَيْن كلاهما توحيدٌ علمي.

قال: «**ولا مُشاحَّةَ في ذلك**» لأنّ المُؤَدّىٰ واحدٌ، و«**لأنّ المَقصودَ واضحٌ في كلا التّقسيمَيْن**».

وإذا عرفنا أنّ التّوحيدَ يَنقَسِمُ إلىٰ ثلاثة أقسام؛ فلْيُعلَمْ أنّ لكلّ قِسْم من هذه الأقسام الثّلاثةِ ضدٌّ ينتفي التّوحيد بوجوده.

◘ فإذا عرفنا أنّ توحيدَ الرُّبوبيَّةِ يعني إفرادَ الله بالرُّبوبيَّة والخَلق والرَّزق والإحياء والإماتة والتّدبير والتّصرُّف في هذا الكون، فضدّ ذلك أن يُثبَتَ لأيٍّ من المخلوقات شيءٌ من خصائص الله في ربوبيَّتِه، كأن يُجعَلَ لأحدٍ من المخلوقات شيءٌ من الخلق أو التّصرُّف أو التّدبير لهذا الكون، فمَن وُجدَ منه ذلك نقَضَ ذلك توحيدَه، ويكونُ كافرًا بربوبيَّةِ الله ﷻ؛ لأنّ المرءَ لا يكون مُوحِّدًا في الرُّبوبيَّةِ إلّا إذا أفرَدَ اللهَ بالرُّبوبيَّةِ، ولم يَجعَلْ معه شريكًا فيها.

◘ وإذا عرفنا أنّ توحيدَ الأسماء والصِّفات قائمٌ علىٰ إثباتِ الأسماء الحسنىٰ والصِّفات العليا لله، ونفي النّقائصِ والعيوب عن الله، وتنزيهه سبحانه عمَّا لا يليق بجلاله؛ فإنّ ضدّ هذا التّوحيدِ: جَحْدُ شيءٍ ممَّا أثبتَه اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، أو إثبات شيءٍ نفاه الله ﷻ؛ فمَن أثْبَتَ لله ما نفَاه اللهُ عن نفسِه، أو نفىٰ عن الله ما أثبته الله لنفسِه؛

فقد وقع فيما يُضَادّ توحيدَ الأسماءِ والصِّفاتِ.

أضرِبُ مثالًا لكلّ منهما من القرآن:

◉ فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أثبَتَ لنَفسِه العلمَ، وأنّه أحاط بكلّ شيءٍ علمًا، وأنّه لا تَخْفَىٰ عليه خافيةٌ في الأرضِ ولا في السَّمَاءِ، يَعلَمُ ما كان، وما سيكون، وما لم يَكُنْ لو كانَ كيف يكونُ؛ فمَنْ شَكّ أو جحَدَ أو لَمْ يُؤمنْ أو ارْتَابَ في هذه الصِّفَةِ أو في بعضِ ما يتَعلّق بها؛ يكونُ كافرًا بالله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فُصِّلَت]؛ هذه العقوبات الواقعةُ علىٰ هؤلاء مبناها وسَببُها ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا فيه شكٌّ في شيءٍ أثبته الله ﷻ لنفسِه، وهو: إحاطةُ علمه، وأنّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وَسِعَ كلّ شيءٍ علمًا، فمَنْ نفىٰ ما أثبتَه اللهُ لنَفسِه يكفُر بذلك، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرَّعد: ٣٠]؛ سمَّىٰ جَحدَهم لاسمه: «الرَّحمن» كفرًا به.

◉ والمثال الآخَر: وهو إثبات ما نفاه الله، تقدّم في سورة الإخلاص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ يقول الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾، الخطأ عند هؤلاء أنّهم أثبَتوا لله ما نَفَاهُ اللهُ عن نفسِه، فالله نزَّهَ نفسَه عن الوَلَدِ، وهم أثبَتوا لله ـ تنزَّه وتقدّس ـ الوَلَدَ، قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ أي: عظيمًا بالغَ الخطورةِ، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾.

فالخَلل في الأسماء والصِّفات يأتِي من جهةِ إثباتِ ما نفاه الله، أو نَفْيِ ما أثبته اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

◘ **القسم الثّالث:** توحيدُ الألوهيَّة، وهو إفراد الله بالعبادة؛ ويضادّ ذلك: صرفُ شيءٍ من العبادة لغير الله، مَنْ ذَبَحَ لغير الله، أو دَعَا غيرَ الله، أو استغاث بغير الله، أو

نَذَرَ لغير الله؛ فإنّ ذلك ناقِضٌ للتّوحيدِ، بل دينُه كلّه يَبطل بذلك، كما مرَّ معنا في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر]. •



⊙ قال رَحِمَهُ اللهُ:

«وأقسامُ الشِّرك ثلاثةٌ: شركٌ أكبر، وشركٌ أصغر، وشركٌ خفيٌّ؛ فالشِّركُ الأكبر يُوجِبُ حبوطَ العمل والخُلودَ في النّار لمَنْ مات عليه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سُبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]. وأنّ مَنْ مات عليه فلَنْ يغفرَ له، والجنّةُ عليه حرامٌ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن أنواعه: دعاءُ الأموات والأصنام، والاستغاثةُ بهم، والنّذرُ لهم، والذّبحُ لهم، ونحو ذلك».

الشرح:

○ عَرفنا أنّ التّوحيدَ ينقسم إلىٰ أقسام ثلاثةٍ، دلّ عليها كتابُ الله وسنّةُ نبيِّه ﷺ، وعرفنا أيضًا أنّ لكلّ قسم من هذه الأقسام ضدٌّ؛ فإذا كان التّوحيدُ ثلاثةَ أقسام؛ فإنّ الشِّرك باعتبارِ تقسيم التّوحيد ينقَسِمُ إلىٰ ثلاثةِ أقسام: شرك في الرُّبوبيَّةِ، وشركٌ في الألوهيَّةِ، وشركٌ في الأسماء والصِّفات.

وهنا يذكُر الشّيخ رَحِمَهُ اللهُ تقسيمًا آخَر للشِّرك باعتبار حَجمه من حيث الكِبَرُ والصِّغَرُ، وأنّه ينقسمُ إلىٰ: أكبر، وأصغَر، وخفِيٍ، كما سيأتي بيانُه، وهل الخفيُّ قسمٌ مُستَقِلّ، أو أنّه وصفٌ للشِّركِ في الحالتَيْن؟ ويأتي أيضًا بيانُ سبب تسميته بهذا الاسم:

«الشِّرك الخفي».

والشِّركُ الأكبر والأصغر يختلفَان من حيث الحدّ ومن حيث الحكمُ؛ أمَّا الشِّرك الأكبر: فهو تسويةُ غيرِ الله بالله في شيءٍ من حقوقِه؛ فمَن سوَّىٰ غيرَ الله بالله في شيءٍ من حقوقِ الله؛ فقد اتّخذه شريكًا وندًّا مع الله، فالشِّركُ: هو جَعْل الأنداد مع الله ﷻ، ولهذا ذكَر اللهُ عن الكفّار أنّهم إذا دخلوا النّارَ يومَ القيامة يقولون: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء] فهذا هو الشِّرك؛ تسويةُ غيرِ الله بالله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] أي: مُساويًا لحبِّ الله.

◉ والشِّرك: هو التّنديد؛ اتّخاذُ الأنداد والشّركاءِ مع الله، قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]؛ أي: شركاء مع الله، تَصرِفُون لهم منَ العبادة والحقوقِ ما ليس إلّا لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

وهو أيضًا عَدل غيرِ الله به، أي: تسوية غير الله به، وجعله عِدلًا لله ﷻ، أي: مُساويًا ومُماثِلًا، كما قال الله عن الكفَّار: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أي: يُسوُّون غيرَه به، ويجعلون غيرَه عِدلًا له، أي: مساويًا له، هذا هو الشِّرك الأكبر النّاقل من الملّة.

والواجبُ علىٰ المُسلم أن يخافَ علىٰ نفسِه من الشِّرك خوفًا عظيمًا أشدّ من خوفه من أيِّ أمرٍ آخر، وأن يكون هذا الخوف مُوجبًا الحَيطةَ والحذَرَ من الوقوع فيه، كما هو الشّأنُ فيما يخافه الإنسانُ من أمور، فيعمل بسَبَب خوفه منها علىٰ اتّقائها، ألسْتَ ترىٰ في بعض النّاسِ أنّه يتّخِذُ لنَفسِه حميةً ينتظمُ فيها انتظامًا دقيقًا لأطعمةٍ عديدةٍ مباحةٍ ليسَت محرَّمَةً، حمْيَةً لبدَنِه من السِّمْنَة، أو من الأمراض، أو من الثّقَل والكسل، وينتظم في هذه الحميَة خوفَ العاقبة، ألَيْسَ من الجدير أن تكون أعظمُ حميةٍ نُعنىٰ بها في حياتنا: الحمية من الشِّرك!! والحمية من الوقوع فيه!! واتّخاذِ الأسباب الدّقيقة جدًّا الّتي تكون ـ بإذن الله ـ سببًا لسلامة العبد ووقايَتِه من الوقوع فيه!! أيكون حال المَرْءِ أن يُعنَىٰ عنايةً دقيقةً بالحميَةِ من بعض الأطعمة الطَّيِّبَةِ خوفَ

مَضرَّتِها، ولا يَحمي نفسَه من الذّنوب خوف عاقبَتِها ومعرَّتِها يوم يَقِفُ أمامَ الله ـ جلَّ في علاه ـ!! ولا يحمي نفسَه من أعظم الذّنوب الّذي هو الشِّرك بالله، سبحانه وتعالىٰ.

إنّ منْ يَعرِفُ الشِّركَ ويَعرِفُ عاقبتَه الوخيمة يخافه جدًّا علىٰ نفسه؛ يكفي في ذلك أن تقرأ قولَ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ في سورة النِّساء في مَوْضِعَيْن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]؛ وهذا في حقّ من مات علىٰ ذلك، فإنّ مَنْ مات علىٰ الشِّرك لا مَطمَعَ له إطلاقًا في الرَّحمةِ، ولا نصيبَ له منَ المَغفرة، ليس له إلّا العذابُ أبَدَ الآبادِ، ويبدأ معه العذاب من لحظةِ مُفارَقةِ رُوحه جسدَه، كما قال نبيُّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو منْ دُونِ اللّهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النّارَ**»[1]. فهذا الدّخول للنّار من حين تفارق روحُه جسدَه، ولهذا قال العلماءُ: إنّ النّارَ قريبةٌ جدًّا من المُشرِك، ليس بينَه وبين النّار إلّا أن تفارقَ روحُه جسدَه، فيَدخُلها، وأوَّل ما تكون النّارُ له في قبره، فيكون حفرةً من حُفَرِ النّار، كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦] أي: في الصَّباح والمَساء. ❁

وقَد قالَ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ في بيانِ أنّ مَن ماتَ علىٰ الشِّرك والكُفْرِ لا مَطمَعَ له إطلاقًا في الرَّحمةِ والمَغفرةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ أي: ليس لهم إلّا ذلك يومَ القيامة ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ﴾ أي: غَيْرَ الشِّرك والكفرِ الّذي كنّا نَعمَله في الدّنيا، ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر] أي: الظّالمين أنفسَهم بالشِّرك والكفرِ بالله ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

فمَن كانت هذه حاله، مُشرِكًا كافرًا بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ومات علىٰ ذلك؛ ليس له في الآخرة إلّا النّارُ مُخَلّدًا فيها أبَدَ الآباد، حتّىٰ إنّ العذابَ لا يُخفّفُ عنه ﴿وَلَا

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ بل يزيد، ولهذَا قال بعضُ أئمَّةِ التّفسير: إنّ أشدّ آيةٍ علىٰ المُشركين يومَ القيامة وهُم في النّار قول الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠][1]. يطمعون في التّخفيف، أو أن يُقضَىٰ عليهم فيَمُوتوا، أو أن يُعَادُوا إلىٰ الدّنيا ليعمَلوا صالحًا غيْرَ الّذي كانوا يعمَلونه؛ فيُقَال لهم: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾.

⦿ كلّ ذلكَ يستَوجب الخوفَ من الشِّرك، والحذَرَ من الوقوع فيه، واللّجوءَ الدّائمَ إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يَقِيَ عبدَه وأن يُعيذَه من الشِّرك والكُفر والنِّفاقِ والضَّلال؛ وانْظرْ في هذا الباب ـ باب الخوف منَ الشِّرك ـ دعوةَ إبراهيم الخَليل إمام الحُنَفاءِ خليل الله ـ عليه صلوات الله وسلامُه ـ، قال في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم]. قال إبراهيمُ التّيمي ـ وهو من أئمَّةِ السّلف ـ رَحِمَهُ اللهُ: «ومَنْ يَأمَنُ البلاءَ بعد إبراهيم!!»[2]. إذا كان إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خاف علىٰ نفسِه، وسأل ربَّه عَزَّ وَجَلَّ فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ أي: اجعلْني يا ربِّ! في جانِبٍ بعيدٍ عن الأصنام وعن عبادَتِها، يَطلبُ منَ الله أن يَحميَه، وأن يَقيَه، وأن يُسلّمَه، وهو الّذي كَسَرَ الأصنامَ بيده ـ عليه صلوات الله وسلامُه ـ!! فكيفَ يأمَنُ غيرُه علىٰ نفسِه ولا يخاف.

ومن دُعاء نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ الّذي كان يواظبُ عليه كلّ صباح ومساءٍ؛ وهو ثابتٌ في كتاب «الأدب المُفرد»[3] وغيره، أنّه كان يقول ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أصبح، وثلاثَ مرَّاتٍ إذا أمسىٰ: «**اللّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ منَ الكُفرِ وَالفَقرِ، اللّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ منْ عَذَابِ القَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلّا أنْتَ**» وثبت أنّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كان يقول في دعائه:

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٨)، و«تفسير السعدي» (ص ٩٠٧).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٢٨٧).
(٣) برقم (٧٠١)، وأخرجه أحمد (٢٠٤٣٠)، وأبو داود (٥٠٩٠)، ، عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وقال الألباني في «الإرواء» (٣/ ٣٥٦): «وهذا سند صحيح علىٰ شرط مسلم».

«اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْت، وَبِكَ آمَنْت، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْت، وَإِلَيْكَ أَنَبْت، وَبِكَ خَاصَمْت، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوت، وَالجنّ وَالإِنْسُ يَمُوتونَ»(١). وكان أكْثَرُ دعائه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «يَا مُقَلِّبَ القلوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»(٢). وفي القرآن: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨].

⊙ وكذلك ممَّا يوجب الخوفَ من الشِّركِ: أنّ النّبيَّ ﷺ أخبرَ أنّه سيقَع في الأمَّة؛ إخبارًا علىٰ وجه الإنذَار والتّحذير، قال ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ: «لَا تَقومُ السَّاعَةُ حَتّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِل منْ أمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وحَتّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِل منْ أَمَّتِي الأَوْثَانَ»(٣). وجاء في الحديث الآخر أنّه ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ قال: «لَا تَقومُ السَّاعَةُ حَتّىٰ تَضْطَرِبَ إِلْيَات نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَىٰ ذِي الخَلَصَةِ»(٤). والمقصود: حتّىٰ تعود عبادةُ ذلك الصَّنَم: ذي الخَلَصَة، وهو صَنَمٌ كان يُعبَدُ في الجاهليَّةِ قَبْلَ الإسلام.

وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قولًا جامعًا في هذا الباب علىٰ وجهِ التّحذير والإنذار: «لَتَتْبَعُنّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»(٥). وأشنَعُ ذلك: الشِّرك وعبادةُ الأوثان، أخبر أنّ هذا الأمرَ واقعٌ كونًا وقدرًا، فيجب علىٰ المسلم أن يكون علىٰ حذَرٍ منه وخوفٍ من الوقوع فيه. ❁

⊙ وممَّا يَستوجبُ الخوفَ من الشِّرك: إخبارُ النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنّ منَ الشِّرك ما هو شركٌ خفيٌّ، وبالَغَ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في بيان خفائه بضَرْبِ مَثَل

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٢٧١٧) واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (١٢١٠٧)، والترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤) عن أنس رضي الله عنه؛ وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣٩٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢) عن ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»(١٧٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

عجيبٍ جديرٌ بأن يتأمَّلَه المسلم، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النّمْلِ**»[(١)]. ما قال: «مثل دبيب النّمل» بل قال: «**أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النّمْلِ**»!! فعندما يكون المرءُ جالسًا وتمُرُّ من جَنبِه نملةٌ تدبُّ إلىٰ حيث وِجهتها أو أكثر، أيشعر بهذا الدّبيب؟! قال: «**أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النّمْلِ**».

فهذا ممَّا يوجبُ الخوفَ واللّجوءَ الدّائمَ إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يَقِيَ العبدَ وأن يُعيذَه من الشِّرك؛ ولهذا لمَّا أخبَرَهم النّاصِحُ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ بذلك حثّهم علىٰ دُعاءٍ عظيم يَجدُرُ بكلّ مُسلم أن يَحفَظَه وأن يُحافِظَ عليه، وصيَّةً من النّبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ في هذا المقام؛ مقام التّحذير من الشِّرك وبيان خفائِه ووجوب الخوف منه، قال: «**أَلَا أَدُلّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا قلْتمُوهُ أَذْهَبَ اللهُ عَنْكُمْ قَلِيلَ الشِّرك وكَثِيرَهُ؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، فأرشدهم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أن يقولوا: «**اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لَا أَعْلَم**»[(٢)].

⊙ كذلك ممَّا يَستَوْجبُ الخوفَ من الشِّرك ـ وتأمَّلْ هذا الحديثَ العجيبَ ـ: دخل النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ علىٰ الصَّحابة وهم يتذَاكرون الفتنةَ المُخيفةَ المَهُولةَ العظيمةَ: فتنةَ الدّجَّال، الّتي هي أشَدّ الفتَن وأخطَرُها وأعظَمُها، فقَال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدّجَّال؟**» قلْنَا: بَلَىٰ، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقومَ الرَّجُل يُصَلّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لمَا يَرَىٰ منْ نَظَرِ رَجُل**»[(٣)]. هذا الّذي خافه النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ علىٰ أمَّتِه: تَزيينُ الصَّلاة من أجْل نظر رجل إليه، أو تزيين الحجِّ أو العبادةِ عمومًا من أجل نَظَرِ رجل إليه، وهذا الأمرُ صارت خطورَته في زماننا هذا أشدّ من الزَّمان الأوَّل؛ لأنّه أصبح كثيرٌ من

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦) عن معقل بن يسار ﷺ، وهذا الجزء من الحديث صحيح كما في «الضعيفة» (٣٧٥٥).

(٢) الحديث السابق.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ؛ وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

النّاس يحمل في جيبه جهازَ الجوَّال وفيه آلةُ التّصويرِ، فأصبح كثيرٌ من النّاسِ في عباداته في الحرمَيْن، أو في المشاعر وغيرها، أكبر ما يهتَمُّ به التقاط الصُّوَرِ لنفسِه الثّابتةِ والمُتحَرِّكةِ، الّتي يَهدِفُ من ورائِها أن يُرِيَ الآخَرِين عملَه، حتّىٰ شاهَدْنا وشاهد غيرُنا كثيرًا من هؤلاء يقف عند بعض الأماكن الفاضلة ـ أماكن الدّعاء والعبادة ـ، ثمَّ يَرفَعُ يَدَيْه علىٰ هيئة الدّاعي، ويُصلحُ من هيئَتِه، ثمَّ تلتَقَط له صورةٌ، وتنتهي المهمَّةُ عند هذا الحَدّ، همُّه أن تلتَقطَ له الصُّورة عند الكعبة، وعند الجَمَرات، وفي المسعىٰ، وعند عرفات ...، وإلخ، ثمَّ هذه الصُّوَرُ يجعَلها بصوَرٍ مُكبَّرةٍ في مجلسِه، أو في ألبوم الصُّوَر، وَمَنْ لقِيَه أو زاره أطْلَعَه عليها.

فالأمر انفتَح في زماننا هذَا بشكل خطيرٍ جدًّا لـمَّا وُجدَتْ هذه الأجهزةُ، وكان في الزَّمانِ الأوَّل الّذي يُرَائِي يحتاج إلىٰ أن يصف عمَلَه وصفًا بلسانه؛ يجلس عند النّاس ويقول: «أنا ذهبت إلىٰ مكّةَ، وكنت في عرفات أبكي، وكنت خاشِعًا، وكنت أقف عند الجَمَرات وأرفع يدي وأدعو...» أمَّا الآن مُرَاءاةٌ صامتةٌ بدون أن يتكلّم؛ يعطيه الصُّوَرَ الثّابتةَ والمُتحرِّكةَ ويقول: انظر، ما يحتَاج أن يتكلّم ويشرح، حتّىٰ إنّ أحدَ الأفاضل أخبرني أنّه رأىٰ شخصًا كان مع زميله في المسجد، فأعطاه زميله آلَةَ التّصوير، وجلس علىٰ هيئةِ المُصَلّي في التّشهُّد، والتقَط له صورةً، ثمَّ قام ومشىٰ!! فهذه الصُّورَةُ ماذا أرِيدَ بها؟ ثمَّ يقول لأصحابه: هذه صُورتي وأنا أصلّي في المَسجد النّبوي؛ وكذَبَ ما كان يُصلّي، جلس لتلتَقَطَ له صورةٌ، ومثله الأوَّل الّذي رفعَ يدَيْه علىٰ هيئة الدّاعي ثمَّ يقول: هذه صورتي وأنا أدعو، وكذب؛ ما كان يدعو الله، وهذه كارثة ومصيبةٌ عظيمةٌ جدًّا، فبعد هذا الجهد في السَّفَرِ والنّفقَةِ والغُربَةِ والتّعَبِ يأتي بهذه الأمور الّتي تحبط عملَه؟! ۞

⦿ وممَّا يستوجب الخوفَ من الشِّركِ: كثرةُ دُعاة الضَّلال وأئمَّةِ الباطل، وخوف النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ علىٰ أمَّتِه منهم حيث قال: «**إنّ منْ أخْوَفِ مَا أخَافُ عَلَىٰ أمَّتِي الأئِمَّةَ المُضِلّينَ**»[(١)]. والآن يُوجَدُ من أئمَّةِ الضَّلال مَن يقول للنّاس: اطْمَئِنّوا،

---

(١) سبق تخريجه من حديث ثوبان ﷺ.

الشِّرك لن يقَع إطلاقًا، ثمَّ يلبِّس عليهم، ويشبِّهُ ببعض الأحاديث الَّتي يَحملها علىٰ غير معناها؛ فيستدِلّ للنّاسِ بالمُتشَابِه، ويترك المُحكَمَ البيِّنَ الوَاضِحَ، يقول النّبيُّ ﷺ: «**لَا تَقومُ السَّاعَةُ حَتّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِل منْ أَمَّتِي الأَوْثَانَ**»[(١)]. وأيُّ شيءٍ أوضَحُ من هذا!! وهو حديثٌ صحيحٌ ثابتٌ، فيترك النُّصوصَ المُحكَمَة البَيِّنَة، ويذهب إلىٰ المُتَشابِه ويَستَدِلّ به، كحديث: «**إنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ**»[(٢)]. فيقول للنّاس: «الجزيرةُ لن يكونَ فيها الشِّركُ إطلاقًا». وقد قال العلماءُ في معناه: إنّ الشّيطانَ لمَّا رأىٰ قوَّةَ الإيمان في زمان الصَّحابةِ ﷺ وإقبالَهم علىٰ التّوحيد، دخل علىٰ نفسِه شيءٌ منَ اليأس أن يُعبَدَ وحال الإيمان هكذا ـ لكن لا يأتي علىٰ النّاسِ زمانٌ إلّا والّذي بعدَه شرٌّ منه، وفي كلّ عام ترذَلون ـ فلم يُثْنِه ذلك ولم يتوقّفْ، بل استمرَّ في الإغواء والإضلال والصَّدّ عن دين الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ حتّىٰ عبَد فئامٌ من الأمَّةِ الأوثانَ، وكم هي الجنايةُ علىٰ العوامِّ والجُهَّال عندما يُقَال لهم: إنّه لن يقَع الشِّرك إطلاقًا؛ فيُصبِحُ ما ثَمَّةَ حاجةٌ عندهم أن يقال: «اللّهُمَّ أعِذْنِي منَ الشِّركِ» ولا يُبالون بخطورة الشِّرك، ولا يَحرِصُون علىٰ تَعلّمه من أجل الحَذَرِ من الوقوع فيه، فتَجدُ الشِّرك يَدخُل علىٰ هؤلاء دخولًا عريضًا في أعمالهم وأقوالهم وتصرُّفَاتِهم، وهُم لا يزالون يَظنّون أنّ الشِّرك لا يَقَعُ، مع أنّهم قد تَلوَّثوا به، وهذا ممَّا يُبيِّنُ خطورةَ أئمَّةِ الضَّلال علىٰ النّاس.

وعلىٰ كُلٍّ؛ هذا ممَّا يَستَوْجبُ الخوفَ من الشِّرك والحذرَ منه والتّحذيرَ، وأن يكون خوفُ المَرْءِ من الشِّرك أشدّ من خوفه من أيِّ أمرٍ آخر، وأن يُجاهد نفسَه علىٰ الحذر منَ الوقوع فيه، ومن هذه المجاهدة: أن يعرفَ الشِّركَ، والعُلماء ـ رحمهم الله ـ قالوا قديمًا: «كيف يتّقِي مَنْ لا يَدْرِي ما يتّقي» الّذي لا يَدرِي ما هو الشِّركُ، وما هي أنواعُه، وما هي حقيقته، وما هي الأمورُ الدّاخلة في مُسمَّاه، كيف يتّقِيه؟! فأوّل أساسٍ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٢)، عن جابر بن عبد الله ﷺ.

لاتّقاءِ الشِّركِ: أن يُعرَفَ ما هُو الشِّركُ، وما هي حقيقته، فبهذه المعرفة الّتي يُقصَدُ منها الاتّقاءُ والحذرُ يتحقّق بإذنِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ اتّقاءُ الشِّركِ، ولهذا قال أحدُ السَّلف[١] في تعريف التّقوىٰ: «تقوىٰ الله؛ عمَلٌ بطاعة الله، علىٰ نورٍ من الله، رجاءَ ثوابِ الله، وترْكٌ لمعصيةِ الله ـ وأعظَمُ معاصي الله: الشِّرك ـ علىٰ نورٍ من الله، خِيفَةَ عذاب الله» فلابدّ أن يكون الإنسان علىٰ معرفةٍ بالشِّرك ـ معرفةٍ بحقيقَتِه، ومعرفةٍ بخطورته، ومعرفةٍ بعقوبته ـ، معرفةً يقصِدُ منها أن يَحذَرَ منه، وأن يُحذِّرَ غيرَه من الوقوع فيه، حتّىٰ أبناءَه، كما في وصيَّةِ لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فحذّره من الشِّرك، وبيَّن له في الوقت نفسِه خطورَتَه، وأنّه أظْلَمُ الظّلم وأشْنَعُه وأشدّه علىٰ الإطلاق.

ومن هذا المُنطَلَقِ أخذَ الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ هنا يُبيِّنُ ما يتعلّق بحقيقة الشِّرك وأنواعِه. ❁

❍ قال رَحِمَهُ اللهُ: «**الشِّركُ الأكبَر يوجبُ حبُوطَ العَمَل**» أي: بطلان العمل كلّه، كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر]، فالشِّركُ مُحبِطٌ للأعمال كلّها، وهذا أمرٌ أوحىٰ اللهُ به إلىٰ نبيِّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وأوحىٰ به إلىٰ جميع النّبيِّين من قبله ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]؛ وذلك أنّ الشِّرك الأكبرَ إذا خالطَ العملَ ـ قلّ العمل أو كَثرَ ـ بطَلَ أجمَعُه، وفسَدَ كُلّه، ولم يُقبَلْ منه شيءٌ، وهذا يستفادُ من باب الاعتبار بالنّظَرِ في الأمور المُفسِدَةِ.

وهذا بابٌ تَجدُ كثيرًا من النّاسِ يتفقّهُ فيه، وينظرُ في ترتّب الفساد علىٰ اتّصال بعضِ الأشياءِ ببعضٍ، كيف يَسرِي الفسادُ في الجميع، بل هناك علومٌ قائمةٌ علىٰ مراعاة هذا الجانِبِ في حفظِ الأطعمة والأغذية، وكيف أنّه لو وُضِعَ كذا مع كذا لأفسَدَه، وتعمَلَ الاحتياطات الكافيةُ حفظًا للطّعام ومنعًا للفساد، وأيُّ فسادٍ وإفسادٍ

---

(١) هو: طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللهُ؛ أخرجه ابن المبارك في «الزُّهد» (١٣٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٤)، وابن أبي شيبة (٣٥١٦٠).

أشدّ من الشِّرك؟ إذ هو يُفسِدُ العملَ كلّه، ويفسِدُ دُنيَا المَرْءِ وآخِرتَه، ويكون ـ والعياذُ بالله ـ في خسرانٍ مُبينٍ، وإن كانت هناك صلواتٌ، أو صيامٌ، أو صدقاتٌ لم تقبَلْ لفسادِه بدخول الشِّرك علىٰ العمل، قال اللهُ ﷻ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤] وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[المائدة: ٥].

○ قال رحمه الله: «والخلودُ في النّارِ لمَنْ مات عليه» أي: مَنْ مات علىٰ الشِّرك ليس له يومَ القيامة إلّا النّارُ مُخلّدًا فيها أبدَ الآباد، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أي: والحال أنّهم شاهدين علىٰ أنفسِهم بالكفر بإقامتهم علىٰ عبادةِ الأصنام والتّوجُّهِ بالعبادة للأوثان، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [التوبة: ١٧] أي: أبدَ الآباد، لا يُقضىٰ عليهم فيموتوا، ولا يُخفّفُ عنهم من عذابِها.

○ قال رحمه الله: «وأنّ مَنْ مات عليه» أي: علىٰ الشِّرك الأكبر «فلن يُغفَرَ له والجَنّةُ عليه حرامٌ» والدّليل علىٰ أنّه لن يُغفَرَ له قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وهذا في حقّ مَن مات علىٰ ذلك، ولا تعارُضَ بين هذه الآية وبينَ قول الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في سورة الزُّمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ لأنّ قولَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ هذا في حقّ مَن تاب، بدليل قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ ﴾ أي: توبوا، فمَن تاب تابَ الله عليه من الشِّرك أو غيرِه، وقوله في آية النِّساء: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ هذا في حقّ من مات علىٰ الشِّرك، فمَن مات علىٰ الشِّرك لا مَطمَعَ له إطلاقًا في مغفرة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

والدّليل علىٰ أنّ الجنّةَ حرامٌ علىٰ المُشرِك قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] أي: ما للمُشرِكين

الّذين ماتوا علىٰ الشِّرك بالله من أنصار؛ أي: من أعوان يقوُّونهم ويحمونهم من عذاب الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فالظّلمُ هنا يُرادُ به الشِّرك كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أنواعه» أي: الشِّرك: «**دعاء الأمواتِ والأصنام**» لأنّ الدّعاءَ عبادةٌ، بل هو أعظم العبادة وأهمُّها، كما صحَّ بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**الدّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**» **ثمَّ تلا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قولَ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][1]، أي: حَقيرين ذَليلين، فسمَّىٰ المُستكبِرَ عن دعائه مُستكبِرًا عن عبادته، فالدّعاء عبادةٌ بل أعظَمُها، فمَن دعا غيرَ الله، وطَلَبَ المدّ والعونَ من غيرِه، ولجأ لغَير الله، واستغاث بغير الله؛ فقد وقع في الشِّرك الأكبر النّاقِل من الملّةِ، وقد قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ، وَاعْلَمْ أَنّ الأمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّهُ لَكَ**»[2].

وأئمّةُ الضّلال الّذين خافهم النّبيُّ ﷺ علىٰ أمّتِه لا يزالون إلىٰ الآن يحثّون النّاسَ علىٰ دعاء الأموات والاستغاثَة بهم والاستنجَاد بهم، ويقولون لهم: هذا يُسمَّىٰ: تَوسُّلًا، ويُسمَّىٰ: شفاعة، ويُوَرِّطون العوامَّ توريطا عظيمًا، حتّىٰ إنّ أحَدَ العوامِّ مرَّةً سَمعته يدعو غيرَ الله، فناصحتهُ، وأخذْت أقْرَأ عليه الآياتِ في أنّ الدّعاءَ عبادةٌ لا يجوزُ أن يُصرَفَ لغَير الله، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، ومثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر]، ومثل قول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، ومثل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قول الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ وأقرأ عليه أحاديثَ في هذا الباب، ثمَّ لمَّا انْتَهَيْت، وفَهِمَ الأمرَ جيِّدًا، واتّضَحَ له قال لي: «أنا من بلد كذا وكذا ـ سمَّىٰ لي بلدَه ـ ما أحدٌ قال لي هذا الكلام». أي: أنّ العلماءَ كانوا يقولون له: هذا تَوسُّلٌ، وأشعَروه أنَّ هذا المدّ لليَدَيْن والدّعاءَ لغير الله ﷻ منَ الأنبياء أو الأولياء أو غير ذلك إنّما هو تَوسُّلٌ، ولم يُسمعوه آياتِ التّوحيدِ وآياتِ إخلاص الدّعاء لله؛ فهذا ممَّا يُبيِّنُ لنا ـ ما سَبَقَ ـ: خطورةَ أئمّةِ الضَّلال علىٰ النّاس.

❍ قال ﵀: **«والاستغاثة بهم»** الاستغاثة: طلب الغوث، والاستغاثة تكون في الشّدائدِ والكُرُبات والأمراض، وكثيرٌ من العوامِّ إذا اشتَدَّ به المرض، أو اشتدّتْ به الحاجةُ والفَقْرُ، أو نَزَلَتْ به مصيبةٌ أو نحوُ ذلك؛ ذهب إلىٰ أحدِ القبور، ولجأ إليه، وبكىٰ عنده، وخضع، وخشع، وألَحَّ عليه في قضاء حاجته، والله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل] أي: ما أقَلّ تَذكّرَهم فيما يُرشِدُهم إلىٰ الحقّ، ويهديهم إلىٰ الصِّراطِ المستقيم.

❍ قال ﵀: **«والنّذْر لهم»** أي: تقديم النّذور والقرابين، **«والذّبح لهم»**، والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ أي: ذبحي، ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ويقول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغَيْرِ اللهِ»**[1]. واللّعنُ: هو الطّرْدُ والإبعادُ من رحمة الله ـ جلّ وعلا ـ.

وعَدّ الشّيخ ﵀ في خاتمة كلامه عن الشّرك الأكبر بعضَ أنواعِه فيه التّنبيه إلىٰ أنّ معرفةَ الشِّرك تتطَلّبُ معرفةَ أنواعه، ولمَّا كانت رسالته ﵀ مختصرةً؛ أشار ﵀ إشارةً إلىٰ بعض الأنواع؛ تنبيهًا منه بها علىٰ غيرِها من صرفِ العبادة للأموات أو الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو غيرها، وأنّ ذلك كلّه منَ الشِّرك الأكبر النّاقل منَ الملّة. ◉



(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) عن عليٍّ ﷺ.

❍ قال رَحِمَهُ اللهُ: «أمَّا الشِّركُ الأصغَر: فهو ما ثبتَ بالنّصوص منَ الكتاب أو السُّنّة تَسميَته شركًا، ولكنّه ليس من جنس الشِّرك الأكبر؛ كالرِّياء في بعض الأعمال، والحَلفِ بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، ونحو ذلك».

الشرح:

❍ ينبغي الانتباهُ لهذه الفائدة: في الفَرق بينَ الشِّرْكِ الأصغَر والشِّرْكِ الأكبَر:

◉ **فالشِّركُ الأكبَرُ**: تسويةُ غيرِ الله بالله في شيءٍ من حقوق الله، الدّعاء حقّ لله، لا يُدعَىٰ إلّا اللهُ، كذلك: الذّبحُ، النّذْرُ، الاستغاثةُ، الرَّجاء، إلىٰ غير ذلك، هذه حقوقٌ لله علىٰ عبادِه، كما جاء في حديث معاذٍ أنّ النّبي ﷺ قال له: «**هَلْ تَدْرِي حَقّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَق العِبَادِ عَلَىٰ الله؟**» قلْت: الله وَرَسُولهُ أعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنّ حَقّ اللّهِ عَلَىٰ العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»(١). العبادةُ بأنواعها حقّ لله ﷻ، فمَنْ أعطىٰ شيئًا من العبادة لغير الله ـ أيًّا كان هذا الغير ـ فقد سوَّاه بالله في حقٍّ من حقوقِه، سواءٌ الدّعاء أو الاستغاثة أو الذّبح أو النّذر أو غيرُ ذلك، فمَن صَرَفَ شَيئًا منَ العبادة لغير الله فقَد سوَّىٰ هذا الغَيْرَ بالله في حقٍّ من حقوق الله فيكون بذلك مُشرِكًا الشِّركَ الأكبَرَ النّاقِلَ من الملّة، هذه حقيقةُ الشِّرك الأكبر.

◉ **أمّا الشِّركُ الأصغَر**: فيقول الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ في تعريفه: «هو ما ثبتَ بالنّصوص منَ الكتَاب أو السُّنّة تسميَته شِرْكًا، ولكنّه ليسَ من جنس الشِّركِ الأكبَر» يعني: ليس فيه تسويةٌ لغير الله بالله في شيءٍ من حقوقِ الله، مثلًا: عندما يقول رَجُلٌ مُخاطِبًا آخر: «ما شاء الله وشئتَ» هذا شركٌ أصْغَر، ولهذا لمَّا سَمعَ النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ رجلًا يقول ذلك، قال: «**أجَعَلْتَنِي وَاللّهَ عَدْلًا**»؟ ـ وفي رواية: **نِدّا** ـ **قلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(٢). هذا مُجرَّدُ لفظ، فالرَّجُل عندَما قال هذه الكلمةَ لم يَقصِدْ أنْ يُسوِّيَ بينَ مشيئة العبدِ ومشيئة الرَّبِّ ﷻ؛ فإنّه لو كان يقصِدُ ذلكَ حتّىٰ لو لم يَنطِقْ بهذه الكلمة يَكفُرُ الكُفْرَ الأكْبَرَ؛ للتّسويَةِ الّتي جعلَها

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).
(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٩)، وابن ماجه (٢١١٧) عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (١٣٩).

بينَ المخلوق وبينَ الخالق في شيءٍ من خصائص الرَّبِّ سُبحانه.

فهذه اللَّفظةُ لمَّا كانت لفظةً شركيَّةً وجَبَ أن تصَانَ الألسُنُ عنها، مع أنّ الألفاظَ الشِّركيَّةَ عندما تصحَّحُ لكثيرٍ من النّاس يقولون: «لَمْ نقصِدْ» ولهذَا يُسمِّي العلماءُ هذا النّوعَ منَ الشِّرك: «شركَ الألفاظ» فيُقال: حتّىٰ لو لم تَقصِدْ ما تَجُوز، هذا شركٌ يَجبُ أن يُصَانَ عنه اللّسان، ومثل هذا ـ وسيأتي عليه أمثلةٌ ساق الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ جملةً منها ـ يُسمَّىٰ شركًا أصغر؛ لأنّه أطْلق عليه في النّصوصِ بأنّهُ شِرْكٌ، ولكنّه لا يَبلغُ حدّ الشِّرك الأكبر، قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولكِنّه ليس من جنسِ الشِّرك الأكبر» يعني ليس فيه تسويةٌ لغَير الله بالله في شيءٍ من حقوقِه أو شيءٍ من خصائصه.

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «كالرِّياء في بعضِ الأعمال» هذا قَيْدٌ؛ لأنّ الرِّياءَ الخالصَ كُفرٌ أكْبَر ناقلٌ منَ الملّة، وهو رياءُ المنافقين ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، فإذًا الرِّياءُ في قوله: «كالرِّياء في بعض الأعمال» يُراد به يَسيرُ الرِّياءِ، أمّا الرِّياءُ الخَالص، الرِّياءُ التّامُّ هذا كفرٌ أكْبَر، وهو رياء المُنافِقِين، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، كما وصَفَهم الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بذلك.

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «والحَلفُ بغير الله» كالحَلفِ مثلًا بالكعبة، أو الحَلف بالنّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، أو الحلف بشيءٍ من البقاع أو الأمكنة، أو الأشخاص، أو غير ذلك، وقد جاء عن نبيِّنا ﷺ أنّه قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[(١)]. فسمَّىٰ الحلف بغَير الله كفرًا، وسمَّاه شركًا بالله ـ سُبحانه وتعَالىٰ ـ، لكنّه ليس الشِّركَ الأكبر النّاقِلَ من الملّة، وإنّما هو شركٌ أصغر.

والشِّركُ الأصغَر أخطر منَ الكبائر، خطورته عظيمةٌ جدًّا، وليس بالأمر الهيِّنِ، قال ابنُ مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَأنْ أحلفَ بالله كاذبًا أَحَبُّ إِلَيَّ من أنْ أحلفَ بغَيره صادِقًا»[(٢)]. فانظرْ

(١) أخرجه أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة (١٢٢٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٠٢)؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٦٦٢).

في كلامه، واعمَلْ موازنةً حتّىٰ يتّضِحَ لك الكلامُ بشكل أكبر:

فمَن يحلفُ بالله كاذبًا اجتَمع في عمله شيئان: حسنةٌ، وسيِّئةٌ؛ حسنةُ التّوحيد، وسيِّئةُ الكَذِب، وبالمُقابل في القَسَم الآخر أيضًا عنده حسنةٌ وسيِّئَةٌ؛ حسنةُ الصِّدق، وسيِّئةُ الشِّرك؛ ولا ريبَ أنّ حَسَنَةَ التّوحيدِ خَيرٌ وأعظَمُ من حَسنَةِ الصِّدقِ، وسيِّئَةُ الشِّركِ أشَدّ وأعْظَمُ من سيِّئَةِ الكَذِب؛ فالأوَّل حصَّل أفْضَلَ الحسَنات، واتّقىٰ أشَدّ السَّيِّئَاتِ.

وقَد بلغ الأمرُ في خطورته عند من دخلوا الطّرُقَ المُنحَرِفَةَ والإيغال في تعظيم الأولياء والغلوِّ فيهم؛ أنّ بعضَهم إذا حُلّف بالوليِّ لا يحلفُ إلّا صادِقًا، وإذا حَلَف بالله لا يُبالي، حتّىٰ لو كان كاذِبًا فإنّه يَحلف، من شدّةِ ما قام في قلبه من تعظيم للوليِّ!!

ولهذا قَد يَغلظ هذا الشِّركُ الأصغَرُ فيكون شركًا أكبر ناقلًا من الملّة ـ والعياذ بالله ـ إذا عُظِّم المحلوفُ به تعظيمًا أشدّ من تعظيم الله، أو تعظيمًا مساويًا لتعظيم الله ﷻ.

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وقول ما شاءَ الله وشاءَ فُلانٌ**» فقد حذّر النّبيُّ ﷺ من ذلك، ولمَّا سَمع رجلًا يقول: «ما شاءَ الله وشئتَ» قال: «**أجَعَلْتَنِي واللهَ عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[1]. وذلك لأنّ «الواو» تفِيدُ مُطلَقَ المساواة، بخلاف «ثمَّ» فلو قال: «ما شاء الله ثمَّ فلان» فلا حَرَج؛ لأنّ «ثمَّ» تفيد التّراخي.

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «**ونحو ذلكَ**» أي: من هذه الألفاظ؛ وقد جاء عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة] قال: «الأندادُ هو الشِّركُ، أخْفَىٰ من دبيب النّمل علىٰ صَفَاةٍ سوداء في ظلمَةِ اللّيْل، وهو أن يقول: واللهِ؛ وحياتِكِ؛ يا فُلان، وحياتي؛ ويقول: لولا كلبَةُ هذَا لأتانَا اللّصوص، ولولا البطّ في الدّار لأتىٰ اللّصوص، وقول الرَّجُل لصاحبه: ما شاء اللهُ وشئتَ، وقول الرَّجُل: لولا اللهُ وفُلانٌ، لا تجعل فيها «فلان» هذا كلّه به شركٌ»[2].



(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٩).

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». فسُئل عنه، فقَال: «الرِّيَاءُ». رواه الإمام أحمد والطّبراني والبَيهقي، عن محمُود بن لَبيد الأنصَاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإسنادٍ جيِّدٍ[١]، ورواه الطّبراني بأسانيد جيِّدَةٍ، عن محمود ابن لَبيد، عن رافع بن خُدَيج، عن النّبيِّ ﷺ[٢]».

الشرح :

○ هذا الدّليل الأوَّل يتعلّق بالرِّياء في بعض العمل، فالمراد بقوله: «الرِّيَاء» أي: يسير الرِّياء، أمَّا خَالص الرِّياء فمن الشِّركِ الأكبر النّاقل من الملّة.



○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بشَيْءٍ دُونَ اللهِ فقَدْ أشْرَكَ» رواه الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عن عُمَر بنِ الخَطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣]، ورواه أبو داود والتّرمذي بإسنادٍ صحيح، من حديث ابن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النّبيِّ ﷺ أنّه قَال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّهِ فقَدْ كَفَرَ أوْ أشْرَكَ»[٤]».

الشرح :

○ وهذا يتعلّق بالأمر الثّاني وهو الحَلفُ بغير الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد جاء عن النّبيِّ ﷺ في ذلك أحاديث، ذكر منها رَحِمَهُ اللهُ هذَيْنِ الحديثَيْن.

ـ قول النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «مَنْ حَلَفَ بشَيْءٍ» «شَيْء» نكرةٌ في سياق الشّرطِ فتفيد العُمومَ، فيدخُل تحتَ قوله «شَيْء» الملائكة، والأنبياء، والكعبة، والأولياء، وغير ذلك.

ـ وقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّهِ فَقَدْ كَفَرَ أوْ أشْرَكَ» يَحتَمل أن يكون شكّا من

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤١٢).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٣٠١).
(٣) أخرجه أحمد (٣٢٩)، وقال الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٩١): «وهذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع» وذكر له شاهدا.
(٤) سبق تخريجه.

الرَّاوِي، ويحتَمل أن تكونَ «أوْ» بمعنىٰ الواو، فيكون قد كفَر وأشرك، ويكون الكفر الّذي هو دونَ الكُفر الأكبر، كما هو منَ الشِّرك الأصغَر، إلّا إذا بلغ الحالفُ بغير الله منَ التّعظيم للمَحلوف به، والاعتقاد فيه ما لا يكونُ إلّا لله؛ فيكون منَ الشِّرك الأكبَر النّاقل من الملّة.

قال الشّوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشَكّ معه أنّ كثيرًا من هؤلاء القبوريِّين أو أكثرَهم إذا توجَّهَتْ عليه يمينٌ من جهة خَصمه؛ حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلفْ بشَيْخِك ومعتَقدِك الوليِّ الفُلاني؛ تَلَعْثَم وتَلَكّأ، وأبىٰ، واعترف بالحقّ، وهذا من أبْيَنِ الأدلّةِ الدّالّةِ علىٰ أنّ شِركَهم قَد بلغ فوقَ شركِ مَنْ قال: إنّه تعالىٰ ثانِي اثْنَيْنِ، أو ثالثَ ثلاثةٍ»[(١)].

قرأت في أحد الكُتب ـ ونقل مُصنِّفُه عن بعض هؤلاء تعظيمًا للأولياء أشدّ من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ ـ أنّ أحدَهم طلبَ منه الحَلفُ، فحلف بأحَد الأولياءِ المزعُومين، فتغيَّرَ وجهُ المحلوفِ له، وأنكَرَ علىٰ الحالف قائلًا: أَلَيْسَ الشّيخُ عالمًا بما يجري الآن بينَنا؟ قال الرَّاوي: ظَنَنْته لأوَّل سماع إنكارَه أنّه ينهاه عن الحلف بالمَخلوق؛ فإذا هو يُكبِّرُه عن الحَلفِ به، ويُشرِكُه مع الله في غَيبِه[(٢)]!!

فانظرْ هذا الشِّركَ ما أشنَعَه! فلم تَعُد القضيَّةُ منَ الشِّرك الأصغر، بل أصبح هذا عقيدةً في الوليِّ أنّه يَعلَمُ أحوالَ العباد، ويعلمُ الكاذبَ منَ الصَّادِقِ، والمُحقَّ من المُبطِل، تعالىٰ الله عمَّا يُشرِكون.



○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله ﷺ: «لا تَقولوا: مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلَانٌ، ولكن قولوا: ما شَاءَ اللهُ ثمَّ شاءَ فُلَانٌ». أخرجه أبو داود بإسنادٍ صحيح عن حُذَيفة بن اليَمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٣)]».

(١) «نيل الأوطار» (٤/ ١٠٢).
(٢) «رسالة الشّرك ومظاهره» للميلي (ص ٢١١).
(٣) أخرجه أحمد (٢٣٣٤٧)، وأبو داود (٤٩٨٠)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (١٣٧).

الشرح:

○ وهذا يتعلّق بالأمر الثّالثِ وهو قول: «ما شاء الله وشاء فُلان» قال: «لَا تَقولوا: مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلَانٌ، ولَكِنْ قولوا: مَا شَاءَ اللهُ ثمَّ شَاءَ فُلَانٌ» لأنّ ثمَّةَ فرقًا بين العَطف بـ«الواو» والعطف بـ«ثمَّ» فـ«الواو» تفيد مُطلَقَ التّساوي، أمَّا «ثمَّ» فتفيد المُهلةَ والتّراخي، وأنّ المعطوفَ دونَ المعطوف عليه وأقلّ منه.



○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا النّوعُ لا يوجبُ الرِّدّةَ، ولا يُوجبُ الخلودَ في النّارِ، ولكنّه ينافي كمالَ التّوحيدِ الواجب».

الشرح:

○ بعد أن بيّن الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ اختلافَ هذا النّوعِ عن الأوّل الّذي هو الشِّرك الأكبر في الحدّ، ذكر أنّه يختلفُ عنه في الحكم؛ فهذا النّوعُ لا يوجبُ الرِّدّةَ، ولا يوجب الخلودَ في النّار، مَنْ وقَعَ في شيءٍ من ذلك لا يكون مُرتَدًّا، أي: لا يكونُ كافرًا الكُفرَ الأكبر النّاقِلَ من الملّة، وأيضًا إذا مات علىٰ ذلك فإنّ ذلك لا يوجبُ الخلودَ في النّار.

والعلماءُ ـ رحمهم الله ـ اختلفوا فيمَنْ مات علىٰ الشِّرك الأصغَر: هل يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨؛ ١١٦]؟

فمن العُلماء مَن قال: هو داخلٌ فيها لعُموم الآية؛ بمعنىٰ أنّه إن مات علىٰ هذا الشِّرك لا يدخُل تحتَ المشيئة، بل لابدّ أن يُعذّبَ، لكن لا يُخلّدُ في النّارِ؛ لأنّه لا يُخلّدُ في النّار إلّا مَنْ مات علىٰ الشِّرك الأكبر.

ومن العُلماء مَن قال: إنّ شأنَه مثل شأنِ سائر الكبائر، وأنّه تحتَ المشيئة؛ إن شاء اللهُ عذّبَه، وإن شاءَ غَفَرَ له.

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «لكنّه ينافي كمالَ التّوحيد الواجب» وما ينافي كمالَ التّوحيد الواجب صَاحبُه مُعرَّضٌ للعقوبة وسَخَطِ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ؛ لأنّ الكمالَ كمالان؛ كمالٌ واجب يأثَمُ العبد بتركه ويُعرِّضُ نفسَه للعقوبة، وكمالٌ مُستَحَبٌّ إذا فعله زاد بذلك

إيمانُه وإن لم يفعَلْه لا يكونُ بذلك آثِمًا ولا مُعرَّضًا للعقوبة.



○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «أمَّا النّوعُ الثّالث: وهو الشِّرك الخفيُّ؛ فدليله قول النّبيِّ ﷺ: «ألَا أخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي منَ المَسِيحِ الدّجَّال؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقومُ الرَّجُل فَيُصَلّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لمَا يَرَىٰ منْ نَظَرِ الرَّجُل إِلَيْهِ». رواه الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1]».

الشرح:

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: «أمَّا النّوعُ الثّالث» من أنواع الشِّرك «وهو الشِّرك الخفيُّ؛ فدليله قول النّبي ﷺ: «ألَا أخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي منَ المَسِيحِ الدّجَّال؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقومُ الرَّجُل فَيُصَلّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لمَا يَرَىٰ منْ نَظَرِ الرَّجُل إِلَيْهِ». هذا الشِّرك سُمِّيَ خفيًّا؛ لأنّه يقع خفاءً ليس ظاهرًا، يعني لو جاء شخصٌ ـ مثلًا ـ وسجَدَ لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو مدّ يدَيْهِ ودعا غيرَ الله، فعمَله هذا شركٌ جليٌّ ظاهِرٌ، أمَّا الّذي يُصلّي ويزَيِّنُ صلاتَه لما يرىٰ من نظر الرَّجُل إليه، فصورةُ عمله الظّاهرَةِ أنّه يُصَلّي لله، حتّىٰ الحُسن والتّحسين والتّزيين الّذي حصل للصّلاة صورته الظّاهرةُ أنّه لله، فالشِّركُ الّذي عنده خَفِيٌّ ليس بظاهِرٍ، لا يُرىٰ ولا يُسمَع، الأوَّل يُسمَعُ إذا قال: «مَدَد يا فلان» ويُرىٰ إذا سجد لغَير الله، أو ذَبَحَ لغير الله، بينَما هذا لا يُرىٰ ولا يُسمَع؛ فسُمِّيَ خفِيًّا لخَفَائِه.

ولهذا بعضُ العلماء يقول: الشِّرك نوعان: شركٌ جليٌّ، وشركٌ خفيٌّ، وسيأتي إشارةُ الشّيخ رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ ذلك.

وممَّا يتعلّق بهذا المعنىٰ: ما مرَّ معنا في قوله ﷺ: «لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أخْفَىٰ منْ دَبِيبِ النّمْلِ». من جهةِ أنّه يَتسَرَّبُ إلىٰ القلوبِ، ويتَسَلّل إلىٰ النّفوس خُفيَةً، ومن حيث لا يَشعُر الإنسانُ، ولهذا قال: «وَأسْتَغْفِرُكَ لمَا لا أعْلَمْ». والرِّياءُ مُحبِطٌ للعمل الّذي

(١) سبق تخريجه.

خالطه، والله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا يَقبَل من العَمل إلّا ما كانَ خالصًا لوجهه وابتغاءَ مرضاتِه ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ، ويُقال للمُرائين يوم القيامة: «**اذهَبُوا إِلَىٰ الّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاءُونَ فِي الدّنْيَا؛ فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[1]. ❁



○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ويَجُوزُ أن يُقسَّمَ الشِّركُ إلىٰ نوعَيْن فقَط: أكبَر وأصغَر، أمّا الشِّركُ الخفيُّ فإنّه يعمُّهما؛ فيقَع في الأكبَر؛ كشِرك المُنافقين؛ لأنّهم يُخفُون عقائدَهُم الباطلَةَ ويتظاهَرون بالإسلام رياءً وخوفًا علىٰ أنفسِهم، ويكونُ في الشِّرك الأصغَر؛ كالرِّياء، كما في حديث محمُود بن لَبيد الأنصاري المُتقدّم، وحديث أبي سعيد المذكُور. والله وليُّ التّوفيق**».

الشرح :

○ ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتعلّق بهذا التّقسيم بأن قال: «**ويجوز أن يُقسَّم الشِّرك إلىٰ نوعَيْن فقط: أكبر، وأصغر**» وأمّا الخفيُّ فليس قسمًا ثالثًا وإنّما هو وَصْفٌ، قد يكونُ للأكبر، وقَد يكونُ للأصغَر، بحسب نوع الشِّركِ.

وهذه الطّريقَة في التّقسيم هي الّتي مالَ إليها الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في المجلّد الأوَّل من «فتاويه» قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصَّواب: أنّ هذا ليس قِسمًا ثالثًا، بل هُو من الشِّرك الأصغَر، وهو قَد يكون خفيًّا؛ لأنّه يقومُ بالقلوب ـ كما في هذا الحديث ـ وكالّذي يقرأ يُرائي، أو يأمر بالمَعروف وينهَىٰ عن المُنكر يُرائي، أو يُجاهد يُرائي، أو نحو ذلك.

وقَد يكون خفيًّا من جهة الحكم الشّرعي بالنِّسبةِ إلىٰ بعض النّاس؛ كالأنواع الّتي في حديث ابن عبّاس السّابق، وقَد يكون خفيًّا وهو منَ الشِّرك الأكبر كاعتقاد المُنافقين؛ فإنّهم يُرَاؤُون بأعمالهم الظّاهرة، وكُفْرهم خفيٌّ لم يُظهِـرُوه، كما في قولـه تعالـىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية [سُورَةُ النِّسَاءِ]،

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وصحّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٩٥١).

والآيات في كُفرهم وريائهم كثيرةٌ، نسأل اللهَ العافيةَ»[(١)].

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أمَّا الشِّرك الخفيُّ فإنّه يَعُمُّهما**» معنىٰ (يَعمُّهما) أي: تارةً يقع في الأكبر شركٌّ خفيٌّ، وتارةً يقع في الأصغر شركٌ خفيٌّ؛ وعليه يمكنُ أن يقال:

إنّ الشِّركَ الأكبَرَ قسمَان:

١ ـ **جليٌّ**: مثل دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنّذر لهم، ونحو ذلك.

٢ ـ **خفيٌّ**: وهو الرِّياء الخالص؛ فهذا شركٌ أكبر، ناقلٌ من الملّة، لكنّه خفيٌّ ليس ظاهرًا، يأتي عند المسلمين ويشاركهم في الصَّلاة وغيرها، لكنّه يُبطِنُ في قرار قلبه الكفرَ بالله، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون ١].

وكذلك الشِّرك الأصغر قسمان:

١ . **جليٌّ**؛ مثل قول القائل: «ما شاء الله وشئت» وحَلفُ المَرْءِ بالنّبيِّ أو الكعبة أو غير ذلك، وهذا كلامٌ يُسمَعُ ليس خفيًّا.

٢ . **خفيٌّ**؛ مثل يسير الرِّياء، هذا شركٌ أصغَر، لكنّه خفيٌّ.

وعمومًا؛ فإنّ الشِّرك ينقسمُ إلىٰ تقسيمات باعتبارات:

⦿ فينقسمُ باعتبار أقسام التّوحيد الثّلاثة إلىٰ ثلاثةِ أقسام.

⦿ وينقسمُ باعتبار حَجمه من كِبَرٍ أو صِغَرٍ إلىٰ أكبر وأصغر.

⦿ وينقَسمُ باعتبار خفائه وجلائه إلىٰ قسمَيْن: جليٍّ وخفيٍّ.

وله تقسيمات أخرىٰ باعتبارات أخرىٰ ذكرها أهل العلم ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ.



---

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٤٦).

الدرس الخامس:

الإحـــــــــسان

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرس الخامس: الإحسان:

ركنُ الإحسان، وهو: أن تَعبُدَ اللهَ كأنّكَ تراه، فإن لم تَكُنْ تراه فإنّه يراك».

الشرح:

❍ الإحسان أعلىٰ رُتَبِ الدّين وأرفَعُها؛ فإنّ الدّينَ ثلاث مراتب: أعلاها الإحسان، ثمَّ الإيمان، ثمَّ الإسلام، وقد بُيِّنَتْ هذه المراتب الثّلاثةُ في حديث جبريل المشهور، حيث قال النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لمَّا قال له جبريل: «**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟**» قال: «**الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَأَنّ مُحَمَّدًا رَسُول اللهِ، وَتقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟**». قال: «**أَنْ تؤْمنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتؤْمنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قال: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟**». قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ**». ثمَّ قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في تمام هذا الحديث: «**فَإِنّهُ جبْرِيل أَتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[(١)].

فعُلمَ من ذلك أنّ ديننا ثلاثةُ مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأنّ أعلىٰ مراتبِ الدّين هو الإحسان، ولا يمكنُ أن يَبلغَ هذه المرتبةَ حتّىٰ يُتمِّمَ الإسلامَ ثمَّ الإيمانَ، ولهذا قال العلماءُ: «كلّ مُحسِنٍ مُؤمنٌ مُسلمٌ» لأنّه لا يمكنُ أن يَبلغ مَرتَبةَ الإحسان حتّىٰ يُتَمِّمَ الإسلامَ والإيمانَ، «وليس كلّ مُؤمنٍ مُحسِنًا» فليس كلّ مَنْ بلَغَ درجةَ الإيمان يَبلغُ درجةَ الإحسان؛ لأنّ دَرجَةَ الإحسانِ أعلىٰ وأرْفَع.

والإحسان: هو الإتقانُ والإجادةُ في تتميم العَمل وتكميله حتّىٰ يَبلغَ أعلىٰ رُتبَةٍ،

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عُمر رضي الله عنه؛ وأخرجه البخاري (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وله رُكنٌ واحدٌ بيَّنه النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ بقوله: «**أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنّكَ تَرَاهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنّهُ يَرَاكَ**» فهو عبادةٌ لله وتقرُّبٌ إليه ـ جلّ في علاه ـ، مع إحسانٍ منَ العَبد وإتقانٍ في هذا التّعبُّد، باستحضارِ قربِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ومُراقَبَتِه في العبادة، ومجاهدتِه لنَفسِه علىٰ تَكميلها وتَتْميمها حتّىٰ تَبلغَ أعلىٰ رُتبةٍ؛ بأن يَعبُدَ الله تعالىٰ علىٰ هذه الصِّفةِ، وهو استحضارُ قربِه، وأنّه بين يَدَيْه كأنّه يراه، وذلك يُوجبُ الخَشْيَةَ والخَوْفَ والهَيْبَةَ والتّعظيمَ، ومَنْ كان كذلك فاز بمعيَّة اللهِ الخاصَّةِ، كما قال جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وكما قال جلّ وعلا: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وفاز أيضًا بمحبَّةِ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وفاز أيضًا بعظيم ثواب الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فمن أحْسَنَ؛ أحسنَ اللهُ إليه، وفاز بعظيم الثّواب، وجميل المآب، ورَفيعِ المنازل يومَ القيامة.

والإحسان رُتبَةٌ عَليَّةٌ من رُتَبِ هذا الدّين، لا تنال إلّا بالصَّبر والمُجاهدة للنّفس، كما قال ـ جلّ في عُلاه ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالإحسانُ مُجاهَدةٌ للنّفس، ومُصابرَةٌ ومُرابطةٌ، ومحافظةٌ علىٰ طاعة الله، ومداومةٌ مع المراقبة واستحضار قربِ الله، وأن يكونَ في تعبُّده لله علىٰ هذا الوصفِ «**أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنّكَ تَرَاهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنّهُ يَرَاكَ**». ◉



الدرس السادس:
شـــروط الـــصـــلاة

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرس السَّادس: شروط الصَّلاة:

شروط الصَّلاة، وهي تسعةٌ: الإسلام، والعقل، والتّمييز، ورَفعُ الحَدَث، وإزالة النّجاسة، وسَتْرُ العورة، ودخول الوقت، واستقبال القبلة، والنِّيَّة».

الشرح:

❍ الصَّلاةُ هي أعظَمُ أركان الإسلام بعد الشّهادَتَيْن، وأهمُّ أمور العبد؛ فمَن حافَظ عليها وحفِظها حفظَ دينَه، ومَن ضيَّعها كان لما سِواها من عمله أشدّ إضاعةً، وهي عمودُ الإسلام؛ فقَبول سائر الأعمال موقوفٌ علىٰ قَبول الصَّلاة، فإذَا رُدّت رُدّت عليه سائرُ الأعمال.

وهي أوَّل فُروضِ الإسلام، وهي آخِرُ ما يُفقَد من الدّين، ولا يستَقيمُ دينُ المسلم، ولا تصلح أعماله، ولا يعتدل سلوكُه في شؤون دينِه ودُنياه، حتّىٰ يُقيمَ هذه الصَّلاة علىٰ وَجهِها المشروعِ عقيدةً وعبادةً، مُتأسّيًا برسول الله ﷺ.

وإقامُ الصَّلاة لابدّ فيه من مراعاةٍ لشروطها وأركانها وواجباتِها، ومجاهدة للنّفس علىٰ تكميلها وتتميمها؛ ولهذا أوْرَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الدّرسَ ودروسًا بعده تتعلّق بمسائلَ متعَلّقةٍ بالصَّلاة ـ فذكَر الشّروطَ والأركانَ والواجباتِ والسُّننَ ـ معاونةً للمسلم علىٰ إقام الصَّلاة وأدائها كما ينبغي، بالمُحافظة علىٰ الشّروط، والأركان، والواجبات، ومن ثَمَّ السُّنن والمُستحَبَّات.

وقدّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلامَ علىٰ الشّروط؛ لأنّها تَسبِق الصَّلاةَ، وتكون بين يَدَيْها تَهيُّؤًا لها واستعدادًا، ثمَّ ذكر الأركانَ؛ لأنّها تزامن الصَّلاةَ، وقدّم الأركانَ علىٰ الواجباتِ؛ لأنّها آكَدُ وأعظَمُ؛ فإنّ الرُّكنَ تَبطل الصَّلاة بتَركِه، أمَّا الواجبُ إذا ترِكَ؛ فإنّه يُجبَرُ بسجود

السَّهو، أمَّا الرُّكنُ فلا يَجبُره شيءٌ بل لابدّ أن يُؤتَىٰ به، ولو تركَ ركنًا وسجَدَ سجدَتَيْن في آخِرِ صلاتِه من أجل تَركِه فصلاته باطلةٌ.

❍ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**شُروط الصَّلاة**» والشّرط كمَا عرَّفَه العُلماء: هو ما يلزَمُ من عَدَمه العَدَم، ولا يلزَمُ من وجودِه وجودٌ ولا عدمٌ لذاته، فمثلًا: الوضوء شرطٌ من شروط الصَّلاة، يَلزَمُ من عدم الوضوء عدمُ الصَّلاة وعدمُ صحَّتِها، فمَن صلّىٰ بلا وضوءٍ فلا صلاةَ له، ولهذا في حديث المُسِيءِ صلاتَه قال النّبيُّ ﷺ: «**إِذَا قمْتَ إِلَىٰ الصَّلاةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ**»[1]. فالوضوءُ يَلزَمُ من عدمه العدَمُ، ولا يلزمُ من وجودِه وجودٌ؛ مَنْ توضَّأ لا يلزَمُ من وجود الوضُوء وجودُ الصَّلاةِ، لكن يلزمُ من عدم الوضُوء عدمُ الصَّلاةِ.

◉ **الشّرط الأوَّل**: «**الإسلام**» وذلك أنّ غيرَ المسلم ـ وهو الكافر ـ عمله باطل، وحابِطٌ غيرُ مَقبول، كما قالَ الله سُبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥]، وكما قالَ الله ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التّوبَة: ١٧]، وكما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥]، فالكُفر والشِّركُ مُبطِلٌ للعَمل، فمن شُروط الصَّلاة: الدّخول في هذا الدّين، والدّخول فيه إنّما يكون بالنّطقِ بالشّهادَتَيْن، مع الفَهْم لمعناهما، وعقد العَزْم علىٰ تحقيقِ ما يدُلّان عليه؛ من توحيد المُرسِل ـ جلّ في عُلاه ـ، وتجريد المُتابعة للمُرسَل ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ.

◉ **الشّرط الثّاني**: «**العَقل**» وضدّ العقل الجنونُ، والمجنون فاقِدٌ للعَقْل، فالقلم عنه مرفوعٌ، كما جاء الحديث عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنّه قال: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ...**» وذكر منهم المجنون[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٦٩٤)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والترمذي (١٤٢٣)، والنسائي (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٢٠٤١) عن عائشة رضي الله عنها؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٩٧).

⊙ **الشّرط الثّالث:** «**التّمييز**» أن يكون مُميِّزًا، وإنّما يَبلغ حدّ التّمييز في السَّابعة، ولهذا جاء في الحديث: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ**» ويشمل البنينَ والبناتِ «**بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ**»(١)؛ لأنّه إذا بلغ سَبْعَ سنوات يكون مُميِّزًا، ويفهم ويحسن أن يُقيمَ العَمل إذا وُجِّه وبُيِّن له، وهو وقت الأمر بالصَّلاة.

⊙ **الشّرط الرَّابع:** «**رفع الحَدَث**» والحدَث يتناول الحَدَثَ الأكبَرَ، وهو الّذي لا يَرتَفِع إلّا بالغُسْل كالجنابةِ والحَيْضِ، والحَدَث الأصْغَر الّذي لا يَرتَفِعُ إلّا بالوضوء، فرفعُ الحَدَث شرطٌ من شُروط الصَّلاة، وقد جاء عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنّه قال: «**لَا تقبَل صَلَاةٌ بِغَيْرِ طهُورٍ**»(٢). فمَنْ صلّىٰ وهو مُحدِثٌ سواءً حدثًا أكبر أو أصغَر فلا صلاةَ له.

⊙ **الشّرط الخامس:** «**إزالة النّجاسة**» أي: من البُقعَةِ الّتي يُصلّىٰ عليها، ومن الثّيابِ، ومن البدن؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، والأصل في الطّهارة هو الماء، فإن كانت النّجاسةُ في الأرض يُصَبُّ عليها الماء، وإن كانت في غيرها تغسَل حتّىٰ تَطهُر.

⊙ **الشّرط السَّادس:** «**ستر العورة**» وهي ما يَجبُ تَغطِيَته، ويَقبُح ظهورُه، ويُستَحْيا منه؛ قال اللهُ سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] أي: عند كلّ صلاةٍ، ولهذا من صلّىٰ وهو عارٍ ليس عليه ثيابٌ فصلاته باطلةٌ بإجماع أهل العلم إلّا إذا كان فاقدًا لها، وجاء أيضًا في الحديث «**لَا يَقْبَلُ اللّهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلّا بِخِمَارٍ**»(٣). والمرأة تغطّي بدنَها كلّه في الصَّلاة إلّا وَجهَها، وإذا كانت بحَضْرَةِ رجال أجانب؛ فإنّه حتّىٰ الوجهُ يُغطّىٰ للأدلّةِ الكثيرةِ علىٰ وجوب تغطيةِ المرأة وجهَها إذا كانت بحضرة الرِّجال الأجانب.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥١٦٧)، وأبو داود (٦٤١)، والترمذي (٣٧٧)، وابن ماجه (٦٥٥) عن عائشة رضي الله عنها؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (١٩٦).

◉ **الشّرط السّابع**: «**دخول الوقت**» كما قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، أي: لها وقتٌ مُعيَّنٌ، لا تصلّىٰ قبلَه ولا تصلّىٰ بعدَه، وقال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨]، فالصَّلاةُ تقام لوَقتِها، وَقد جَاء جبريل إلىٰ النّبي ﷺ وأمَّه بالصَّلاةِ، وصلّىٰ به في أوَّل الوقت في الصَّلواتِ الخَمْسِ، ثمَّ جاء من الغد، وأمَّه، وصلّىٰ في آخر الوقت، ثمَّ قال عليه السلام: «**هَذَا وَقت الأَنْبِيَاءِ منْ قَبْلك، الوَقْت فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ**»[١]. أي: أوَّل الوقت وآخِرُ الوقت. فالصَّلاةُ تصلّىٰ في الوقت، والأوْلىٰ أن تصلّىٰ في أوَّل الوقت؛ إلّا في صلاة الظّهرِ إذا اشتدّ الحرُّ كما جاء في الحديث عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنه قال: «**إِذَا اشْتَدّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ**». أي: أخِّروها قليلًا حتّىٰ تَنكَسِرَ شدّةُ حرارةِ الشّمسِ، «**فَإِنّ شِدّةَ الحَرِّ منْ فَيْح جَهَنّمَ**»[٢].

وكذلك ما جاءت به السُّنّةُ من أفضليَّةِ تأخيرِ صلاةِ العشاء، إلّا إذا كان في التّأخير مَشقّةٌ علىٰ المُصلّين؛ فإنّها تصلّىٰ في أوَّل وقتِها[٣].

◉ **الشّرط الثّامن**: «**استقبال القِبلة**» وهي الكعبةُ، بيت الله، كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فالآية دليلٌ علىٰ أنّ استقبالَ القبلة فرضٌ علىٰ المُصلّي، وشرطٌ في صحَّةِ صلاتِه، ويدلّ لذلك من السُّنّةِ قول النّبي ﷺ للمُسيءِ صلاتَه: «**إِذَا قمْتَ إِلَىٰ الصَّلاة؛ فَأَسْبغِ الوُضُوءَ، ثمَّ اسْتَقْبِل القِبْلَةَ**»[٤].

◉ **الشّرط التّاسع**: «**النّيَّةُ**» وَمحلّها القلبُ، كما قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**إِنّمَا الأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ، وَإِنّمَا لكُلّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[٥]. والمراد بالنِّيَّةِ هنا: أي الّتي يتمَيَّزُ بها

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠٨١)، وأبو داود (٣٩٣)، والترمذي (١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٦) ومسلم (٦١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٦٣٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٢٠٧) عن عُمَر رضي الله عنه.

العمل؛ فما الّذي يُميِّزُ صلاةَ الظّهرِ عن صلاةِ العصرِ؟ وما الّذي يُميِّزُ صلاةَ الفرض عن صلاةِ النّفل؟ إلّا ما قام في القلب من نيَّةٍ.

والتّلفّظ بها بدعةٌ، وليس عليه عَمَل النّبي ﷺ، ولا عَمل صحابَتِه الكرام ﭫ، وما يفعَله بعضُ النّاسِ إذا قام للصَّلاةِ جَهَرَ بالنِّيَّةِ قائلًا: «نويت أن أصلّيَ صلاةَ العصر، أربعَ ركعات، في مكان كذا...» إلخ، هذا بدعةٌ، ليس عليه عَمَل النّبيِّ ﷺ ولا عَمَل صحابته الكِرام ﭫ، والبدع كلّها يُؤزَرُ المَرْءُ عليها ولا يُؤجَر؛ لأنّ الأجرَ مربوطٌ بالاتّباع لا بالابتداع والإحداثِ في دينِ الله ـ تباركَ وتعالىٰ ـ، وقد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَنْ عَملَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]. أي: مردودٌ علىٰ صاحبه، غير مقبول منه.



(١) سبق تخريجه.

الدرس السابع:
أركان الصلاة

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرس السَّابع: أركان الصَّلاة:

أركان الصَّلاة، وهي أربعةَ عشر، وهي: القيام مع القدرة، وتكبيرةُ الإحرام، وقراءةُ الفَاتحة، والرُّكوع، والاعتدال بعد الرُّكوع، والسُّجودُ علىٰ الأعضاء السَّبعةِ، والرَّفعُ منه، والجَلسَةُ بين السَّجدَتَيْن، والطّمأنينةُ في جميع الأفعال، والتّرتيب بين الأركان، والتّشهُّد الأخير، والجلوس له، والصَّلاةُ علىٰ النّبي ﷺ، والتّسليمتان».

الشرح:

❍ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدّرس السَّابع: أركان الصَّلاة».

الرُّكن: هو جانب الشّيء الأقوىٰ الّذي لا قيامَ له إلّا عليه، وانتفاء الرُّكن يَبطل به العمل، ولا يَسقط عمدًا ولا سهوًا ولا جهلًا؛ لأنّ العبادةَ لا تقومُ إلّا علىٰ أركانِها كما أنّ البيتَ لا يقوم إلّا علىٰ أركانِه، فإذا زال رُكْنٌ من أركان البيت انهدم، فالصَّلاةُ لا تقوم إلّا علىٰ أركانها، وهي أربعةَ عشر ركنًا:

⦿ **الأوَّل**: «القيام مع القدرة» وبدأ به المؤلّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنّه سابقٌ علىٰ جميع الأركان، فمَنْ كان قادرًا علىٰ القيام وصلّىٰ صلاتَه المكتوبةَ جالسًا لم تصِحّ صلاته؛ لأنّ القيامَ ركنٌ ما دام قادرًا عليه، قال الله تعالىٰ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وفي حديث المُسيءِ صلاتَه قال: «**إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاة فَكَبِّرْ**»(١). وفي الحديثِ قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا**». فإذا كانَ قادِرًا علىٰ القيام لابدّ أن يُصلّيَ قائمًا، وإذا كانَ غيرَ قادر

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

علىٰ القيام صلّىٰ جالسًا، «**فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»[(١)]. أي: اتّقِ اللهَ ما استطعتَ، وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وَمنَ المُلاحَظِ علىٰ بعضِ المُصلّين أنّه يَدخُل المسجدَ، ثمَّ يذهب إلىٰ الأماكن المُخصَّصةِ للكراسي، ويأخذُ واحدًا منها، ثمَّ يضَعه في مكانه من الصَّفّ، ثمَّ يجلسُ ويُكبِّرُ تكبيرةَ الإحرام وهو جالسٌ! مع أنّه دخل المسجدَ ماشيًا، ولو وجد رفيقًا له أو صاحبًا ربَّما وقف معه وتحدّثَ قائمًا، فعنده قدرَةٌ علىٰ القيام، ومع ذلك يُصلّي جالسا!! ولهذَا ينبغي علىٰ مَن كانَت هذه صفته يدخُل المسجدَ ماشيًا ويأخذُ كُرسيًّا، فلا أقلّ من أن يُكبِّرَ تكبيرةَ الإحرام وهو قائمٌ، وإذا شعر أنّه بحاجة إلىٰ الجلوس، ولاسيَّما إذا كان في القيام إطالةٌ شيئًا ما يجلسُ، أمَّا هكذا من أوَّل صلاتِه يبدأها وهو جالس وقد جاء ماشيًا حتّىٰ اختار المكانَ وهيَّأه وجلسَ فيه، فمثل هذَا ينبغي أن يُتنبَّه له.

◉ **الرُّكنُ الثّاني من أركان الصَّلاة:** «**تكبيرةُ الإحرام**» وسُمِّيَت هذه التّكبيرةُ «تكبيرةَ الإحرام» لأنّها مفتاحُ الصَّلاة وأوّلها والمَدخَل إليها، فلا يدخل الصَّلاة ولا يحصل التّحريمُ إلّا بها، ومن المَعلوم أنّ المُصلّي إذا كبَّر فإنّه بمُجرَّدِ التّكبيرِ حَرُمَتْ عليه أمورٌ لم تكُنْ مُحرَّمةً عليه قبلَ الصَّلاةِ، فتحريمُها التّكبيرُ، وجميع الأعمال الّتي تكون في الصَّلاة كلّها تفصيلٌ لهذا التّكبير الَّذي هو تحريمٌ للصَّلاة، فأنت تَركَعُ وتَسجُد وتخضع وتذلّ وتدعو وتناجي وتسبِّحُ إلىٰ غير ذلك تكبيرًا لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

فمَنْ دخلَ الصَّلاة بدون هذه التّكبيرة، أو بلفظٍ آخرَ غير التّكبير كـ«الله أعظم» أو «الله أجلّ» أو نحوُ ذلك فإنّ صلاتَه لا تصحُّ؛ لأنّه لم يَأْتِ بتحريم الصَّلاة الّذي هو التّكبيرُ، والنّبيُّ ﷺ عيَّن هذا اللّفظَ دون غيرِه، وفي حديث المُسيءِ صلاتَه قال: «**إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاة فَكَبِّرْ**»[(٢)]. ❁

◉ **الرُّكن الثّالث:** «**قراءة الفاتحة**» وَهي أعظَمُ سورة في القرآن، وقراءَتها ركنٌ في كلّ

---

(١) أخرجه البخاري (١١١٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

صلاةٍ بل في كلّ ركعةٍ من ركعاتِ الصَّلاةِ، ولهذا فإنّ الفاتحةَ افترض اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ العباد قراءتَها في اليوم واللّيلةِ سبعَ عَشْرَةَ مرَّةً؛ وهذا ممَّا يدُلّ علىٰ عظيم شأن الفاتحة، ومن عظيم شأنِها في الصَّلاة أنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ سمَّاها صلاةً كما في الحديث القدسي: «**قَسَمْت الصَّلاة بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، **قَالَ: هَذَا لعَبْدِي وَلعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[(١)]. وصحَّ عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنّه قال: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[(٢)].

ومن أسمائها: «أمُّ القرآن»، لأنّها ـ كما قال العلماء ـ حوَت إجمالًا ما اشتمل عليه القرآنُ تفصيلًا، وفيها كثيرٌ من الدّروس العظيمةِ النّافعةِ، وإذا كان مطلوبٌ من المُسلم أن يتدبَّرَ القرآنَ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]، فكيف الشّأنُ بهذه السُّورة الّتي يَقرَأها المسلمُ قراءةً مُستَمرَّةً!! بل يقرأها فرضًا في اليوم واللّيلةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مرَّةً، ولو نَظَرَ المَرْءُ مثلًا من بلَغَ سبعين سنةً من عُمُرِه وبدأ الصَّلاةَ من صِغَرِه كَم قَرأ هذه الفاتحةَ في حياته؛ لأدرك أنّه لا يليق به أن يكون حظّه منها مُجرَّدَ القراءةِ، بل الواجب أن يُعنىٰ بتَدَبُّرِها وعَقْل معانيها ودلالاتِها، وما فيها من الدّروسِ المُتنوِّعة والعِبَرِ البالغةِ، حتّىٰ تكون قراءَته لها في كلّ مرَّةٍ عن علم وتَفقهٍ وبصيرةٍ بمدلولاتِها.

وإنّ من الأمور المُؤسِفةِ: أنّ كثيرًا من عوامِّ المسلمين يقرَأ الفاتحة ولا يَستَشْعِرُ أنّ قولَه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ دعاءٌ، وأنّه بهذَا يدعو الله ﷻ بأعْظَم أمْرٍ وأجلّ مطلوبٍ: أن يهديَه الصِّراطَ المُستَقِيمَ، ولهذا أوْجَبَ اللهُ ﷻ علينا هذا الدّعاءَ سَبْعَ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤) عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه.

عَشْرَةَ مرَّةً في اليوم واللّيلةِ لعِظَم شَأنِه، وبين يَدَيْ هذا الدّعاء ثناءٌ وتمجيدٌ وتعظيمٌ لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وإقرارٌ بالعبوديَّةِ له.

◉ **الرَّابع من أركان الصَّلاة:** «**الرُّكوع**» قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فالرُّكوع رُكنٌ من أركان الصَّلاة لا تَصِحُّ إلّا به، وفي حديث المُسِيءِ صلاتَه قال له ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**ثمَّ ارْكَعْ حَتّىٰ تَطْمَئِنّ رَاكِعًا**»[(١)].

◉ **الخامس:** قوله: «**والاعتدال بعد الرُّكوع**» أي: أنْ يَرفَعَ من ركوعِه حتّىٰ يَعتَدِلَ قائمًا ويعودَ كلّ عَظْم إلىٰ فقارِه، وفي الحديثِ: «**ثمَّ ارْفَعْ حَتّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِمًا**»[(٢)].

ومنَ الأمور المُؤسِفَةِ أنّ في المُصلّين مَنْ إذا رَفَعَ من الرُّكوع هوىٰ إلىٰ السُّجود قبلَ أن يَعتَدِلَ قائمًا، ومَنْ كانَ كذلك فلا صلاةَ له؛ لأنّه ضيَّع ركنًا من أركانِها، وكان بعَمَله هذا وَقَعَ في سرقةٍ هي من أسْوَءِ السَّرِقَات، كما جاء في الحديث عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنّه قال: «**أَسْوَأ النّاسِ سَرِقَةً الّذِي يَسْرِق مِنْ صَلَاتِهِ**»، قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وكَيْفَ يَسْرِق منْ صَلاَتِهِ ؟ قَالَ: «**لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا**» أوْ قَالَ: «**لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ**»[(٣)]. وهذا النّوعُ من السَّرِقَةِ أسْوَءُ من سَرِقَةِ المال؛ لأنّ المالَ يتعلّق بحقوق العبد، والصَّلاةُ تتعلّق بحقوق الله، وحق الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ أعْظَمُ.

◉ **السَّادس:** «**السُّجود علىٰ الأعضاء السَّبعَةِ**» لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، فهذا أمرٌ، والأمر للوجوب، وفي «الصَّحيحَيْن» عن النّبيِّ ﷺ قال: «**أمِرْت أنْ أسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أعْظم؛ عَلَىٰ الجَبْهَةِ** ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَىٰ أنْفِهِ ـ أي: الجبهة والأنف هذا عضو ـ **وَاليَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأطْرَافِ القَدَمَيْنِ**»[(٤)]. ولابُدّ أن تمكّنَ هذه الأعضاءُ حتّىٰ يأخُذَ

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٦٤٢)، عن أبي قتادة ﷺ؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع (٩٨٦).
(٤) أخرجه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠) عن ابن عباس ﷺ.

الجسمُ كلّه حظّه من السُّجود؛ وإلّا لم تَصِحَّ سَجدَته، مثل ما يحصل من بعضِ المُصلّين إذا سَجَدَ تَجدُه من أوَّل السَّجدَةِ إلىٰ آخر السَّجْدَةِ يَحُكّ بإحدىٰ قدَمَيْه القَدَمَ الأخرىٰ إلىٰ أن تنتهي السَّجدَةُ؛ فهذا لم يَسجُدْ علىٰ السَّبعةِ الأعضاء.

◉ **السَّابع**: «**والرَّفع منه**» لقول النّبيِّ ﷺ للمُسيءِ صلاتَه: «**ثمَّ ارْفَعْ حَتّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالسًا**»[١]. وهذا يدُلّ علىٰ أنّه لازم؛ لأنّه في سياقِ بيانِ الأركان.

◉ **الثّامن**: «**الجلسَة بين السَّجدَتَيْن**» وهي رُكنٌ من أركان الصَّلاةِ، فإذا رَفَعَ من السَّجدَةِ الأولىٰ جَلَسَ، وأقَلّ ما يكون في هذا الجلوس أن تَحصُلَ الطّمأنينةُ، بأن يَطمَئِنّ البدنُ ويحصُلَ له رُكودٌ، فإذا جلس واطمَأنّ في جلوسِه يَسجُدُ بعد ذلك؛ فمَن هوىٰ إلىٰ السَّجدَةِ الثّانيَةِ قَبْلَ أن يَتحَقّقَ هذا الجلوسُ يكونُ بذلكَ تَرَكَ ركنًا من أركان صَلاتِه، وفي حديث المُسيءِ صلاتَه قال ﷺ: «**ثمَّ ارْفَعْ حَتّىٰ تَطْمَئِنّ جَالسًا**»[٢].

وقد يُقَال: إنّ في هذا شيئًا من التّكرار؛ لأنّه ذَكَرَ الرَّفعَ منه والجَلْسَةَ بين السَّجْدَتَيْن، فيكفي الاقتصارُ علىٰ أحدِهما، لاسيَّما وأنّه لم يَذكُرْ مثلَ ذلك بعد الرَّفع من الرُّكوع، وقد يكونُ تَنصِيصُهم علىٰ الرَّفعِ من السُّجود حتّىٰ يَفصِلَ بين السَّجدَتَيْن؛ فإنّ الجلوسَ بين السَّجدَتَيْن قَدْرٌ زَائِدٌ عن الفَصل، فلابدّ أن يرفَع حتّىٰ يَفصِلَ، ولابدّ أن يَجلسَ بينَ السَّجدَتَيْن باعتبار الجَلْسَةِ ركنًا مُستقِلًّا، فلذلكَ عَدّوهما رُكنَيْن.

◉ **التاسع**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والطّمَأْنِينَةُ في جميع الأفعال**» لمَا تكرَّر في حديث المُسِيءِ صلاتَه أنّ النّبيَّ ﷺ يَذكُرُ هذه الطّمأنينَةَ في الرُّكوعِ، والرَّفعِ منه، وفي السُّجود، وفي الرَّفعِ منه؛ بل قال: «**ثمَّ افْعَلْ ذَلكَ فِي صَلاَتِكَ كُلّهَا**»[٣]. أي: أنّ الطّمَأنِينَةَ مَطلوبةٌ من العبد في صلاتِه كلّها.

◉ **العاشر**: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والتّرتيب بينَ الأركان**» كما هي مُرتّبةٌ في حديث المُسِيءِ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

صلاتَه، ففي كلّ رُكنٍ كان يقول له: «ثمَّ افْعَلْ كذا، ثمَّ افعَلْ كذا» و«ثمَّ» تفيد التّرتيب، فيُؤتَىٰ بهذه الأركان مُرتّبةً، لا يُقدّمُ منها شيءٌ علىٰ شيءٍ، وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**صَلّوا كَمَا رَأيْتمُوني أصَلّي**»[1]، فلو سجَدَ ناسِيًا قَبْلَ أن يَركَعَ؛ وجب عليه أن يَرجعَ ليَأْتِيَ بالرُّكوع ثمَّ السُّجود، ولا يُعتَدّ بالسُّجود الّذي حَصَلَ منه سَهوًا.

◉ **الحادي عشر والثّاني عشر**: «**التّشهُّد الأخير، والجلوس له**» جاء في الحديث عن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**إِذَا قَعَدَ أحَدُكُمْ فِي الصَّلاة فَلْيَقلْ: التّحيَّات للّهِ...**»[2] إِلَىٰ آخرِه، وقال في الرِّواية الأخرىٰ: «**وَلَكِنْ قولوا: التّحيَّات للّهِ**»[3]. فالقعودُ للتّشهُّد الأخيرِ، وقراءةُ التّشهُّد فيه رُكنان من أركان الصَّلاةِ، أمَّا في التّشهُّد الأوَّل فهما من واجبات الصَّلاةِ، فلو تَرَكَهُمَا نسيانًا وقام للثّالثةِ جَبَرَ ذلك بسَجْدَتَيْن للسَّهوِ في آخِرِ صلاتِه.

◉ **الثّالث عشر**: «**الصَّلاةُ علىٰ النّبيِّ ﷺ**» لقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**قولوا: اللّهُمَّ صَلّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آل مُحَمَّدٍ كَمَا صَلّيْتَ عَلَىٰ آل إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آل مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آل إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمينَ إِنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ**»[4].

◉ **الرابع عشر**: قوله رَحِمَهُ اللهُ: «**والتّسليمتان**» لقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**تَحْرِيمُهَا التّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلهَا التّسْليمُ**»[5]؛ ولحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وكان يختِمُ الصَّلاة بالتّسليم»[6].

وهذه الأركانُ الأربعةَ عَشَرَ، **خمسةٌ منها قوليَّةٌ**، وهي: تكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والتّشهدُ الأخير، والصَّلاة علىٰ النّبيِّ، والتّسليمتان، **والبقيَّةُ فعليَّةٌ**.



(١) أخرجه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (٤٠٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٨٣٥) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٥) عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه أحمد (١٠٠٦)، وأبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وابن ماجه (٢٧٥)، عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣٠١).
(٦) أخرجه مسلم (٤٩٨).

الدرس الثامن:
واجبات الصلاة

○ قال الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرس الثّامن: واجبات الصَّلاة:

واجبات الصَّلاة، وهي ثمانية: جميعُ التّكبيراتِ غير تَكبِيرَةِ الإحرام، وقول: «سمع اللهُ لمن حَمدَه» للإمام والمُنفَرِد، وقول: «ربَّنَا ولك الحَمْدُ» للكلّ، وقول: «سُبحَانَ ربِّيَ العظيم» في الرُّكوع، وقول: «سبحان ربِّي الأعلىٰ» في السُّجود، وقول: «ربِّ اغْفِرْ لي» بَيْنَ السَّجدَتَيْن، والتّشهُّد الأوَّل، والجلوسُ له».

الشرح:

○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدّرسُ الثّامن: واجبات الصَّلاة» واجبات الصَّلاة: هي أفعالٌ وأقوالٌ تَجبُ في الصَّلاة لكنّها دون الأركان؛ ولهذا تجبَرُ إن ترَكَها المرءُ ناسيًا بسجدَتَيْن للسَّهوِ في آخر صلاتِه، وإن تركها عمدًا بطَلَتْ صلاته.

◉ **الواجب الأوَّل:** «جميع التّكبيرات غَيْرَ تكبيرةِ الإحرام» تَقدّمَ أنّ تكبيرةَ الإحرام ركنٌ من أركانِ الصَّلاة، وَما عدَا ذلكَ من التّكبيرات ـ كالتّكبير عند الرُّكوع، وَعند السُّجود، والرَّفعِ منه، ونَحوِ ذلك مِنَ التّكبيرات ـ كلّها من واجباتِ الصَّلاة، وقَد جاء في حديث ابن مسعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رَسُول اللّهِ ﷺ يُكبِّرُ فِي كُلّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ»(١).

◉ **الثّاني والثّالث:** «قول: «سمع اللهُ لمن حَمدَه» للإمام والمُنفَرِدِ، وقول: «ربَّنا ولَكَ الحمدُ» للكلّ» أي: للإمام وللمأموم وللمُنفَرِد؛ فالإمام يقول: «سمع الله لمَن حمدَه» ومَن يُصلّي مُنفَرِدًا عندما يرفَع مِنَ الرُّكوع يقول: «سمع اللهُ لمن حمدَه» وجميعُهم

(١) أخرجه أحمد (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٥٣)، والنسائي (١٠٨٣)؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣٣٠).

ـ الإمام والمأموم والمُنفَرد ـ يقولون بعد الرَّفع من الرُّكوع: «ربَّنَا ولك الحَمْدُ».

وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في ذكر صفة صلاة النّبيّ ﷺ، أنّه ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ يقول: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» حينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ منَ الرُّكُوعِ»[(١)]. وأيضًا في حديث أبي هريرة ﷺ ثمَّ يقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»[(٢)]. وفي بعض الرِّوايات: «**اللّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»[(٣)].

ومعنىٰ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» : أي: استجاب ـ تبارك وتعالىٰ ـ لِعَبده الحامِدِ لِرَبِّه ومولاه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ لأنّ السَّمعَ هنا سمعُ الإجابة.

◉ **الواجب الرَّابع والخامس من واجبات الصَّلاة: «قول «سُبحانَ ربِّيَ العَظيم» في الرُّكوع، وقول: «سُبحان ربِّيَ الأعلىٰ» في السُّجود»** وقد جاء في حديث حذيفَة ﷺ قال: «كَانَ ﷺ يَقول فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**» وفي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ**»[(٤)]. وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ**»[(٥)]. ومن تعظيم الرَّبِّ أن تقول: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**»، وكذلك: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ**» ثبت أنَّ النّبي ﷺ كان يقول ذلك في رُكوعِه وسُجودِه[(٦)].

◉ **السَّادس: «قول: «ربِّ اغْفِرْ لي» بين السَّجدَتَيْن»** كما جاء في حديث حذيفة ﷺ أنّ النّبي ﷺ كان يقول بين السَّجْدَتَيْن: «**رَبِّ اغْفِرْ لي، رَبِّ اغْفِرْ لي**»[(٧)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨)، ومسلم (٤١١) عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٧٩٥) عن أبي هريرة ﷺ.
(٤) أخرجه البخاري (٧٩٥)، ومسلم (٧٧٢).
(٥) أخرجه مسلم (٤٧٩) عن ابن عباس ﷺ.
(٦) أخرجه أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١٠٤٩)، عن عوف بن مالك ﷺ؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨١٧).
(٧) أخرجه أحمد (٢٣٣٧٥)، وأبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١١٤٥)، وابن ماجه (٨٩٧)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣٣٥).

⊙ **السَّابع والثَّامن:** «**التّشهُّد الأوَّل، والجلوسُ له**» لحديث: «**إِذَا قَعَدتّمْ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَقولوا: التّحيَّات للّهِ**»[(١)]، وللحديث: «أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِي صَلَاةِ الظّهْرِ وَعَلَيْهِ جُلوسٌ، فَلَمَّا أَتَمَّ صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ»[(٢)]. وهذا من الأدلّة علىٰ أنّه واجب من واجبات الصَّلاة، وأنّه ليس برُكْنٍ؛ لأنّ الواجبَ هو الّذي يُجبَرُ بالسَّجْدَتَيْن، أمَّا الرُّكنُ فإنّ تَركَه تَبطل به الصَّلاةُ.



(١) أخرجه أحمد (٤١٦٠)، والنسائي (١١٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٠)، ومسلم (٥٧٠) عن عبد الله بن بحينة رضي الله عنه.

الدرس التاسع:
بيــــان التـشـهـد

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرسُ التّاسع: بيان التّشهُّد:

بيان التّشهُّد: وهو أن يقول: «التّحيَّات لله، والصَّلَوَات والطّيِّبَات، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النّبيُّ ورَحْمَةُ الله وبَرَكَاته، السَّلَامُ عَلَيْنَا وعَلَىٰ عِبَادِ الله الصَّالحينَ، أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وأَشْهَدُ أنّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُوله».

ثمَّ يصلّي علىٰ النّبيِّ ﷺ، ويبارِكُ عليه، فيقول: «اللّهمَّ! صَلِّ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آل مُحمَّدٍ، كما صَلّيْتَ علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيمَ، إنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، وبَارِكْ علىٰ مُحَمَّدٍ وعلىٰ آل مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ علىٰ إِبرَاهِيمَ وعلىٰ آل إِبْرَاهِيمَ، إنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

ثمَّ يَستعيذُ بالله في التّشهُّد الأخير من عذاب جهنّم، ومن عذابِ القَبْرِ، ومن فِتنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ، ومن فتنةِ المَسيح الدّجَّال.

ثمَّ يَتخيَّرُ من الدّعاءِ ما شَاءَ، ولاسيَّما المَأثورُ من ذلكَ، ومنه: «اللّهُمَّ أعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ». «اللّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظلْمًا كَثِيرًا، ولَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إِلّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدَكَ وَارْحَمْنِي إِنّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». أمَّا في التّشهُّد الأوَّل فيقومُ بَعدَ الشّهادَتَيْن إلىٰ الثّالثةِ في الظّهرِ وَالعَصرِ والمَغرِب وَالعِشَاءِ، وَإن صَلّىٰ عَلىٰ النّبيِّ ﷺ فهو أفْضَل؛ لعُموم الأحَاديثِ في ذَلكَ، ثمَّ يَقومُ إلىٰ الثّالثة».

الشرح:

○ في هذا الدّرس أورد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التّشهُّدَ، والصَّلاةَ الإبراهيميَّةَ، وما يَتبَعُها من دعاءٍ مأثورٍ عن النّبيِّ ﷺ، ممَّا يُشرَعُ للمَرءِ أن يقولَه في تمام صَلاتِه قبل أن يُسلّمَ، وأنّ هذه الصِّيغةَ في التّشهُّدِ والصَّلاةِ علىٰ النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ

والتّعوُّذ بالله من الأربع الآتي ذكرُها من الأمورِ المُهمَّةِ الّتي يَنبَغِي أن يَحرِصَ كلّ مُسلم علىٰ تعلّمها بألفاظها، كما جاءت عن رسول الله ﷺ، مع حُسن الفَهم لمعانيها.

والصِّيغةُ الّتي أوْرَدَها رحمه الله في التّشهُّد جاءت في حديث ابنِ مسعود رضي الله عنه، وقد ورد فيه صِيَغٌ أخرىٰ صحيحةٌ، لكن ذكر العلماءُ ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ أنّ أصَحَّ الصِّيَغِ هي هذه الصِّيغَةُ الّتي جاءت في حديث ابنِ مسعود رضي الله عنه[1] هذا الّذي ساقه المُصنِّف رحمه الله هنا.

فينبغي علىٰ المُسلم أن يتعلّمَ التّشهُّدَ المأثورَ كما جاء عن النّبيِّ ﷺ، وقَد ذكر ابنُ مسعُود رضي الله عنه أنّ النّبيَّ ﷺ علّمه هذه الصِّيغةَ وكفّه بين كفّي النّبيِّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ كما يعلّمه السُّورةَ من القرآن، وذلكَ من كمال الاعتناءِ وتمام الحرص، وينبغي أن تحفَظَ ألفاظ التّشهُّد بدقّةٍ كما جاءت عن النّبيِّ ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ، وبعضُ العامَّةِ رُبَّما يَجرِي علىٰ لسانِه إضافةُ كلمة، أو إضافةُ حَرْفٍ، أو إنقاصُ حرفٍ، أو تغييرٌ لحركة إعرابٍ، فرُبَّما تغيَّرَ المعنىٰ.

والتّشهُّد: هو أن يقولَ: «**التّحيَّات لله**» التّحيَّات: يراد بها التّعظيمات؛ من ركوع، وسجودٍ، وذلٍّ، وانكسارٍ، كلّ ذلك لله، فهو ـ تبارك وتعالىٰ ـ المُستَحق لذلك وحدَه دون سواه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧]؛ فهذا كلّه لله لا شريكَ له ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في شيءٍ من ذلك، ولا يجوز أن يُصرَفَ لأحدٍ سواه ـ جلّ في عُلاه ـ.

«**والصَّلوات**» أي: الدّعوات؛ فإنّ الصَّلاة لغةً: هي الدّعاء؛ فالدّعوات لله ـ جلّ وعلا ـ، لا يُدعىٰ إلّا اللهُ، ولا يُلتَجأ إلّا إلىٰ الله، ولا يُتوَجَّهُ بالسُّؤال إلّا إليه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد يُرادُ بالصَّلوَاتِ أي: المعروفة، ذات

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٥)، ومسلم (٤٠٢).

الرُّكوع والسُّجود، فرضها ونفلها؛ فهي كلّها لله، لا يُصرَفُ شيءٌ منها إلّا له ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ.

وقوله: «**والطّيِّبات**» أي: منَ الأقوال والأفعال لله ﷻ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والمؤمنُ طَيِّبٌ في أقواله وأعماله وأفعاله وحُسْنِ تقَرُّبِه لربِّه، ولهذا يُقال لأهل الإيمان يومَ القيامة: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فالطّيِّبات الّتي هي أعمال الإيمان وأقوال الإيمان، هذه كلّها لله، ولا يُبتَغَىٰ بها إلّا وجهُ الله ﷻ، فالله ـ جلّ وعلا ـ طَيِّبٌ لا يُقبَل إلّا الطّيِّب، و«الطّيِّب» اسمٌ من أسماء الله ـ جلّ وعلا ـ، وهو دالّ علىٰ الطّيبِ في أسمائه كلّها وصفاتِه وأفعاله؛ فَأسماؤه كلّها طيِّبةٌ، وَأفعاله كلّها طيِّبَةٌ، وَأقواله كلّها طيِّبَةٌ ـ سُبحَانَه وَتعَالىٰ ـ. ۞

ثمَّ بَعد هَذا التّعظيم وَالإقرَار وَالخُضوعِ لله ـ سُبحَانه وَتعَالىٰ ـ يُسلّمُ عَلىٰ النّبيِّ ـ عَليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ، الّذي إِنّما عُرِفَ دِينُ الله ﷻ بوَاسطته وَمن طَرِيقهِ؛ فَهو الوَاسطة بَين الله وَبين خَلقِه في إبلاغ دينِه، قَد بلّغَ البلاغَ المُبينَ، ونَصَحَ الأمَّةَ، وَجَاهد في الله حَقّ جهادِه حتّىٰ أتَاه اليقينُ، مَا تَرَكَ خَيْرًا إلّا دلّ الأمَّةَ عَليه، وَلا شرًّا إلّا حذّرَهَا منه؛ فيُقَال: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أيُّهَا النّبيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتهُ**» وَهذه الكلمات الثّلاثةُ كلّها دعاءٌ للنّبيِّ ﷺ، وَمن يُدعَىٰ له لا يُدعَىٰ من دُون الله؛ وَهذا من أدلّةِ التّوحيدِ.

أمّا السَّلامُ: فَهو دُعاءٌ بالسَّلامة وَالعافية.

وأمّا الرَّحمةُ: فَهي دَعَوَاتٌ بالفوز برحمة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الّتي خَصَّ بها عبادَه المُتّقين وأولياءَه المُقرَّبين، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وأمّا البركة: هي النّماء والزِّيادة في الخير والفضل.

فيُخَصُّ أوّلًا وحدَه ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ بهذا السَّلام التّامِّ الكامل، ثمَّ يُلقَىٰ السَّلامُ علىٰ عُموم المؤمنين: «**السَّلَامُ عَلَيْنَا وعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالحينَ**» وهذا التّسليمُ العامُّ يتناول كلّ عبدٍ صالح، وقد كانوا في أوّل الأمرِ يقولون: السَّلامُ علىٰ فلانٍ، السَّلامُ علىٰ فلان...، فتطول، ومع طولها لا يَستَقْصِي كلّ مَنْ يريد أن يسلّم عليه؛

فأرْشَدَهم النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ إلىٰ أن يَترُكُوا ذلك، وأن يقولوا هذَا الكلامَ الجامعَ، وأنّهم إذا قالوه فإنّه يَشمَل كلّ مُؤمنٍ وكلّ عَبْدٍ صالح، فعن عبدِ اللّه بنِ مسعودٍ ﷺ قال: «كُنّا نَقول: التّحيَّةُ فِي الصَّلاَةِ، وَنُسَمِّي، وَيُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ، فَسَمعَهُ رَسُول اللّهِ ﷺ فقال: «**قولوا: التّحيَّات للّهِ وَالصَّلَوَات وَالطَّيِّبَات، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النّبيُّ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللّهِ الصَّالحينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولهُ؛ فَإِنّكُمْ إِذَا فَعَلْتمْ ذَلكَ فَقَدْ سَلّمْتمْ عَلَىٰ كُلّ عَبْدٍ للّهِ صَالح فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[(١)]. وهذا دعاءٌ لعباد الله الصَّالحين، والّذي يُدعَىٰ له لا يُدعَىٰ من دون الله، وهذا من براهين التّوحيدِ ودَلائله ـ كما تقدّم ـ.

«**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وأَشْهَدُ أَنّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولهُ**» هذا الإقرارُ لله ـ جلّ وعلا ـ بالوحدانيَّة، ولنبيِّه ﷺ بالرِّسالة؛ فإنّ: «أشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ» كلمةُ التّوحيد، والتّوحيدُ مَدلولها، فهي قائمةٌ علىٰ النّفيِ والإثباتِ؛ نفيِ العبوديَّةِ عن كلّ مَنْ سِوَىٰ اللهِ، وإثباتِ العبوديَّةِ بكلّ معانيها لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ وحدَه، وهي تعني: إخلاصَ العبادة لله، وإفرادَه ـ تبارك وتعالىٰ ـ وحدَه بالعبادة، والبراءةَ من الشِّرك والخلوص منه.

وشهادة «**أنّ مُحمَّدًا عبدُه ورسوله**» هذا فيه الإقرار بعبوديَّتِه، وأنّه عبدُه ورسوله، والعبدُ لا يُعبَدُ، والرَّسول لا يُكذّبُ، بل يُطَاعُ ويُتّبَع؛ ولهذا فإنّ هذه الكلمةَ: «أشهد أنّ مُحمَّدًا عبدُه ورسوله» تجعل قائلَها والمُعتَقِدَ لما دلّتْ عليه مُتوَسِّطا مُعتَدِلًا، بين الغُلوِّ والجفاء.

«**ثمَّ يصَلّي علىٰ النّبيِّ ﷺ ويُبارَكُ عليه**» وأوْرَدَ صيغةً من الصِّيَغِ المأثورة عن النّبي ﷺ في الصَّلاة عليه، وهي الصَّلاة المأثورةُ في حديث أبي مسعود البدري ﷺ، قال: «**يَقول: اللّهُمَّ صَلّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آل مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وعَلَىٰ آل إِبْرَاهِيمَ، إِنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، وبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آل مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وعَلَىٰ آل إِبْرَاهِيمَ، إِنّك حَميدٌ مَجيدٌ**».

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٢).

والصَّلاةُ من الله علىٰ نبيِّه: ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ.

وصلاةُ الملائكة علىٰ نبيِّه، وصلاةُ المؤمنين عليه: دعاء الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ له برفعة المقام، والثّناءُ عليه ـ صلوات الله وسلامُه ـ عليه في الملأ الأعلىٰ.

وقوله: «وبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ...» هذا فيه الدّعاءُ للنّبيِّ ﷺ بالبركة، وهي: النّماء، والزِّيادة في الخير والفَضل والمكانة.

⊙ قال: «ثمَّ يستَعيذ بالله في التّشهُّدِ الأخير من عذَاب جهنّم، ومن عذَاب القَبر، وَمن فتنَة المَحْيا والمَمَات، وَمن فتنَة المَسيح الدّجَّال» وقد جاء في «صحيح مسلم»، من حديث أبي هريرة ﷺ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ»[(١)]، وذكر هذه الأمور الأربعة:

الأوَّل: التّعوُذ بالله من جهَنّم؛ أي: النّار وعذابها، وأنّ اللهَ ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ يقي عبدَه ويُنجيه من دُخولها، والاستعاذة: الْتِجَاءٌ إلىٰ الله واعتصامٌ به ﷻ.

والتعوذ من عذاب القَبر؛ والقَبر فيه نعيمٌ وعذابٌ، وعذابُ القَبْرِ حقّ، يكون علىٰ الكفر، ويكون علىٰ المعاصي أيضًا، مثل ما جاء في الحديث: «إِنّهُمَا لَيُعَذّبَانِ، وَمَا يُعَذّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنّهُ لَكَبِيرٌ»، ثمَّ ذكر أنّ أحدَهما يمشي بالنّميمةِ بين النّاس، والآخَر لا يَسْتَنْزِه منَ البول[(٢)].

ثمَّ التّعوُّذ من فتنة المَحيا والمَمات؛ و«فتنة» هنا مفردٌ مضافٌ فيعمُّ كلّ فتنةٍ تكون للمَرء في حياتِه، وهي فتنٌ كثيرةٌ، ترجع في جُملَتِها إلىٰ: فتن الشّهوات، وفتن الشّبُهات؛ فيَتعوَّذُ بالله منَ الفتن كُلّها، والإنسان عُرضَةٌ للفتن، وقد صحَّ في الحديث عن نبيِّنا ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ منَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[(٣)].

وهي دعوةٌ ينبغي علىٰ المرء أن يعتنيَ بها: أن يعيذَه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من

(١) أخرجه مسلم (٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢) عن ابن عباس ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت ﷺ.

الفتن، والتعوذ من فتنة الممات أي ما يكون منها عند المَمات، وهذه أشَدّ وأخْطَرُ؛ لأنّ الفتنةَ الّتي في المَحيا بعدها شيءٌ من الحَياة قد يتخلّص المرءُ ويسْلَم وينجو، لكنّ فتنةَ المَمات ليس بعدَها إلّا الموت، ولهذا أضِيفَتْ إلىٰ الممات لأنّها تكون عند دنوِّه وقربِ حلوله بالعبد.

⊙ قال: «ومن فِتْنَةِ المَسيح الدّجال» وهذه أشدّ الفِتَنِ، والله ﷻ جعلها من علاماتِ السَّاعة وأمَارَاتِ دُنُوِّ قيامها، ولهذا فإنّ خُروجَه يكون في آخِرِ الزَّمان، وما من نَبِيٍّ بعثَه اللهُ إلّا وأنْذَرَ قومَه من هذه الفتنة لشدّةِ خُطورَتِها؛ ولهذَا شُرِعَ لنَا أن نَستَعِيذَ بالله استعاذةً دائمةً مُستَمَرَّةً دُبُرَ كلّ صلاة قبل أن نُسَلِّمَ من هذه الفتنةِ العَظيمة فتنةِ المسيح الدّجال؛ وسُمِّيَ: مسيحًا؛ لأنّ عينَه اليمنىٰ ممسوحةٌ طافِيَةٌ كأنّها زبيبةٌ، وسُمِّيَ: دجَّالًا؛ لأنّ أمورَه كلّها قائمةٌ علىٰ الدّجل وهو الكذب، ومن أعْظَم دَجَله وأكْبَر كذِبه قوله: أنّه الله، ويأتي بآياتٍ وأمورٍ خارقةٍ للعادة، يُجرِيها اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ يَدَيْه ابتلاءً وامتحانًا، فيَفتِنُ النّاسَ؛ يقول للسَّماء: أمْطِري؛ فتمْطِر، ويقول للأرض: أنْبِتِي؛ فتنبت، ويقول للبلدة: أخْرِجي كنوزَك؛ فتَتْبَعُه كنوزُها، وهذه كلّها أمورٌ خارقةٌ للعادة مُذهِلَةٌ، ولهذا حذّر النّبيُّ ﷺ إذا خرج أن يُقتَرَبَ منَ المكان الّذي هو فيه، فقال: «**مَنْ سَمعَ بِالدَّجَّال؛ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**»(١). وهذا التّعوُّذُ من فِتنَةِ المسيح الدَّجَّال ينبغي علىٰ المسلم أن يُعنَىٰ به. ❁

⊙ قال: «ثمَّ يتخيَّرُ من الدّعاء ما شاء، ولاسيَّما المأثور من ذلك» لقول النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ في حديثِ ابنِ مسعود ﵁: «**ثمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ منَ الدّعَاءِ مَا شَاءَ**»(٢). بل هو مَوْطِنٌ عظيمٌ لتَحرِّي الدّعاء؛ لأنّك بعد هذه الصَّلاة وهذا التّعظيم وهذه التّحيَّات وهذا السَّلامُ ـ وهي توسُّلاتٌ بين يَدَيْ دعائِك ـ، لا تَعْجَلْ بالسَّلام؛ بل أقبِلْ علىٰ الله بالدّعاءِ والسُّؤال، وهذا أمرٌ يَغفُل عنه كثيرٌ من النّاس، ولهذا بعضُهم في

(١) أخرجه أحمد (١٩٨٧٥)، وأبو داود (٤٣١٩)، عن عمران بن حصين ﵁؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)، عن ابن مسعود ﵁.

صلاة النّفل تَجدُه مثلًا يأتي بالتّشهُّد سريعًا، ثمَّ يُسَلّم ويَمُدّ يَدَيْه يَدْعو، فيُفَوِّت علىٰ نَفسِه هذه الفُرصَةَ الثّمينةَ في أن يُطِيلَ تَشهُّدَه قليلًا ليَدعُو بما شاء.

وإن أطال الإمامُ قليلًا في التّشهُّد ـ ليأتي ببعض هذه الأدعية ـ؛ قد يَغضَبُ منه بعضُ المأمومين، يقول أَحَدُ الأئمَّة: إنّ أحدَ المأمُومين قال له بعد الصَّلاة: «قرأت خلفَك التّشهُّدَ مرَّتَيْن». مَنْ قالَ لكَ تقرأ التّشهُّد مرَّتَيْن؟! هذه فُرصَة عظيمةٌ لتَدْعُوَ اللهَ ﷻ، وتسألَه من خَيْرَيِ الدّنيا والآخرةِ، لكن هذا بسبب الجهل بقيمة هذه الحال المباركة.

والأَوْلَىٰ كما قال الشّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يتخيَّرَ من الدّعاء ما شاء ممَّا وَرَدَ، والنّبيُّ ﷺ ورد عنه دعواتٌ تقال قَبل السَّلام، فينبغي علىٰ المُسلم أن يَعتَنِيَ بها؛ لأنّها دعواتٌ جامعةٌ معصومةٌ مشتملةٌ علىٰ أعظم المَطالب وأجَلّ المَقاصد، ولا بأس إن دعا ببَعضِ الدّعواتِ الخاصَّةِ ممَّا لَيْسَ فيه مَحظورٌ شرعيٌّ، لكنّ اقتصارَه علىٰ المأثور عن النّبيِّ ﷺ لا شكّ أنّه أَوْلَىٰ وأسَدّ وأكْمَل وأوفىٰ، ولهذا يُحرَصُ علىٰ حفظِ ما تيسَّرَ من هذه الأدعية المأثورة عن النّبيِّ ﷺ.

وذكر الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من ذلك دُعاءَيْن:

◉ **الأوَّل**: «**اللّهُمَّ أعنِّي علىٰ ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» وهذا جاء في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبيَّ ﷺ قال له: «**وَاللّهِ إِنِّي لَأحبُّكَ، وَاللّهِ إِنِّي لَأحبُّكَ، أوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنّ فِي دُبُرِ كُلّ صَلَاةٍ تَقول: اللّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[1].

ودُبرُ الشّيءِ يُطلَق علىٰ آخرِه ممَّا هو جُزءٌ منه، ويُطلَق علىٰ آخرِه ممَّا يليه ويأتي بعدَه، ولهذا يفصِّل أهل العلم:

ما كان من دعاءٍ؛ يُؤتَىٰ به قَبْل السَّلام. وما كان من ذِكْرٍ؛ يُؤتَىٰ به بعد السَّلام.

وقوله: «**اللّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» هذا فيه طلبُ المعونة من الله أن يُمدّ عبدَه بالمَعونة والتّوفيق للمُواظبة علىٰ الذّكر، والشّكر لله ـ سبحانه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥٢٢)، والترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٣)؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥/ ٢٥٣).

وتعالىٰ - علىٰ نعمائه، والإحسان في العبادة، لم يقلْ: «**وعِبَادَتِكَ**» وإنّما قال: «**وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» والعبادةُ إنّما تكونُ حسَنةً بالإخلاص للمَعبود والمُتابعة للرَّسول ﷺ.

والإتيانُ بهذه الدّعوة دُبُرَ الصَّلاة قَبْلَ أن تسلّمَ يأتي في موضع في غايةِ المُناسَبَةِ؛ لأنّ هذه الصَّلاة الّتي صَلّيْتَها هي من معونة الله لكَ، فقبل أن تسلّمَ من صلاتِك اطْلبْ من الله المَعونةَ، وأظْهِرِ الافتقارَ إلىٰ الله الّذي أعانَكَ علىٰ هذه الصَّلاةِ، وقد أوْشَكْتَ أن تَنتَهِيَ منها أن يُمدّكَ بالمعونة علىٰ الذّكْرِ والشّكْرِ وحُسْنِ العبادة، ويدخل في ذلك المعونةُ علىٰ الصَّلاة الأخرىٰ الآتيةِ، وإذا صَلّيْتَها اطلبْ المعونةَ الّتي بعدَها، وهكذا.

⊙ **الثّاني**: «**اللّهُمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظلْمًا كَثِيرًا، ولَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً من عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إنّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[(١)]. وهذا الدّعاء جاء في حديث أبي بكر ﷺ قال فيه: «يا رسولَ الله! عَلّمْني دعاءً أدعو اللهَ به في صلاتي» وفي بعض الرِّوايات: «في صَلَاتي وبَيْتِي».

فهذا صدّيق الأمَّةِ ﷺ يطلبُ من النّبيِّ ﷺ أن يُعلّمَه دعاءً يدعو اللهَ به في صلاتِه وفي بيتِه، مع أنّه قادرٌ علىٰ أن يصوغَ دعواتٍ طيّبةً، لكن يمنعُه من ذلك الحرص علىٰ التّلقّي من النّبيِّ ﷺ والأخذِ عنه.

قوله - عليه الصَّلاة والسَّلام - تقول: «**اللّهُمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظلْمًا كَثِيرًا**» هذا دعاءٌ أرشد النّبيُّ ﷺ صِدّيقَ الأمَّةِ وخيرَها أن يَقولَه، بل إنّه ﷺ أفضَل النّاسِ في جميع الأمم بعد النّبيِّين، وإذا كان صِدّيق الأمَّةِ ﷺ - مع فَضله وحُسنِ تَعبُّدِه لله ﷻ وقوَّةِ إيمانِه - أرشِد إلىٰ أن يقولَ في صلاتِه: «**اللّهُمَّ إنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظلْمًا كَثِيرًا**» فكيف بمَن هُو دونه ولا يبلغ عُشْرَ معشارِه في التّعبُّدِ والخضوعِ لله - سبحانه وتعالىٰ -؟

وظلمُ النّفْسِ، كما أنّه يتناول فِعلَ المعصيةِ؛ فإنّه يتناوَل أيضًا التّقصيرَ في الطّاعةِ وعَدَمَ التّكميل لها والتّتميم.

وقوله: «**ولَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلّا أنْتَ**» فيه أنّ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ - وحده هو الّذي

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

يغفِرُ الذّنوبَ، فلا يَغفِرُ الذّنوبَ سواه ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وفيه: إيمانُ العبد بمدلول اسم الله: «الغَفُور» «الغفّار» أي: الّذي يَغفِرُ الذّنوبَ جميعًا، ولا يَتعَاظَمُه ذَنْبٌ أن يَغفِرَه.

«فاغْفِرْ لي» بعد الإقرار علىٰ نفسِه بالظّلْم الكثيرِ، ولرَبِّه بالفَضْل العميم وغفران الذّنوبِ؛ يأتي طلبُ المغفرة: «فاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً منْ عِنْدِكَ» أي: تَمُنّ بها عليَّ، وتتفضَّل بها عليَّ، إكرامًا منك وتفضُّلًا وإحسانًا.

«وَارْحَمْنِي» وهذا فيه طَلَبُ الظّفَر والفوزِ برَحمَةِ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الّتي خَصَّ بها عبادَه المؤمنين.

«إنّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحيمُ» وهذا توسُّلٌ إلىٰ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ بهذَيْن الاسمَيْن العظيمَيْن؛ و«الغَفُورُ» فيه إثبات المغفرة صفةً لله، و«الرَّحيمُ» فيه إثبات الرَّحمةِ صفةً لله، وبالخَتم بهذَيْن الاسمَيْن حُسْنُ مراعاةٍ للمطلوب؛ لأنّ المطلوبَ: المغفرة والرَّحمة.

وثمَّتَ أيضًا صِيَغٌ أخرىٰ مأثورةٌ عن النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يُشرَعُ أن تقَالَ في تمام الصَّلاة قبل السَّلام. ❁

قال: «أمَّا في التّشهُّد الأوَّل فيقوم بعد الشّهادَتَيْن» أي: بعد أن يقول في التَّحيَّاتِ: «أشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وأشْهَدُ أنّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولهُ» يقوم للرَّكعة الثّالثةِ، هذا في الظّهرِ والعصر والمغرب والعشاء.

«وإن صلّىٰ علىٰ النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ» يعني في التّشهُّدِ الأوَّل «فهو أفضَل لعموم الأحاديث في ذلك، ثمَّ يقوم» أي: بعد الصَّلاة علىٰ النّبيِّ ﷺ الصَّلاة الإبراهيميَّة «إلىٰ الثّالثة».

ولْنَقِفْ هنا علىٰ فائدةٍ ثمينةٍ للإمام ابنِ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الصَّلاة» فيما يتعلّق بالتّشهُّدِ والصَّلاةِ الإبراهيميَّةِ والتّعوُّذاتِ الأربَع.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «فالتّحيَّة هي تحيَّةٌ من العبد للحيِّ الّذي لا يموت، وهو

سبحانه أَوْلَىٰ بتلك التَّحيَّات من كلّ ما سواه؛ فإنّها تتضمَّنُ الحياةَ والبقاءَ والدّوامَ، ولا يَستَحق أحدٌ هذه التَّحيَّات إلّا الحيُّ الباقي الّذي لا يموت ولا يزول مُلكُه. وكذلك قوله: «**والصَّلَوَات**» فإنّه لا يَستَحق أحدٌ الصَّلاة إلّا اللهُ ﷻ، والصَّلاةُ لغيره من أعظم الكفر والشِّرك به، وكذلك قوله: «**والطَّيِّبَات**» هي صفة الموصوف المحذوف، أي: الطَّيِّبات منَ الكلمات والأفعال والصِّفات والأسماء لله وحدَه، فهو طَيِّبٌ، وأفعاله طيِّبةٌ، وصفاته أطْيَبُ شيءٍ، وأسماؤه أطْيَبُ الأسماءِ، واسمُه: الطَّيِّبُ، ولا يَصدُرُ عنه إلّا طيِّبٌ، ولا يَصعَدُ إليه إلّا طَيِّبٌ، ولا يقرُبُ منه إلّا طيِّبٌ، وإليه يصعَدُ الكَلمُ الطَّيِّبُ، وفِعله طيِّبٌ، والعمل الطَّيِّبُ يَعرُجُ إليه، فالطَّيِّبات كلّها له، ومضافةٌ إليه، وصادرةٌ عنه، ومُنتَهِيةٌ إليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنّ اللهَ طَيِّبٌ، لا يَقْبَل إلّا طَيِّبًا**». وفي حديث رُقْيَةِ المريضِ الّذي رواه أبو داود وغيرُه: «**أنْتَ رَبُّ الطَّيِّبين**»[1]. ولا يجاوره من عباده إلّا الطَّيِّبون، كما يقال لأهل الجنّة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقد حَكَمَ سبحانه في شَرعِه وقَدَرِه أنّ الطَّيِّباتِ للطَّيِّبين، فإذا كان هو سبحانه الطَّيِّبَ علىٰ الإطلاقِ؛ فالكلمات الطَّيِّبات والأفعال الطَّيِّبات والصِّفات الطَّيِّبات والأسماءُ الطَّيِّبات كلّها له سبحانه، لا يستحقها أحدٌ سواه، بل ما طاب شيءٌ قطّ إلّا بطِيبَتِهِ سبحانه، فطِيبُ كُلّ ما سواه من آثارِ طِيبَتِه، ولا تَصلحُ هذه التَّحيَّةُ الطَّيِّبةُ إلّا له.

ولمَّا كان السَّلام من أنواع التَّحيَّةِ، وكان المسلم داعيًا لمن يُحَيِّيه، وكان اللهُ سبحانه هو الّذي يُطلَبُ منه السَّلامُ لعبادِه، الّذين اخْتَصَّهَمْ بعبوديَّتِه، وارتضاهم لنفسِه، وشرع أن يبدأ بأكرمهم عليه وأحبِّهم إليه وأقْرَبِهم منه منزلةً في هذه التَّحيَّةِ بالشَّهادتَيْن اللّتَيْن هما مفتاح الإسلام، فشُرِعَ أن يكونَ خاتِمَةُ الصَّلاةِ، فدخل فيها بالتّكبيرِ والحمدِ والثّناءِ والتّمجيد وتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ، وختمها بشهادةِ أن لا إله إلّا اللهُ وأنّ مُحمَّدًا عبدُه ورسوله.

وشُرِعَت هذه التَّحيَّةُ في وسط الصَّلاة إذا زادت علىٰ رَكعَتَيْن تشبيهًا لها بجلسة

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، عن أبي الدرداء ﷺ، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٤٢٢).

الفَصْل بين السَّجْدَتَيْن، وفيها مع الفَصل راحةٌ للمُصَلّي لاستقباله الرَّكعَتَيْن الآخِرَتَيْن بنشاطٍ وقوَّةٍ، بخلاف ما إذا والىٰ بين الرَّكعات، ولهذا كان الأفضل في النّفل مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، وإن تطوَّعَ بأربع جَلَسَ في وسطِهِنّ.

وجُعِلَت كلمات التّحيَّاتِ في آخر الصَّلاة بمنزلةِ خُطبَةِ الحاجة أمامَها؛ فإنّ المُصَلّي إذا فرَغَ من صلاتِه جلس جلسةَ الرَّاغِبِ الرَّاهب يستعطي من ربِّه ما لا غنَىٰ به عنه، فشُرِعَ له أمامَ استعطائِه كلمات التّحيَّاتِ مُقدّمةً بين يدي سؤاله، ثمَّ يُتبِعُها بالصَّلاةِ علىٰ مَنْ نَالَتْ أمَّته هذه النِّعمةَ علىٰ يده وسعادته، فكأنّ المُصلّي توسَّلَ إلىٰ الله سبحانه بعبوديَّتِه، ثمَّ بالثّناء عليه والشّهادة له بالوحدانيَّة ولرسوله بالرِّسالة، ثمَّ الصَّلاة علىٰ رسوله، ثمَّ قيل له: تخَيَّرْ من الدّعاء أحبَّه إليك، فذاك الحق الّذي عليك، وهذا الحق الّذي لك.

وشُرِعَتِ الصَّلاة علىٰ آله مع الصَّلاة عليه تكميلًا لقرَّةِ عينِه بإكرام آله والصَّلاةِ عليهم، وأن يُصلّيَ عليه وعلىٰ آله كما صلّىٰ علىٰ أبيه إبراهيمَ وآله، والأنبياءُ كلّهم بعد إبراهيم من آله، ولذلك كان المطلوبُ لرسول الله ﷺ صلاةً مثلَ الصَّلاة علىٰ إبراهيم وعلىٰ جميعِ الأنبياء بعدَه وآله المؤمنين، فلهذا كانت هذه الصَّلاة أكْمَلَ ما يُصلّي علىٰ رسول الله ﷺ بها وأفضل، فإذا أتىٰ بها المُصلّي أمرَ أن يَستعِيذَ بالله من مَجامعِ الشّرِّ كلّه؛ فإنّ الشّرَّ إمَّا عذابُ الآخرةِ وإمَّا سببُه، فليس الشّرُّ إلّا العذابَ وأسبابَه، والعذابُ نوعان: عذابٌ في البرزخ وعذابٌ في الآخرة، وأسبابُه الفتنةُ وهي نوعان: كبرىٰ وصغرىٰ، فالكبرىٰ فتنةُ الدّجَّال وفتنةُ الممات، والصُّغرىٰ فتنةُ الحياة الّتي يُمكِنُ تدارُكُها بالتّوبةِ بخلافِ فتنَةِ الممات وفتنة الدّجَّال؛ فإنّ المَفتونَ فيهما لا يتداركها، ثمَّ شُرِعَ له من الدّعاءِ ما يختاره من مصالح دنياه وآخرته، والدّعاءُ في هذا المَحَلّ قَبْلَ السَّلَام أفْضَل من الدّعاء بعد السَّلام وأنفع للدّاعي» إلىٰ آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).



(١) انظر: «الصَّلاة وأحكام تاركها» (ص: ١٥١).

الدرس العاشر:
ســنــن الــصـــلاة

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرس العاشر: سُنَنُ الصَّلاة.

سنن الصَّلاةِ؛ ومنها:

١ ـ الاستفتاح.

٢ ـ جَعْل كفّ اليد اليُمنَىٰ علىٰ اليُسرَىٰ فَوْقَ الصَّدرِ حين القيام قَبْلَ الرُّكوع وبعدَه.

٣ ـ رَفعُ اليَدَيْن مَضمُومَتَيِ الأصابعِ ممدودةً حذْوَ المنكِبَيْن أو الأُذُنَيْن عند التّكبيرِ الأوّل، وعند الرُّكوع، والرَّفعِ منه، وعند القيام من التّشهُّد الأوّل إلىٰ الثّالثة.

٤ ـ ما زاد عن واحدةٍ في تسبيح الرُّكوع والسُّجود.

٥ ـ ما زاد علىٰ قول: «ربَّنَا ولك الحَمْدُ» بعد القيام من الرُّكوع، وما زاد عن واحدةٍ في الدّعاءِ بالمغفرة بين السَّجْدَتَيْن.

٦ ـ جَعْل الرَّأسِ حيَالَ الظّهْر في الرُّكوع.

٧ ـ مُجافاةُ العَضُدَيْن عن الجَنْبَيْن، والبطنِ عن الفَخِذَيْن، والفَخِذَيْن عن السَّاقَيْن في السُّجود.

٨ ـ رفعُ الذّرَاعَيْن عن الأرض حين السُّجود.

٩ ـ جلوسُ المُصَلّي علىٰ رِجله اليُسرَىٰ مَفرُوشَةً، ونَصْبُ اليمنىٰ في التّشهُّدِ الأوَّل وبين السَّجْدَتَيْن.

١٠ ـ التّورُّك في التّشهُّدِ الأخيرِ في الرُّباعيَّةِ والثّلاثيَّةِ وهو: الجلوسُ علىٰ مقعَدَتِهِ وجعل رجله اليسرىٰ تحت اليمنىٰ ونصب اليمنىٰ.

١١ ـ الإشارة بالسَّبَّابَةِ فِي التّشهُّدِ الأوَّل والثّاني، من حين يجلسُ إلىٰ نهاية التّشهُّد، وتَحرِيكِها عند الدّعاء.

١٢ ـ الصَّلاة والتّبريكُ علىٰ محمَّد وآل مُحمَّد، وعلىٰ إبراهيم وآل إبراهيم في التّشهُّد الأوَّل.

١٣ ـ الدّعاء في التّشهُّد الأخير.

١٤ ـ الجهرُ بالقراءة في صلاة الفجر، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدَيْن، والاستسقاء، وفي الرَّكْعَتَيْن الأولَيَيْن من صلاةِ المَغرِب والعشاء.

١٥ ـ الإسرار بالقراءة في الظّهر والعصر، وفي الثّالثة من المغرب، والأخيرَتَيْن من العشاء.

١٦ ـ قراءةُ ما زاد عن الفاتحة من القرآن، مع مراعاة بقيَّةِ ما ورد من السُّنن في الصَّلاة سوىٰ ما ذكرنا، ومن ذلك: ما زاد علىٰ قول المُصلّي: «رَبَّنَا ولَكَ الحَمْدُ» بَعدَ الرَّفعِ من الرُّكوع في حقّ الإمام والمأموم والمُنْفَرِدِ فإنّه سنّةٌ، ومن ذلك أيضًا: وضعُ اليَدَيْن علىٰ الرُّكبتَيْن مُفْرَجَتَيِ الأصابعِ حين الرُّكوع».

الشرح:

○ لمَّا أنهىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ ما يتعلّق بالأركان والواجبات المُختَصَّةِ بالصَّلاةِ؛ عَقَدَ هذا الدّرسَ لبيانِ السُّنَنِ المُتعَلّقَةِ بالصَّلاةِ والّتِي لَيْسَتْ برُكْنٍ ولا واجبٍ؛ تنبيهًا منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ أهمِّيَّةِ عنايةِ المسلم بهذه السُّنَنِ ورعايَتِه لها، وأن يَحرِصَ علىٰ أن لا يُفرِّطَ في شيءٍ منها، ولا يقول: «هذه سنّة» مُستَهينًا، بل عليه أن يَحرِصَ عليها وأن يعتنِيَ بها، وأن يحذر في الوقت نفسِه أن يترك السُّنّةَ رغبةً عنها؛ فإنَّ مَنْ ترَكَها رغبةً عنها فهذا يُخشىٰ عليه أن يكون له حظٌّ ونصيبٌ من قول النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي؛ فَلَيْسَ منِّي»[(١)]. لكن إذا تركها ليس رغبةً عنها وإنّما لعدم نشاطٍ علىٰ الفعل أو نحوِ ذلك؛ فإنّه لا يكون آثِمًا بذلك، لكن يفوته أجرُها وثوابُها.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه السُّنن لها شأنٌ عظيمٌ؛ ففيها التّكميل لصلاة العَبْدِ، وفيها عِظَمُ الثّوابِ، وأنّ العبدَ كلّما عَظمَ حظّه في صلاتِه من هذه السُّنَنِ المأثورةِ عن النّبيِّ ﷺ كان ذلك أعْظَمَ في أجْرِ صلاتِه وأرْفَع في ثوابِه ودرجاتِه.

وهذه السُّنَنُ المذكورات تَنقَسِمُ إلىٰ قِسمَيْن:

١ ـ **سُنَن قوليَّةٌ**؛ مثل دعاء الاستفتاح، ومثل ما زاد علىٰ قول: «سبحان ربِّيَ العظيم» مرَّةً واحدةً في الرُّكوع، وما زاد علىٰ قول: «ربَّنا ولَكَ الحَمْدُ» في الرَّفع منه، وما زاد علىٰ قول: «سبحان ربِّيَ الأعلىٰ» مرَّةً واحدةً في السُّجود، وما زاد علىٰ قول: «ربِّ اغْفِرْ لي» مرَّةً واحدةً بين السَّجدَتَيْن.

٢ ـ **سُنَنٌ فعليَّةٌ**؛ مثل رَفعِ اليدَيْن عند تكبيرةِ الإحرام، وعند الرُّكوع، وعند الرَّفعِ منه، وعند القيام إلىٰ الثّالثةِ، ومثل ما جاء في صفة الرُّكوع أن لا يَشخَصَ رأسَه ولا يُصوِّبَه كما سيأتي، كذلك ما يتعلّق بالسُّنَنِ الفعليَّةِ المُتعلّقَةِ بالسُّجودِ، وتحريكِ الأصْبُع في التّشهُّد.



○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**سُنَنُ الصَّلاةِ؛ ومنها: الاستفتاح**» وَسمِّي «استفتاحًا» لأنّه تفتَتَحُ به الصَّلاةُ، وَيؤتىٰ به في أوّلها بعد تكبيرَةِ الإحرام، وَهذا الاستفتاحُ ورَدَ فيه صِيَغٌ ثابتةٌ عَن النّبيِّ ـ عَليه الصّلاة والسَّلام ـ، فبأيٍّ منها أخذ المُسلمُ حصل تحقيق هذه السُّنّةِ العظيمةِ، وإن فعَل الوارِدَ مُنوِّعًا تارةً هذا وتارةً هذا فهو أولىٰ.

وَالنّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وَردَ عنه صِيَغٌ عديدةٌ في الاستفتاح، مثل: «**اللّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللّهُمَّ نَقِّنِي منَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقّىٰ الثّوبُ الأبْيَضُ منَ الدّنَسِ، اللّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثّلْجِ وَالبَرَدِ**»[(١)].

وَمثل: «**سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١١٦٥٧)، وأبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، والنسائي (٩٠٠)، وابن ماجه (٨٠٤)؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣٤٠).

وَهذه الصِّيَغُ منهَا ما هُو ثناءٌ عَلىٰ الله وَتمجيدٌ، مثل: «**سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ**» وَمنهَا مَا هو دعاءٌ وسؤالٌ، مثل: «**اللّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ**» ومنها الجامعُ بينهما بين التّمجيدِ والثّناءِ، والدّعاءِ والمسألةِ؛ ومن ذلك ما كان يقوله ﷺ في استفتاحه من صَلاة اللّيل: «**اللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقّ، وَوَعْدُكَ الحَقّ، وَقَوْلكَ الحَقّ، وَلقَاؤُكَ حَقّ، وَالجَنّةُ حَقّ، وَالنّارُ حَقّ، وَالنّبِيُّونَ حَقّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقّ، وَالسَّاعَةُ حَقّ، اللّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْت، وَبِكَ آمَنْت، وَعَلَيْكَ تَوَكّلْت، وَإِلَيْكَ أَنَبْت، وَبِكَ خَاصَمْت، وَإِلَيْكَ حَاكَمْت، فَاغْفِرْ لي مَا قَدّمْت وَمَا أَخَّرْت، وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت، أَنْتَ المُقَدّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّةَ إِلّا بِاللّهِ**»[(١)].

وهذا الاستفتاح العظيمُ بجُمَله الكثيرةِ من أطْوَل الاستفتاحات المأثورةِ عن النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وكان يقوله في استفتاحه لصلاة اللّيل، وهو استفتاحٌ جامعٌ، بل يُعَدّ مَتْنًا جامعًا لأمَّهَاتِ العقيدة وأصول الدّين، وحفظ المسلم له، وعنايَته به بأن يَستَفْتِحَ صلاتَه به كلّ ليلةٍ من أعظم الأمور الّتي يَحصُل بها تجديدُ الإيمان وتقويَته في القلب؛ وهذا هو مَقصِدُ الأذكار الشّرعيَّةِ المأثورةِ عن النّبيِّ الكريم، صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه.

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدّه لسُنَنِ الصَّلاة: «جَعْل كفّ اليد اليُمنىٰ علىٰ اليسرىٰ فوق الصَّدرِ حين القيام، قبل الرُّكوع وبعدَه» أي: بعد الرَّفع من الرُّكوع، وللمصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالةٌ خاصَّةٌ في ذلك مُسمَّاة بـ: «تمام الخشوع في وضع اليدين علىٰ الصَّدر بعد الرُّكوع» وأوْرَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يدُلّ لذلك من أدلّةٍ.

وهذا الوضع لليدَيْن ـ اليُمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ ـ هيئةُ ذُلٍّ وخضوع وانكسارٍ بين يدَي

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وهو أجمع للقَلب في الصَّلاةِ؛ لأنّه لو كانَت اليد مُرسَلَةً وطَليقَةً ربَّما ينشَغِل المَرْءُ بتحرِيكِها أو نَحْوِ ذلك، لكن إذا قَبَضَ اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ ففيها سكونٌ وطمَأْنِينَةٌ، إضافةً إلىٰ ما فيها من الذّلّ لله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فهي وقفةُ مُتذَلّل خاضع بين يَدَيْ ربِّه ـ جلّ في علاه ـ، وسواءً وضع كفّه علىٰ الرُّسغِ أو وضَعها علىٰ السَّاعِدِ كلّ منهما جاءت به السُّنّة، كما قال الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ: «وإن جعلها علىٰ الرُّسغ والسَّاعِدِ وصارت أطرافُها علىٰ السَّاعِدِ فهذا هو الأفضل، وإن جعلها علىٰ الذّراع فهو سنّةٌ أيضًا»[(١)].

○ قال رَحِمَهُ اللهُ: **«رفعُ اليَدَيْن مضمومَتَيِ الأصابع مَمدودةً حَذْوَ المَنكِبَيْن أو الأُذُنَيْن عند التّكبيرةِ الأولىٰ، وعند الرُّكوعِ، والرَّفعِ منه، وعند القيام من التّشهُّد الأوَّل إلىٰ الثّالثةِ»** هذه أربعةُ مواضعَ يُشرَعُ للمسلم أن يَرفَعَ فيها يدَيْه مضمومةَ الأصابع، أي: ليست مُفرَجَةَ الأصابعِ؛ وهذا الرَّفعُ يكون إلىٰ حَذْوِ المَنكِبَيْن، أو فروعِ الأُذُنَيْن، لمجيء السُّنَّةِ الصَّحيحةِ عن رسول الله ﷺ بهذا وهذا، جاء في بعض الأحاديث: «**يُحَاذِي بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ**»[(٢)]. وجاء في بعضِها: «**يُحَاذِي بِهِمَا فُرُوعَ أُذُنَيْهِ**»[(٣)]. فمن السُّنّة أن يَرفَع يدَيْه في هذه المواطن الأربعةِ، لما في البخاري[(٤)] عن عُبَيْدِ الله عن نافِعٍ أنّ ابنَ عمر «كان إذا دخلَ في الصَّلاةِ كبَّرَ ورفع يدَيْهِ، وإذا ركَعَ رَفَعَ يدَيْهِ، وإذا قال: سَمِعَ اللّٰهُ لمنْ حمدَهُ رفعَ يدَيْهِ، وإذا قام منَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ، ورَفَعَ ذلك ابنُ عُمَرَ إلىٰ نبيِّ اللهِ ﷺ».

ومن السُّنَن: **«ما زاد عن واحدةٍ في تسبيح الرُّكوع والسُّجود»** قول: «سبحان ربِّيَ العظيم» في الرُّكوع، و«سبحان ربِّيَ الأعلىٰ» في السُّجود مرَّةً واحدةً هذا من واجباتِ الصَّلاةِ، وما زاد علىٰ ذلك فهو سنّةٌ.

---

(١) «مجموع فتاويه» (٨/ ١٤٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٥٩٩)، وأبو داود (٧٣٠) والترمذي (٣٠٤)، والنسائي (١١٨١)، وابن ماجه (١٠٦١) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣٠٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣٩١) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٤) برقم (٧٣٩).

❍ قال: «ما زاد علىٰ قول: «ربَّنَا ولك الحَمْدُ» بعد القيام من الرُّكوع» أيضًا هذا من السُّنن بعد الرَّفع من الرُّكوع يقول: «ربَّنا ولك الحَمْدُ» يقولها الإمامُ والمأمومُ والمُنفَرِدُ، ثمَّ ما زاد علىٰ ذلك ممَّا ورد كلّه من السُّنَن، مثل: «**حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ**»[(١)]. أو: «**ملْءُ السَّمَاوَاتِ وَملْءُ الأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَملْءُ مَا شِئْتَ منْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثّنَاءِ وَالمَجْدِ**»[(٢)]. أو: «**اللهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْج وَالبَرَدِ، وَالمَاءِ البَارِدِ، اللهُمَّ طَهِّرْنِي منَ الذّنُوبِ وَالخَطَايَا، كَمَا يُنقّىٰ الثّوْبُ الأَبْيَضُ منَ الوَسَخِ**»[(٣)].

«ما زاد عن واحدةٍ في الدّعاء بالمغفرةِ بين السَّجدَتَيْن» تقدّم في حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أنّ المُصَلّي يقول بين السَّجْدَتَيْن: «رَبِّ اغْفِرْ لي» فقوله مرَّةً واحدةً هذا واجبٌ، وما زاد علىٰ ذلك فهو من السُّنن.

«جَعْلُ الرَّأسِ حيَالَ الظّهْرِ في الرُّكوعِ» يعني لا يَخفِضُ الرَّأسَ بمُستَوَىٰ أنْزَلَ من الظّهرِ، ولا يَرفَعُ الرَّأسَ، بل يكون حيالَه، أي: مُساوِيًا له علىٰ سَمْتِه، وقد جاء في «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصفِها لصلاة النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنّها قالت: «كان إذا ركعَ لم يُشْخِصْ رأْسَه، ولم يُصَوِّبْهُ، ولكنْ بينَ ذلكَ».

«مُجافاة العضُدَيْن عَن الجَنْبَيْن، والبطن عَن الفَخِذَيْن، والفَخذَيْن عَن السَّاقَيْن في السُّجود» وهذه المجافاة ثابتةٌ من فِعله ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ، وقد بيَّن أهل العلم من فائدة هذه المُجافاة أنّ كلّ موضع منَ الجسم يأخذ حظّه من السُّجود، بخلاف إذا جعل أجزاءَ من الجسم مُلتَصِقًا بعضُها ببعض، فمجافاةُ العَضُدَيْن عن الجَنبَيْن، والبَطن عن الفخِذَيْن، والفَخذين عن السَّاقَيْن أكْمَل في هيئَةِ العبد وتذلّله في سجودِه لربِّه ـ تبارك

(١) أخرجه البخاري (٧٩٩) عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٤٧٧) أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٤٧٦) عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.
(٤) برقم (٤٩٨).

وتعالىٰ ـ.

«رفع الذّراعَيْن عن الأرض حينَ السُّجود» كما جاء في الحديث: «فَإِذَا سَجَدَ؛ وَضَعَ يَدَيْهِ، غَيْرَ مُفْتَرِشٍ، وَلاَ قَابِضِهِمَا»(١).

«جلوس المصلّي علىٰ رِجله اليسرىٰ مفروشة، ونصب اليمنىٰ في التّشهُّد الأوَّل وبين السَّجْدَتَيْن» وهذا جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في «صحيح مسلم»(٢): «كَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ اليُسْرَىٰ، وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ اليُمْنَىٰ».

«التّورُّك في التّشهُّد الأخير في الرُّباعيَّةِ والثّلاثيَّةِ وهو: الجلوس علىٰ مقعدته وجعْل رجله اليسرىٰ تحت اليمنىٰ ونصب اليمنىٰ» وهذا ثابتٌ في حديث أبي حُمَيْد رضي الله عنه في البخاري(٣)، وفيه: «وَقَعَدَ عَلَىٰ مَقْعَدَتِهِ». وهذه الهيئةُ يُقَال لها: «التّورُّكَ»؛ لأنّ المُصلّي ـ في التّشهُّد الّذي في آخر الصَّلاةِ من الثّلاثيَّةِ والرُّباعيَّة ـ يجلس علىٰ وَرِكِه، بينما الأولىٰ يقال لها: «افتراش»؛ لأنّه يجعَل رجلَه اليُسرىٰ مثل الفراش له يجلسُ عليها.

«الإشارة بالسَّبَّابة في التّشهُّد الأوَّل والثّاني، من حين يجلس إلىٰ نهاية التّشهُّد، وتحريكها عند الدّعاء» أي: أنّ هذه الإشارةَ من حين يجلس للتّشهُّد إلىٰ أن يُسلّمَ يكون مُشيرًا بالسَّبَّابَةِ، يَرفَعُها رفعًا غير كامل، إشارةً للتّوحيد، ويُحرِّكُها عند الدّعاء تحريكًا خفيفًا.

«الصَّلاةُ والتّبريك علىٰ محمَّدٍ وآل محمَّدٍ، وعلىٰ إبراهيم وآل إبراهيم في التّشهُّد الأوَّل» أي: أنّ هذا من سُنَنِ الصَّلاة الإبراهيميَّةِ الإتيانُ بها في التّشهُّد الأوَّل، وقد تقدّم ذكرُ الصِّيغة.

«الدّعاء في التّشهُّد الأخير» تقدّم حديث ابنِ مسعود رضي الله عنه، وفيه: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنْ الدّعَاءِ مَا شَاءَ» فلا يَستَعْجلْ بالسّلام بعد إكمال التّشهُّد والصَّلاةِ الإبراهيميَّةِ، بل

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢٨) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.
(٢) برقم (٤٩٨) عن عائشة رضي الله عنها، وقد سبق تخريجه.
(٣) برقم (٨٢٨) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، وقد سبق تخريجه.

يتخيَّرُ من الدّعاء ما شاء؛ فإنّه موطنٌ عظيمٌ يُتحَرَّىٰ فيه الدّعاءُ.

«**الجهرُ بالقراءةِ في: صلاةِ الفَجر، وصلاةِ الجُمعةِ، وصلاةِ العيدَيْن، والاستسقاءِ، وفي الرَّكعتَيْن الأولَيَيْن من صلاة المَغرب والعشاء**» ولهذا لو أنّ الإمامَ ـ مثلًا ـ نسِيَ الجهرَ بالفاتحة، وقرأ نصفَ سورة الفاتحة سرًّا، ثمَّ نُبِّه ليجهر؛ فلا يعيد الفاتحةَ من أوّلها، وإنّما يُكمل من حيث انتهىٰ إليه قراءةً؛ لأنّه لا يُشرَعُ قراءةُ أوّل الفاتحة مرَّتَيْن، فيُكمل جهرًا من حيث انتهىٰ إليه.

«**الإسرار بالقِراءة في الظّهر والعصر، وفي الثّالثة من المغرب، والأخيرَتَيْن من العشاء**» والجهر في مواضع الجهر، والإسرار في مواضع الإسرار، مُجمَعٌ علىٰ استحبابه، والأصل فيه فِعل النّبيِّ ﷺ.

«**قراءةُ ما زاد عن الفاتحة منَ القرآن**» أي: أنّ هذا من سُنَن الصَّلاةِ، أمَّا الفاتحة: فهي ركنٌ في كلّ ركعةٍ من ركعات الصَّلاةِ، وتقدّم قوله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[1].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مع مراعاةِ بقيَّةِ ما ورد من السُّنن في الصَّلاة سوىٰ ما ذكرنا**» ذكر ذلك: تنبيهًا إلىٰ أنّ ما تقدّم ذكرُه من السُّنَنِ ليس علىٰ سبيل الحصر وإنّما علىٰ سبيل المثال.

«**ومن ذلك: ما زاد علىٰ قَول المُصَلّي «ربَّنَا ولك الحَمْدُ» بعد الرَّفعِ من الرُّكوع في حقّ الإمام والمأموم والمُنفَرِد، فإنّه سنّة**» وقد تقدّم.

«**ومن ذلك أيضًا: وضعُ اليَدَين علىٰ الرُّكبَتَيْن مُفَرَّجتَي الأصابع حينَ الرُّكوع**» لحديث وائل بن حُجر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ؛ فَرَّجَ أَصَابِعَهُ»[2].



(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٥٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢٦٩٥)؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٣٣).

الدرس الحادي عشر:
مبطلات الصلاة

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرس الحادي عشر: مُبطِلات الصَّلاة.

مُبطِلات الصَّلاة، وهي ثمانية:

- الكلامُ العَمْدُ مع الذّكرِ والعِلْم، أمَّا النّاسي والجاهل فلا تَبطل صلاته بذلك.
- الضَّحك.
- الأكل.
- الشّرب.
- انكشاف العورة.
- الانحراف الكثير عن جهة القبلة.
- العَبث الكثير المُتوالي في الصَّلاة.
- انتقاض الطّهارة».

الشرح:

○ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُبطِلَات الصَّلاةِ» أي: الأمورُ الّتي تَبطل بها الصَّلاةُ إذا وُجدَت؛ وهذه المُبطِلات يَجبُ علىٰ المسلم أن يَعرِفَها، وأن يكون علىٰ علم بها ليتّقِيَ أن يَقَعَ في شيءٍ منها؛ لأنّها مُبطِلٌ لصلاتِه، «وهي ثمانية» مبطلات:

١ ـ «الكلام العَمْد مع الذّكر والعلم» لحديثِ زيد بنِ أرْقَم عندما نزل قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨] قال: «كُنّا نَتكَلّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلّمُ الرَّجُل صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ، حَتّىٰ نَزَلَتْ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ

قَـٰنِتِينَ﴾، فَأمرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الكَلَامِ»[(١)].

وقوله: «**مع الذّكر**»: أي لا يكون ساهيًا، وقوله: «**والعلم**»: أي لا يكون جاهلًا؛ وعليه فإنّه إذا حصل كلامٌ من السَّاهي، بأن تكلَّم في أثناء صلاتِه سهوًا، أو تكلّمَ في أثناء صلاتِه جهلًا بالحكم؛ فإنّ صلاتَه لا تَبطل بذلك للعذر بالسَّهو والنِّسيان.

٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ «**الضَّحك، الأكل، الشّرب**» وهذا بإجماع أهل العلم؛ إذا ضحك في صلاتِه، أو أكَلَ، أو شَرِبَ بطلت صلاته.

٥ ـ «**انكشاف العورة**» وقد تقدّمَ في شروط الصَّلاة سَتْرُ العورَةِ، وإذا عُدِمَ الشّرط بَطَلَ المَشرُوط.

٦ ـ «**الانحراف الكثيرُ عن جهة القِبلَة**» لأنّ استقبالَ القبلة من شُروط الصَّلاة كما تقدّم، فإذا انحرف انحرافًا يسيرًا فإنّه لا يضرُّ، لكن إذا انحرف انحرافًا شديدًا عن جهة القبلة بطلت صلاته.

٧ ـ «**العبث الكثير المُتوالي في الصَّلاة**» بأن يَعبَثَ بيده أو رِجله أو لحيَتِه أو ثوبه أو غير ذلك، فهذا ممَّا يُبطِل الصَّلاةَ؛ لأنّه انشغالٌ عن الصَّلاةِ، فحرَكَته سببها انصرافُ قلبِه، فلو خشع قلبُه لخَشَعَتْ جوارحُه، ولأنّ الطّمأنينةَ من أركان الصَّلاةِ، فإذا كثرَ العَبَث وتوالَىٰ بطلَتِ الصَّلاةُ، وليس لذلك حدٌّ محدودٌ، وتحديدُه بثلاثِ حركاتٍ لا دليلَ عليه.

٨ ـ «**انتقاض الطّهارة**» لأنّ الطّهارةَ من شروط الصَّلاة، كما تقدّم في الحديث: «**لَا تقْبَل صَلَاةٌ بِغَيْرِ طهُورٍ**»[(٢)]. فإذا انتقضت طهارةُ المرء وهو يصلّي؛ بخروج ريح أو بول أو نحو ذلك؛ فإنّ صلاتَه تَبطل. ❁



(١) أخرجه البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٧٣).

(٢) سبق تخريجه.

الدرس الثاني عشر:
شروط الوضوء

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرس الثّاني عشر: شروط الوضوء:

شروط الوضوء، وهي عشرة: الإسلام، والعقل، والتّمييز، والنِّيَّة، واستصحابُ حُكمها، بأن لا يَنْوِي قَطعَها حتّىٰ تتمَّ طهارته، وانقطاعُ مُوجب الوضوء، واستنجاءٌ أو استجمارٌ قَبْلَه، وطهوريَّةُ ماءٍ وإباحته، وإزالةُ ما يَمنَعُ وصولَه إلىٰ البَشْرَة، ودخول وَقْتِ الصَّلاة في حقّ مَنْ حَدَثه دائِمٌ».

الشرح:

❍ تقدّم أنّ الطّهارةَ شرطٌ لصحَّةِ الصَّلاةِ، فلابدّ من معرفة الأحكام المُتعلّقَةِ بالطّهارة من حيث شُروطها، وكذلك المسائل الأخرىٰ الآتي ذِكرُها، بدأها بشروط الوضوء فقال: «وهي عشرة» شروطٍ:

◉ **الأوَّل والثّاني والثّالث:** «الإسلام، والعقل، والتّمييز» وهذه الشّروط تقدّم ذِكرُها في شروط الصَّلاة وتقدّم الحديث عنها.

أمَّا الإسلام: فلأنّ غَيْرَ المُسلم عمله أيًّا كان ـ من طهارةٍ، أو صلاةٍ، أو زكاةٍ، أو غير ذلك ـ باطلٌ وحابِطٌ؛ لأنّ الكُفرَ مُبطِلٌ للعمل كلّه، كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وأمَّا العقل: فلأنّ المجنونَ مَرفُوعٌ عنه القلم، كما تقدّم في قوله ﷺ: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ**»، وذكر منهم: المجنون. فالجنون فَقْدٌ للعقل، ومن شرط العبادة عمومًا وجودُ العقل الَّذي يَحصُل به المعرفةُ والفهمُ والدّراية، وفاقِدُ العقل لا يُحسِنُ إقامةَ هذه الأعمال والإتيانَ بها علىٰ وجهها.

وأمَّا التّمييز: فلأنّ القلَمَ كما تقدّم في الحديث مرفوعٌ عن ثلاث؛ منهم: الصَّبيُّ حتّىٰ يُميِّزَ، ولهذا أيضًا جاء في الحديث: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ**»، والسَّابعة هي سنّ التّمييزِ الّتي يُؤمَرُ بها الصَّبيُّ بالطّهارة ويُؤمَرُ بالصَّلاة.

◉ **الرَّابع**: «**النِّيَّة**» والنِّيَّةُ شرطٌ في الطّهارة، وفي الصَّلاةِ، وفي كلّ عبادةٍ، وقد قال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[(١)]. والمُرَادُ بالنِّيَّةِ في الطّهارةِ: أن يَعقِدَ بقَلبِه أنّه يباشر هذه الأعمالَ من أجل طَهارَتِه، فلو أتىٰ بفروضِ الوضوء، ولم ينوِ الطّهارةَ، وإنّما نوىٰ نظافةَ هذه الأعضاء، فلا يكون عَمَله ذلك طهارةً؛ لأنّ من شَرطِها النِّيَّة.

◉ **الخامس**: «**استصحابُ حُكمها بأن لا يَنوِيَ قَطعَها حتّىٰ تَتِمَّ طهارته**» لأنّه لو قَطَعَ نيَّةَ الطّهارةَ في أثناء العمل لم تَصِحَّ طهارته؛ كأنْ يُغيِّرَ النِّيَّةَ في أثناء الوضوء من الطّهارةِ إلىٰ النّظافة.

◉ **السَّادس**: «**انقطاعُ مُوجب الوضوء**» أي: انقطاع مُوجبِ التّطهُّر، فلا تكون الطّهارةُ إلّا بعد انقطاع المُوجب، كالخارج من السَّبيلَيْن، أو أكل لحم الجَزُورِ، أو نحو ذلك، أمَّا في أثناء وُجود مُوجب الوضوء لَو حصَل للإنسان طهارةٌ أو شروعٌ فيها فإنّها لا تصِحُّ، فمَنْ توضَّأ ولم يَنْقَطِعْ خروجُ البول، لم يَرتَفِعْ حَدثه، وَكذا لو توضَّأ وَهو يأكُل من لَحْم الإبل، ويُسْتَثْنَىٰ مِن ذَلك مَنْ حَدَثه دائِمٌ.

◉ **السَّابع**: «**استنجاءٌ أو استجمارٌ قَبْلَه**» أي: في حَال وُجودِ خَارِج من السَّبيلَيْن؛ فإنّه يُشتَرَط للطّهارةِ الاستنجَاءُ أو الاستجمَارُ قبلهَا، والمُرادُ بالاستنجَاء: تَنقِيَةُ مَوضِع الخَارج من السَّبيلَيْن بالمَاء، والمُرَادُ بالاستجمَار تَنقِيَته بالحجَارة، وإنّما يُشتَرَط ذلكَ إذا وُجدَ خارِجٌ منَ السَّبيلَيْن، وَليسَ كَما يَظنّ بَعضُ العَوامِّ أنّه شَرطٌ عندَ كلّ طَهارةٍ حتّىٰ وإن لم يوجد خَارجٌ.

◉ **الثّامن**: «**طهوريَّة ماءٍ وإباحَته**» فإذا كَان الماءُ نَجسًا؛ فإنّه لا تَحصل به الطّهارَةُ،

---

(١) سبق تخريجه.

وكذلك إذا كان مَغصوبًا أو مَسرُوقًا أو نَحو ذَلك؛ فَلا تَصِحُّ به الطّهارَةُ.

◉ **التّاسع**: «**إزالةُ ما يمنع وُصولَه إلىٰ البشرة**» كأن يكون عَلىٰ اليد أو القَدم أصباغ، أو قطعة مِنَ العَجين؛ لكون ذلكَ مانعًا مِن إسباغ الوضوء، أمَّا ما يُغَيِّرُ لونَ البَشَرَةِ ولا يُغطِّيها؛ كالحنّاء ونَحوِها؛ فَإِنّ ذَلك لا يُؤثّرُ علىٰ صِحَّةِ الوُضوء.

◉ **العاشر**: «**دخول وَقت الصَّلاة في حقّ مَنْ حَدَثه دائِمٌ**» كمَن عنده سَلَسُ البول، أو سَلَسُ الرِّيح، فإذَا دَخل الوَقت؛ توضَّأ، وصلّىٰ علىٰ الحال الّتي هو عليها، حتّىٰ وإن خرج شيءٌ من الرِّيح أو خرج شيءٌ من البول فإنّه لا تَنتَقِضُ طهارَته؛ لأنّه لا يملك ذلك، لكن من شرط الطّهارةِ في حقّه: أن يتوضَّأ لكلّ صلاةٍ عند دخول الوقت، فحكمُه حكمُ المُستحاضَةِ، أمرَها النّبيُّ ﷺ أن تتوضَّأ لكلّ صلاةٍ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**ثُمَّ تَوَضَّئِي لكُلّ صَلاَةٍ، حَتّىٰ يَجيءَ ذَلكَ الوَقْتُ**»[1]. ◉



(١) أخرجه البخاري (٢٢٨).

الدرس الثالث عشر: فـــروض الـــوضـــوء

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرسُ الثّالث عشر: فروض الوضوء:

فُروضُ الوضوء، وهي ستّةٌ: غسل الوجه، ومنه المضمضةُ والاستنشاق، وغسل اليَدَيْن مع المرْفقَيْن، ومَسْحُ جميع الرَّأسِ ومنه الأذُنَان، وغسْل الرِّجْلَيْن مع الكَعْبَيْن، والتّرتيب، والموالاة.

ويُستَحَبُّ تَكرارُ غَسْل الوجه واليَدَيْن والرِّجْلَيْن ثلاثَ مرَّاتٍ، وهكذا المضمضةُ والاستنشاق، والفرض من ذلك مرَّةٌ واحدةٌ، أمّا مسحُ الرَّأس فلا يُستَحَبُّ تَكرَارُه كما دلّتْ علىٰ ذلك الأحاديث الصَّحيحةُ».

الشرح:

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فروضُ الوضوء» جمع: فرض؛ والفرض في الشّرع معناه: ما أمرَ به علىٰ سبيل الإلزام.

«وهي ستّةٌ» قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فهذه الآيةُ أوْجَبَتِ الوضوءَ للصَّلاةِ، وبيَّنَتِ الأعضاءَ الّتي يَجبُ غَسلها أو مَسحُها في الوضوء، وحَدّدَتْ مواقعَ الوضوءِ منها، ثمَّ جاءت السُّنّةُ النّبويَّةُ شارِحَةً ومُفصِّلَةً.

◉ الأوَّل: «غسل الوجه» والوجه هو: ما تَحصُل به المواجهةُ من مَنابتِ شَعرِ الرَّأسِ المُعتَادِ، إلىٰ ما انحدَرَ من اللّحْيَيْنِ والذّقْنِ طولًا، ومن الأذُن إلىٰ الأذُن عَرْضًا، والبَدْءُ بالوجه لشَرَفِه، أمّا غسل اليَدَيْن في أوَّل الوضوء فللنّظافةِ؛ لأنّ فَرْضَ غسل اليدَيْن من الكفّ إلىٰ المرْفَقِ يكون بعد غسل الوجه.

«ومنه: المضمضَة والاستنشَاق» قوله: «ومنه» أي: من الوجه؛ لأنّ المَضْمَضَة

للفَم، والاستنشاقَ للأنْفِ، والفَم والأنف منَ الوجه، فيدخُل في قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾، ويُستَدَلّ له بفعل النّبيِّ ﷺ؛ كحديث عُثمان رضي الله عنه: «**فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ**»[1].

والمضمضَة: هي وضعُ الماء في الفَم وتحريكُه، من أجل تَنقِيَةِ الفم وتنظيفِه.

والاستنشَاق: أن يَجذِبَ الماءَ بنَفَسٍ قويٍّ إلىٰ أقصىٰ الأنف.

والاستنثار: دفع الماء إلىٰ الخارج، ليَحصُلَ بذلك تَنقِيَةُ الخَيْشُوم ممَّا يَعلَق به.

◉ **الثّاني**: «**غسل اليدَيْن إلىٰ المرْفقَيْن**» أي: غسل اليد من أطراف الأصابع إلىٰ المرْفقَيْن. وقوله: «**إلىٰ المرْفقَيْن**» أي: مع المرْفقَيْن؛ لأنّ المرْفَقَ داخِلٌ في الغسل، كما يُوضِّحُ ذلك السُّنّةُ العمليَّةُ من فعل النّبيِّ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ.

◉ **الثّالث**: «**مسح جميع الرَّأس**» وقد بيَّنَتِ السُّنّةُ صفتَه، كما في حديث عبد الله ابن زيد رضي الله عنه، وفيه: «ثمَّ مسحَ رأسَه بيَدَيْه، فأقْبَلَ بهما وأدْبَرَ، بَدَأَ بمُقَدّم رَأْسِهِ، حتّىٰ ذهب بهما إلىٰ قَفَاهُ، ثمَّ رَدّهُمَا إلىٰ المكانِ الّذي بدَأَ منه»[2].

قوله: «**ومنه الأذنان**» يدُلّ لذلك قول النّبيِّ ﷺ: «**الأذُنَانِ منَ الرَّأْسِ**»[3]. وكذلك فِعله ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، فقد كان يَمسَحُ الأذُنَيْن بالماء الّذي يَمسَحُ به الرَّأسَ، لا يأخُذُ لهما ماءً مُستَقِلًّا، يجعل سبَّابَتَه في أذُنِه، ويَمسَحُ بالإبهام ظَهْرَ الأذُنَيْن. والأذُن لا تغسَل، وإنّما تمسَحُ؛ لأنّ فَرْضَها مثل فَرْضِ الرَّأسِ، وفرضُ الرَّأس مَسْحٌ وليس غَسْلٌ.

◉ **الرَّابع**: «**غسل الرِّجلَيْن مع الكَعْبَيْن**» كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فإنّ «إلىٰ» بمعنىٰ «مع»، وللأحاديث الواردة في صفة الوضوء؛ فإنّها تدلّ علىٰ دخول الكعبَيْن في المغسول.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٥)، ومسلم (٢٣٥).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٢)، وأبو داود (١٣٤)، والترمذي (٣٧)، وابن ماجه (٤٤٤)؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٨٤).

⦿ **الخامس**: «**الترتيب**» أي: يُؤتَىٰ بهذه الفروض؛ الوجه، ثمَّ اليدَيْن، ثمَّ الرَّأس، ثمَّ القدَمَيْن، علىٰ هذا النّحوِ من التّرتيب كما جاء في الآية؛ لأنّ الله تعالىٰ ذكرَها مُرتّبَةً، ولأنّه أدْخَلَ مَمسُوحًا ـ وهو الرَّأس ـ بين مَغسُولَيْنِ، ولفعل النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، فإنّ مَنْ نَقَلَ صفةَ وضوئه ﷺ نقلَها مُرتّبَةً علىٰ هذا النّحو.

⦿ **السَّادس**: «**الموالاة**» يعني: لا يفصِل بين عُضوٍ وآخَر، والضَّابط: أن لا يُؤخِّرَ غسلَ عضوٍ حتّىٰ ينشفَ الّذي قبلَه، بل يُوالي بينَها؛ فيَغسِل العضوَ، ثمَّ يغسل العضوَ الّذي يليه مباشرةً؛ لأنّ توضُّؤَ النّبيِّ ﷺ كان مُتواليًا ولم يكن يَفصِل بين أعضائه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ويُستَحَبُّ تكرَارُ غَسل الوجه واليَدَيْن والرِّجلَيْن ثلاث مرَّاتٍ، وهكذا المضمضة والاستنشاق، والفَرض من ذلك مرَّةً واحدةً**» فعن ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «تَوَضَّأَ النّبيُّ ﷺ مَرَّةً مَرَّةً»[(١)]. وعن عبد الله ابن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أنّ النّبيَّ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ»[(٢)]. وعن عثمان بن عفّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه «دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَىٰ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا، ثمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ، فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَىٰ المرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَىٰ الكَعْبَيْنِ، ثمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّث فِيهِمَا نَفْسَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)]. وهو أكمل.

ولا يُزَادُ علىٰ الثّلاثِ، ومَنْ زَادَ علىٰ الثّلاثِ فقد أساء وظَلَمَ، فعن عبد الله ابنِ عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاء أعرابيٌّ إلىٰ النّبيِّ ﷺ يسأله عن الوضوءِ، فأرَاهُ الوضوءَ ثلاثًا ثلاثًا، ثمَّ قال: «**هَكَذَا الوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَىٰ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّىٰ وَظَلَمَ**»[(٤)].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أمَّا مَسحُ الرَّأس: فلا يُستَحَبُّ تكرارُه، كما دلّت علىٰ ذلك الأحاديث**

(١) أخرجه البخاري (١٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٥٨)، ومسلم (٢٣٥).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه أحمد (٦٦٨٤)، والنسائي (١٤٠)، وابن ماجه (٤٢٢)؛ وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٢٩٨٠).

الصَّحيحة» لأنّ كلّ مَنْ نَقَلَ صفةَ وُضوءِ النّبيِّ ﷺ لم يَذكُرْ في مَسح الرَّأسِ إلّا مرَّةً واحدةً، قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصَّحيحُ أنّه لم يُكرِّرْ مَسْحَ رأسِه؛ بل كان إذا كرَّرَ غَسْلَ الأعضاءِ أفردَ مسحَ الرَّأسِ، هكذا جاء عنهُ صريحًا، ولم يَصِحَّ عنه ﷺ خلافُه البتّةَ»[1]. ❁



(١) «زاد المعاد» (١/ ١٨٦).

الدرس الرابع عشر:
نـــواقـــض الـــوضـــوء

❍ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرسُ الرَّابع عشر: نواقض الوضوء:

نواقض الوضوء، وهي ستّةٌ: الخارج من السَّبيلَيْن، والخارِجُ الفاحشُ النّجسُ من الجسد، وزوال العقل بنَوْم أو غيرِه، ومسُّ الفَرْج باليد قبُلًا كان أو دُبُرًا من غَيْرِ حائل، وأكل لَحْم الإبل، والرِّدّةُ عن الإسلام، أعاذنا اللهُ والمسلمين من ذلك».

الشرح:

❍ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نواقض الوضوء» أي: مُفسِداته، «وهي ستّة» نواقض:

◉ **الأوَّل**: « الخارج من السَّبيلَيْن» والسَّبيلَان: هما القبُل والدّبُر، فإذا وُجدَ خارِجٌ من السَّبيلَيْن ـ من بول، أو غائطٍ، أو ريح، أو دم أو مَنِيٍّ، أو مَذْي، أو غير ذلك ـ فإنّه يَنتَقِضُ وضوءُ المرء بذلك؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، ولقول النّبيِّ ﷺ: «وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْل وَنَوْم»[(١)].

◉ **الثّاني**: «الخارج الفاحش النّجسُ من الجسد» من غير السَّبيلَيْن. وقد اختلف العلماءُ في الدّم الخارِج من غير السَّبيلَيْن، هل يَنقضُ الوضوءَ أو لا؟

فذهب بعضُ أهل العلم إلىٰ عدم نَقْضِ الوضوء به؛ لأنّه لم يَثبُتْ في ذلك شيءٌ عن رسول الله ﷺ.

وذهب بعضُهم إلىٰ حصول النّقضِ بما كان كثيرًا فاحشًا منه، وقد جاء ذلك عن بعض الصَّحابةِ والتّابِعين، وهو الّذي اختارَه الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا، وهو أخذٌ بما فيه الاحتياط والخُروج من الخلاف.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٠٩١)، والترمذي (٩٦)، والنسائي (١٢٧)، وابن ماجه (٤٧٨) عن صفوان بن عسّال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (١٠٤).

◉ **الثّالث**: «**زَوَال العقل بنَوْم أو غَيرِه**» لأنّ النّومَ مَظِنّةٌ خروج الحَدَثِ، وهو لا يحسُّ به إلّا يَسيرُ النّوم؛ فإنّه لا يَنقضُ الوُضوءَ؛ لأنّ الصَّحابة ﷺ كان يُصِيبُهم النّعاسُ وهم يَنتَظِرُون الصَّلاةَ[١]. وإنّما يَنقضُه النّومُ المُستَغرِق؛ جمعًا بين الأدلّةِ.

وقوله: «**أو غيره**» أي: كالجنون، أو السُّكر، أو الإغماء.

◉ **الرَّابع**: «**مَسُّ الفرج باليد، قبُلًا كان أو دُبُرًا، من غير حائل**» هذا الّذي اختاره الشّيخُ رَحَمَهُ ٱللَّهُ هو قول جمهور العلماء، وهو الصَّحيح إذا كان المسُّ بدون حائِل، وسواءٌ مسَّ فَرجَه أو فَرجَ غَيرِه، وسواءٌ كان المَمْسُوسُ صغيرًا أو كبيرًا، منَ الأحياء أو الأموات، لحديث بُسْرَةَ بنتِ صفوان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأ**»[٢].

◉ **الخامس**: «**أكل لَحْم الجَزُور**» ويدُلّ للوضوء من أكل لحم الإبل ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ عندما سُئل: «أتَوَضَّأ منْ لحُوم الإبِل؟» قَالَ: «**نَعَمْ**»[٣].

◉ **السَّادس**: «**الرِّدّة عن الإسلام، أعاذنا الله والمسلمين من ذلك**» والرِّدّةُ ناقِضَةٌ للوضوءِ، ومُبطِلَةٌ للعمل كلّه، لقول الله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٦]، ولأنّها حَدَثٌ فتَدخُل في عموم قوله ﷺ: «**لاَ تقْبَل صَلاَةُ أحَدِكُمْ إِذَا أحْدَثَ حَتّىٰ يَتَوَضَّأ**»[٤].



○ قال رَحَمَهُ ٱللَّهُ:

«**تنبيهٌ هامٌّ: أمَا غسل المَيِّت؛ فالصَّحيحُ أنّه لا يَنقضُ الوضوءَ، وهو قول أكْثَرِ أهل العلم، لعدم الدّليل علىٰ ذلك، لكن لو أصابت يدُ الغَاسِل فَرْجَ الميِّتِ من غيرِ حائِل وَجَبَ عليه الوضوءُ، والواجب عليه ألّا يَمَسَّ فَرْجَ الميِّت إلّا من وراء حائل**».

(١) أخرجه مسلم (٣٧٦) عن أنس ﷺ قال: «كان أصحابُ رسُول الله ﷺ ينامُون، ثمَّ يصَلّون، ولا يتَوضّؤُون».

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٢٩٣)، وأبو داود (١٨١)، والترمذي (٨٢)، والنسائي (١٦٣)، وابن ماجه (٤٧٩)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١١٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣٦٠) عن جابر بن سمرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥)، ومسلم (٢٢٥) عن أبي هريرة ﷺ.

الشرح :

❍ اختلَفَ أهل العلم في هذه المسألة علىٰ قولَيْن: أحدهما: وجوبُ الوضوء، والثّاني: استحبَابُه، واختار الشّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أنّه لا يَنقضُ الوضوءَ؛ «**لعدم الدّليل علىٰ ذلك**»، ولأنّ الأصلَ بقاءُ الطّهارةِ، وأمّا حديث: «**مَنْ غسَّلَ مَيِّتًا، فَلْيَغْتَسِلْ**»[(١)] فقد قال عنه الشّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَدِيث المذكورُ ضَعِيفٌ، وقد ثَبَتَ عن النّبيِّ ﷺ في أحاديث أخرىٰ ما يدُلّ علىٰ استحباب الغُسل من تغسيل الميِّت»[(٢)].

قال: «**لكن لو أصابَتْ يَدُ الغَاسِل فَرْجَ الميِّتِ من غَيْرِ حائل؛ وجب عليه الوضوءُ**» أي: لمَسِّ الفَرْج لا لتغسيل الميِّتِ، لمَا سَبَقَ أنّ من نواقض الوضوء: مسُّ الفَرْج.

قال: «**والواجب عليه ألّا يَمَسَّ فَرْجَ الميِّت إلّا منْ وراء حائل**» لأنّ مَسَّ العورة حرامٌ، وكذا النّظَرُ إليها، فوجب أن يُغطّىٰ مَوضِعُ العَوْرَةِ بقماشٍ لئلّا يراها، وأن يجعل علىٰ يده قطعةً من القماش لئلّا يمسَّها.



❍ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وهكذا؛ مسُّ المرأةِ لا يَنقضُ الوضوءَ مُطلَقًا، سواءٌ كان ذلك عن شهوةٍ، أو غيرِ شَهْوَةٍ، في أصحِّ قَوْلَي العلماءِ، ما لم يَخرُجْ منه شيءٌ؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ قَبَّلَ بعضَ نسائه، ثمَّ صلّىٰ، ولم يتوضَّأْ**»[(٣)].

الشرح :

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولأنّ الأصلَ عَدَمُ نَقضِ الوضوء إلّا بدليل صحيح واضح،

---

(١) أخرجه أحمد (٧٧٦٩)، وأبو داود (٣١٦١)، وابن ماجه (١٤٦٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحّحه الألباني في «الإرواء»(١٤٤).

(٢) «مجموع فتاويه» (١٠/ ١٨٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٧٦٦)، وأبو داود (١٧٢)، والترمذي (٨٦)، وابن ماجه (٥٠٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصحّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (١/ ٣١٧).

وليس في هذه المسألةِ دليلٌ صحيحٌ واضحٌ يدُلّ علىٰ نقض الوضوء بمَسِّها، ولأنّ هذا ممَّا تَعُمُّ به البلوىٰ في كلّ بيت، فلو كان مسُّ المرأة يَنقضُ الوضوءَ لبَيَّنَه الرَّسول ﷺ بيانًا عامًّا»[(١)].



○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أمَّا قول الله سبحانه في آيتَي؛ النِّساءِ، والمائدة: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، [المائدة: ٦]، فالمراد به: الجِمَاعُ، في الأصحِّ من قولَيِ العلماء، وهو قول: ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وجماعةٍ من السَّلفِ والخَلَفِ. واللهُ وليُّ التّوفيق».

الشرح:

○ ذكر الإمامُ الطّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَ ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وجماعةٍ من السَّلفِ أنّه الجِمَاعُ، وحكىٰ القَوْلَيْن في المسألة، ثمَّ قال: «وأوْلَىٰ القَوْلَيْن في ذلك بالصَّوابِ قول مَنْ قال: عنىٰ اللهُ بقوله: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الجماعَ دُونَ غَيرِه من معاني اللّمس؛ لصحَّةِ الخبَرِ عن رسول الله ﷺ أنّه قَبَّلَ بعضَ نسائِه ثمَّ صلّىٰ ولَمْ يتوضَّأْ»[(٢)]. ●



---

(١) انظر: «مجموع فتاويه» (١٠/ ١٣٣).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٧٣).

الدرس الخامس عشر:
التحلي بالأخلاق المشروعة لكل مسلم

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدَّرسُ الخامس عشر: التّحلّي بالأخلاق المَشرُوعَةِ لكلّ مُسلم:

التّحلّي بالأخلاق المَشروعة لكلّ مُسلم، وَمنهَا: الصِّدق، والأمانة، والعفاف، والحياء، والشّجاعة، والكَرَم، والوفاء، والنّزاهة عَن كلّ ما حرَّمَ اللهُ، وحُسْنُ الجوَار، وَمُساعدة ذوي الحاجة حَسَبَ الطّاقة، وَغير ذَلك من الأخْلاق الّتي دلّ الكتابُ أو السُّنّة علىٰ مَشروعيَّتِها».

الشرح:

○ الخُلق الحسن عنوانُ فلاح صاحبِه وسَبيل سعادَتِه في الدّنيا والآخرةِ، فما استجلبَت الخيرات في الدّنيا والآخرة بمثله، وما استدفِعَت الشّرورُ فيهما بمثله، فشَأنُه عظيمٌ ومكانَته عَليَّةٌ، حتّىٰ إنّ النّبيَّ ﷺ لمَّا سُئلَ عن أكثر ما يَدخُل به النّاسُ الجنّةَ، قال: «**تَقْوَىٰ اللّهِ وَحُسْن الخُلقِ**»(١). وقال ﷺ: «**إِنّ من أَحَبّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ منِّي مَجْلسًا يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا**»(٢). وقال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْت لأُتَمِّمَ صَالحَ الأَخْلَاقِ**»(٣). وجاء عنه أحاديث كثيرةٌ في بيان فَضْل الخُلق، ورَفِيع مَكانَتِه، وجَميل عَوائِدِه وفوائدِه وثمارِه التي يَجنيهَا أهله في دنياهم وأخراهم.

والله ـ تبارك وتعالىٰ ـ نعَتَ نبيَّهُ في القرآن الكريم بكمال الخُلقِ وعِظَمه وحُسْنِه، قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقد كان ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ أحْسَنَ النّاس

(١) أخرجه أحمد (٩٦٩٦)، والترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٤٥).

خُلقًا، وأكْمَلَهم أدبًا، وأطْيَبَهم مُعاشَرَةً، وأجْمَلَهم معاملةً، صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه، فكان قدوَةً للعباد في كلّ خُلقٍ كريم وأدَبٍ رفيع ومعاملةٍ حسَنَةٍ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وبابُ الخُلقِ في الشّريعةِ بابٌ واسِعٌ، لا يختَصُّ في التّعامُل مع المخلوق، بل الخُلق والأدَبُ يكون بين العبد وبين ربِّه، ويكون مع الرَّسول ﷺ، ويكون بين العباد؛ ولهذا فإنّ كلّ مَنْ يَعبُدُ غيرَ الله خُلقه من أفْسَدِ الأخلاقِ، فأين الخُلق في رَجُل خَلَقَه اللهُ، وأمدّه بالرِّزْقِ، وتفضَّلَ عليه بالنِّعمَةِ، وأمَدّه بالعطاء والصِّحَّةِ والعافيةِ، ثمَّ يَلْجَأ إلىٰ غيرِ الله، ويَصرِفُ العبادةَ لغير الله؟! ولهذا فإنّ فَسَادَ الخُلقِ مُلازِمٌ للشِّركِ؛ فكلّ مُشرِكٍ فاسِدُ الخُلقِ؛ لأنّ شِركَهُ جُزْءٌ من فساد الأخلاق، بل هو أشْنَعُ ما يكون في فسادِ الأخلاق، فلا يُغتَرُّ ببعضِ المعاملة الحسَنَةِ الّتي يكون عليها بعضُ الكفّار؛ لأنّها لمصالح دنيويَّةٍ ومقاصدَ آنِيَّةٍ، لا يَرجُون عليها شيئًا عند الله، وثوابًا يومَ لقاه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

والخُلق النّافِعُ هو الّذي يقوم به صاحبُه يرجو عليه ما عند الله ليفُوزَ يومَ لقاء الله، دخولًا للجنّة، وفوزًا بالدّرَجاتِ العُلا، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، لا أن يَقومَ به علىٰ سبيل المقايضة والمعاوضة، ولهذا قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَيْسَ الوَاصِل بالمُكَافِئ**»[(١)].

وأمَّا مَنْ يتعامل مع النّاسِ بالأخلاق الحسنة لمصالح دنيويَّةٍ فلن يُحصِّلَ من دنياه إلّا ما كتب اللهُ له، ويفوِّت علىٰ نفسِه ثوابَ الآخرة، وسيَجنِي عَلْقَمًا بسبب تعامله بالأخلاق للمعاوضة والمقايضة؛ لأنّ في النّاس من لا يُحسِنُ ردّ الجميل، ولا يحسن معاملةَ المُحسِنِ بالإحسان، بل في النّاس من هو لئيم الطّبع، إن أحسِن إليه أساء لمن أحْسَنَ إليه، والنّاصح لا يَنتَظِرُ في تعامله مع النّاس بالأخلاق الحسنة شيئًا منهم، وإنّما

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يرجو ما عند الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، ولهذا فإنّ الأحاديثَ الّتي جاءت في الحثّ علىٰ الخُلقِ تذكُرُ ثوابَ الخُلقِ أجرًا يومَ القيامة؛ دخولًا للجنّة وفوزًا بالدّرجات العُلا فيها، وكلّما حَسُنَ خُلق المَرْءِ تقرُّبًا إلىٰ الله به؛ عَظمَ ثوابُه وأجرُه عند الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فإذا لم يُفعَلْ من أجل الله وطلب رضاه، وإنّما فُعِلَ من أجل مصالح الدّنيا؛ فإنّه لا يدخُل في صالح عمل العبد؛ لأنّ من شرطِ العمل الصَّالح المُثَابِ عليه عندَ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ أن يَقصِدَ به العامل التّقرُّبَ إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

الحاصل؛ أنّ الخُلقَ مكانته في الدّين عظيمةٌ ومَنزِلَته عَليَّةٌ، والشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إنّما أراد هنا الإشارةَ إلىٰ جملةٍ من الأخلاق الحسنة الّتي يَجدُر بكلّ مُسلم أنْ يكون مُتّصِفًا بها. ◉

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**التّحلّي بالأخلاق المشروعة لكلّ مسلم**» ثمَّ شرَعَ في عدّ جملةٍ منها علىٰ سبيل الإشارة وليس علىٰ سبيل الحصر، ولهذا قال:

«**ومنها: الصِّدق**» والصِّدق من أعظَم الأخلاق الإسلاميَّةِ الدّالّةِ علىٰ فضل المُسلم الصَّادِقِ في إسلامه، قال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ، وَإِنّ البِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنّةِ، وَمَا يَزَال الرَّجُل يَصْدُق وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدّيقًا**»[(١)].

وأعظَمُ الصِّدقِ شأنًا وأعلاه مكانةً: الصِّدق مع الله ـ جلّ في علاه ـ، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فيكون صادِقًا مع الله في توحيده وإيمانِه وتعبُّدِه وتقرُّبِه إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَا مِنْ أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إِلّا اللّهُ، وَأنّ مُحَمَّدًا رَسُول اللّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلّا**

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ النّارِ»[(١)]. فلا إله إلّا اللهُ الّتي هي أعظَمُ شُعَبِ الإيمان وأرْفَعُ مباني الإسلام، ولا تكون مقبولةً إلّا بالصِّدق مع الله، كما في الحديث: «**صِدْقًا منْ قَلْبِهِ**».

والصِّدق: هو مُواطَأةُ القلب للّسان، بحيث يكون ما يقوله المَرْءُ بلسانه موافِقًا لقَلبِه، أمَّا إذا اختلَفَ الظّاهِرُ والباطِنُ والسِّرُّ والعلَنُ فهذا هو النِّفاق، وقد يكون نفاقًا أكبر، وقد يكون نفاقًا أصغر، بحسب هذا الاختلاف بين الظّاهِرِ والباطن، فإذا كان يُظهِرُ الإيمانَ، ويُسِرُّ الكُفرَ بالرَّحمن؛ فهذا النِّفاق الأكْبَرُ، أمَّا إذا كان يُظهِرُ الصِّدقَ، أو يُظهِرُ الوفاءَ، وهو يُبطِن الكذبَ، ويُبطِنُ الخيانةَ؛ فهذا من النِّفاقِ الأصْغَرِ النِّفاقِ العملي، كما قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتمنَ خَانَ**»[(٢)].

وإذا كان الكذب من آيات النِّفاق؛ فإنّ الصِّدقَ من آيات الإيمان وعلاماتِه، فالواجب علىٰ المُسلم أن يكون صادِقًا، وأن يكون الصِّدق صِفتَه وزِينتَه وحلْيَتَه، ليفوزَ بموعودِ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ الّذي أعدّه لعباده الصَّادِقين.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**والأمانة**» والأمانة شأنُها في دين الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ عظيمٌ، عرَضَها اللهُ ـ جلّ وعلا ـ علىٰ السَّماواتِ والأرضِ؛ فأشفَقَتْ من حَملها؛ لعِظَم الأمانة وعِظَم شَأنِها، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والأمانةُ بمعناها العامِّ تتناول الدّينَ كلّه؛ لأنّ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ خلَقَ العبادَ ليعبدوه، وأوْجَدَهم ليُطِيعُوه، وهذه أمانةٌ يَلزَمُ كلّ إنسانٍ أن يَحفَظَها، وأنْ يُعنَىٰ بها، والنّاسُ في ذلك انقسموا إلىٰ أقسام ثلاثةٍ، بيَّنها اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في تمام السِّيَاقِ المُتقدّم، حيث قال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

١ـ فقسمٌ ادّعىٰ حفظَ الأمانة في الظّاهِر، لكنّ باطنَه خرابٌ تَبَابٌ؛ وهو المنافق.

٢ـ وقسمٌ أضاع الأمانةَ في ظاهِره وباطنِه وسِرِّه وعَلَنِه؛ وهو المُشرِك.

٣ـ وقسمٌ حَفِظَ الأمانةَ في الظّاهِر والباطِنِ والسِّرِّ والعَلَنِ، وهم أهل الإيمان.

ومن الأمانةِ: حفظ حقوقِ العباد، والوفاءُ معهم فيما ائْتمنُوا عليه من أقوال أو مصالحَ أو منافعَ أو نحوِ ذلك، وحواسُّ الإنسان كلّها أمانةٌ، والله سائِله عنها يومَ القيامة، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وماله أمانةٌ عنده يُسأل عنه يومَ القيامة، ووَلَدُه أمانةٌ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال] أي: ابتلاءً وامتحانًا، وهل يُؤدّي ما ائْتمنَ عليه من مال أو وَلَدٍ أو غيرِ ذلك؛ فمنْ أخلَاقِ المُسلم النّاصِح: رعايةُ الأمانة، وحفظها، والعنايةُ بها، بمعناها الخاصِّ والعامِّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والعفاف**» العفاف يكون بتجنّبِ الحرام والآثام والفواحشِ، ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النور: ٣٣]، ومَنْ لا يتمكّنُ من النِّكاح عليه بالعَفافِ والبُعدِ عن الحرام طاعةً لله وتحقيقًا لتقواه.

وأيضًا مَنْ لم يكُنْ عنده مالٌ فلْيَتَعفّفْ بأنْ لا يَمُدّ يدَه إلىٰ النّاسِ يَسألهم أعْطَوْه أو مَنَعُوه، وفي الحديث: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ**»(١) . ۞

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والحياء**» وَهو خُلقٌ عظيمٌ ووصفٌ كَرِيمٌ يتحَلّىٰ به المُؤمن، فإذا اتّصَفَ به؛ حَجَزَهُ عن كلّ خُلقٍ دَنِيءٍ، وساقَهُ إلىٰ كلّ خُلقٍ فاضِل؛ ولهذا فإنّ الحياءَ خيرٌ كلّه، ولا يأتي إلّا بخَيْرٍ، وإذا نُزِعَ الحياءُ من المَرْءِ؛ فارَقَه الخَيْرُ، ولم يُبَال بما ارْتَكَبَ من شرٍّ أو فسادٍ، و«**إِنّ ممَّا أَدْرَكَ النّاسُ منْ كَلَام النّبُوَّةِ الأولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَح**

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(١).

وأعظَمُ الحياء شأنًا: الحياءُ من ربِّ العالمين وخالقِ الخَلْقِ أجمعين، ومن الحياءِ من الله ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ: أن لا يَراك اللهُ حَيْث نهاك، بل تكونُ في كلّ وقتِك حييًّا من ربِّك ـ جلّ في علاه ـ؛ فلا تغشَىٰ الحرامَ، ولا تَرتَكِبُ الآثامَ؛ حياءً منه سبحانه؛ فإنّه مُطّلعٌ عليك لا تخفىٰ عليه منك خافيةٌ.

إذا خلــوتَ الــدّهرَ يومًــا فــلا تقــلْ   خَلَــوْت ولكــن قــلْ علــيَّ رقيــبُ

ومن الحياء منَ الله: أن يحفَظَ المرءُ حواسَّه وجوارِحَه، وأن يَحفَظَ بطنَه وجَوْفَه من إدخال الحرام؛ كما في الحديث: «**وَلَكِنّ الإِسْتِحْيَاءَ منَ اللهِ حَقّ الحَيَاءِ؛ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدّنْيَا**»(٢).

ويدخُل في الحياء منَ العباد: البُعْدُ عن التّعامُلاتِ السَّيِّئَةِ والتّصرُّفات المَشينة والأخلاقيَّاتِ المذمومةِ؛ فإنّها كلّها تتنافىٰ مع الحياء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والشّجاعة**» والشّجاعة في موطنِها الصَّحيح عزٌّ وفلاحٌ، وأمَّا في غير مَوطِنِها الصَّحيح فهي تَهوُّرٌ وهلاكٌ.

وشجاعَةُ المؤمن نابعةٌ من إيمانه، وثِقَتِه برَبِّه ﷻ، وقوَّةِ تَوكّله علىٰ سيِّده وخالقِه ومولاه ـ تبارك وتعالىٰ ـ، فهو لا يخاف إلّا من الله، ولا يخشىٰ إلّا اللهَ، ولا يَطلبُ عزًّا ولا تَمكينًا إلّا منَ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وهي ـ كما قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «تَحمله علىٰ عزَّةِ النّفسِ وإيثارِ معالي الأخلاقِ والشِّيَم، وعلىٰ البذل والنّدىٰ الّذي هو شجاعةُ النّفسِ وقوَّتها علىٰ إخراج المحبوب ومُفارَقتِه، وتَحمله علىٰ كظم الغَيظِ والحلْمِ؛ فإنّه بقوَّةِ نَفسِه وشجاعَتِها يُمسِكُ عنانَها، ويَكبَحُها بلجامها عن النّزغِ والبَطْشِ، كما قال النّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ الشّدِيدُ**

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠) عن أبي مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد (٣٦٧١)، والترمذي (٢٤٥٨)؛ وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٣٥).

بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(١). وهو حقيقةُ الشّجاعة، وهي مَلَكَةٌ يَقتَدِرُ بها العبدُ علىٰ قَهْرِ خَصمه»(٢).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكَرَم» والكَرَمُ كما أنّه يتناول بَذْلَ المال والسَّخاءَ والعطاءَ؛ فإنّه يتناول بعمومه الأخلاقَ الكريمةَ؛ فإنّ من كَرَم المسلم مع إخوانه حسنُ تعامله معهم، ومدّ يد المساعدة لهم، ومعاملتهم بالمعاملة الطّيِّبَةِ.

ويَدخُل في الكرم: الإنفاق والبذل والسَّخاءُ والجُودُ والعطاءُ، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]؛ فالفلاحُ في الكرم، والهلاك في الشّحِّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والوفاء» أي: بما يلتزمه من عهودٍ أو عقودٍ أو نحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] فهو يَفِي بما عاهَدَ عليه، وبما عاقَدَ النّاسَ عليه؛ فيتناول هذا: عقودَ النّكاح، وعقودَ البيع والشِّراء، وجميعَ التّعامُلاتِ الّتي بين المسلم وبين إخوَانِه، فمن صفاتِ المُسلم وزينَتِه وخُلقِه وحلْيَتِه: أنّه من أهل الوفاء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنّزاهةُ عن كلّ ما حرَّم اللهُ» أي: أن يكون مُتنزِّهًا عن الحرام، مُتّقِيًا الوقوعَ فيه، مُباعِدًا نفسَه عنه، خوفًا من الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ وسخَطِه وعقابه، والمُسلم نزِهٌ؛ يتنزَّهُ عن الأمور المُحرَّمَةِ، ويتنزَّهُ عن الأخلاق المذمومة، ويتنزَّهُ عن المعاملات السَّيِّئَةِ، ويتنزَّهُ عن خُلطَةِ الفسادِ والشّرِّ صيانةً لدينه ورعايةً لخلقِه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحسن الجوار» هذا أيضًا من الأخلاق الإسلاميَّة العظيمةِ الّتي جاء الشّرعُ بالوصيَّةِ بها والتّأكيدِ عليها، حتّىٰ قال نبيُّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: «**مَا زَالَ جبْرِيل يُوصِينِي بِالجَارِ حَتّىٰ ظَنَنْت أنّه سَيُوَرِّثُهُ**»(٣). وقال ﷺ: «**وَاللّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللّهِ لا يُؤْمِنُ**». قيل: «ومَنْ يا رسولَ الله؟!» قال: «**الّذِي لا يَأمَنُ جَارُهُ**

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بَوَائِقَهُ»[١].

ومن **حُسنِ الجوار**: البُعد عن أذيَّةِ الجار بأيِّ نوع من الأذيَّةِ القوليَّةِ أو الفعليَّةِ.

ومن **حُسنِ الجوار**: المعاملةُ الطِّيِّبَةُ، وحفظ حقوق الجار، وطاعة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فيما أمر به من إحسانٍ إلىٰ الجار، وما أمر به رسوله ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومساعدة ذوي الحاجة حسب الطّاقة» أي: حسب قدرة العبد، «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**». و«**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كُرْبَةً من كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ**»[٢]؛ فإنّ الجزاءَ من جنس العمل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وغير ذلك من الأخلاق الّتي دلّ الكتابُ أو السُّنّةُ علىٰ مشروعيَّتِها» وهي كثيرةٌ، وما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ إنّما هو إشارةٌ إلىٰ شيءٍ من الأخلاق العظيمة الّتي ينبغي أن يَتحَلّىٰ بها المسلمُ، وفيما ذُكِرَ تنبيهٌ علىٰ ما لم يُذكَرْ.

وقد أفرَدَ أهل العلم ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ في هذا الباب مُصنّفاتٍ خاصَّةً، منْ أوسَعِها وأجْمَعِها: «كتاب الأدب المفرد» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ صاحبِ «الصَّحيح» فإنّه كتابٌ عظيمٌ في بابه، من حيث التّبويبُ ومن حيث الجَمْعُ للنّصوص والأدلّةِ والآثارِ المرويَّةِ عن السَّلف الصَّالح ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ في هذا الباب.



(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦) عن أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونحوه: مسلم (٦١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدرس السادس عشر:
التأدب بالآداب الإسلامية

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الدّرسُ السَّادس عشر: التّأدّب بالآداب الإسلاميَّة:

التّأدُّب بالآداب الإسلاميَّةِ، ومنها: السَّلامُ، والبشاشة، والأكل باليمين والشّربُ بها، والتّسميةُ عند الابتداء، والحمدُ عند الفَراغ، والحمد بعد العُطَاس، وتشميت العاطِس إذا حَمدَ اللهَ، وعيادةُ المريض، واتّباعُ الجنائز للصَّلاةِ والدّفنِ، والآدابُ الشّرعيَّةُ عند دخول المسجدِ أو المَنزِل والخروج منهما، وعند السَّفَرِ، ومع الوالدَيْن والأقارب والجيران، والكبارِ والصِّغارِ، والتّهنِئَةِ بالمولود، والتّبرِيكِ بالزَّواج، والتّعزِيَةِ في المُصَابِ، وغيرِ ذلك من الآدابِ الإسلاميَّةِ في اللّبْسِ والخُلْعِ والانتعال».

الشرح:

○ الشّريعةُ الإسلاميَّةُ شريعةُ الأدب الكامل، جاءت بأكمَل الأدب في كلّ تعامُلاتِ المَرْءِ؛ في التّعامُل مع الوالدَيْن، وفي التّعامُل مع الجيران، وفي البَيْع والشِّراءِ، وفي تعاملاتِ المُعَلّم مع طلّابِه والطّلّابِ مع مُعلّميهم، وفي الخُروج، والدّخول، وركوب الدَّابَّةِ، والسَّفَرِ، وفي دخول المسجد، والخروج منه، وفي جميع العبادات؛ كآداب الصَّلاةِ والحجِّ والصِّيام وغيرِ ذلك.

والشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أشار في هذَا المختصَر إلىٰ جملةٍ من هذه الآداب، مُراعيًا الاختصار:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها: السَّلام» بإفشائِه، وقَد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَا تَدْخُلونَ الجَنّةَ حَتّىٰ تؤْمنُوا، وَلَا تؤْمنُوا حَتّىٰ تَحَابُّوا، أوَلَا أدُلّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتمُوهُ تَحَابَبْتم؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[1]. وكم في إفشاء السَّلام بينَ المسلمين من الآثارِ العَظيمةِ والعَوائد الحميدةِ المباركة في دُنياهم وأخراهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والبَشاشة» بأن يَلقىٰ المسلمُ أخاه بالوجه الطّليقِ، ولا يَحقِرَ المُسلمُ من المعروف شيئًا، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأكل باليَمين، والشّرب بها» هذه كلّها من آداب الأكل والشّرب، فلا يأكُل المسلمُ ولا يَشرَبُ إلّا بيمينِه، وقد نهىٰ النبي ﷺ عن الأكل والشرب بالشمال، وأخبر أنّ «**الشّيْطَانَ يَأكُل بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**»(٢). ومَن يأكل بشِماله فهو مُتشَبِّهٌ بالشّيطان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتّسميةُ عند الابتداء، والحمدُ عند الفَراغ » من آداب الأكل: أن يُسَمِّي في أوّله، كما في الحديث: «**يَا غُلَامُ سَمِّ اللّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٣). وأن يحمَدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في آخرِه علىٰ ما تفضَّلَ به ومَنّ، قال ﷺ: «**إِنَّ اللّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(٤).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا جمع الطّعامُ أَرْبَعًا فقد كَمُلَ: إذا ذُكِرَ اسمُ الله في أوَّله، وحُمِدَ اللهُ في آخِرِه، وكثرَتْ عليه الأيدي، وكان من حلٍّ»(٥).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحَمدُ بعد العُطَاسِ، وتَشميت العاطس إذا حَمدَ اللهَ» فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيِّ ﷺ قال: «**إِنّ اللهَ يُحبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التّثَاؤُبَ، فَإِذا عَطَسَ فَحَمدَ اللهَ؛ فَحَقّ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلم سَمعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التّثَاؤُبُ: فَإِنّمَا هُوَ منَ الشّيْطَانِ، فَلْيَرُدّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذا قَالَ: هَاء، ضَحكَ مِنْهُ الشّيْطَانُ**»(٦).

والحكمةُ في الحمد عند العُطاس: أنّ العاطِسَ ـ كما يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) عن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) انظر: «زاد المعاد» لابن القيِّم (٤/ ٢١٣).
(٦) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

حَصَلَ له بالعُطَاسِ نعمةٌ ومنفعةٌ بخروج الأبخِرَةِ المُحتَقِنَةِ في دِماغِه، الّتي لو بَقِيَتْ فيه أحدَثَتْ له أدواءً عسيرةً، ولهذا شُرِعَ له حمدُ الله علىٰ هذه النِّعمةِ مع بقاء أعضائِه علىٰ الْتِئَامها وهَيْئَتِها بعد هذه الزَّلْزَلةِ الّتي حَصَلَتْ للبدن، فللهِ الحمدُ كما ينبغي لكريم وجهِه وعزِّ جلاله[1].

فانظرْ ـ أخي المسلم رعاك الله ـ إلىٰ هذا الجمال والكمال الّذي دَعَتْ إليه الشّريعةُ عند العُطاس؛ حمدٌ وثناءٌ وتراحمٌ ودعاءٌ، العاطسُ يحمَدُ اللهَ، ومَن يسمَعُه يدعو له بالرَّحمَةِ، ثمَّ هو يُبادل الدّعاءَ بالدّعاءِ، فيدعو لمَنْ شَمَّتَه بالهدايةِ وصلاح الحال، فما أقواها من لحمَةٍ، وما أجْمَلَهُ من ترابُطٍ ووِصَال.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وعيادةُ المريض**» وهو حقّ للمريض علىٰ إخوانِه، وتستَغَلّ عيادَته بالدّعاء له بالشِّفاءِ والعافيةِ، وتَسليَتِه بما يُحرِّكُ فيه النّشاطَ والتّفاؤُلَ ونحو ذلك.

قال: «**واتّباعُ الجنائز للصَّلاةِ والدّفنِ**» وهو حقّ من حقوق المسلم علىٰ إخوانه، وقد رُتّبَ عليه أجورٌ عظيمةٌ، قال ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتّىٰ يُصَلّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتّىٰ تدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ**». قيل: وما القِيرَاطان؟ قال: «**مثْل الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ**»[2]. ۞

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وَالآدابُ الشّرعيَّةُ عِند دُخول المَسجد أو المَنزل، وَالخُروج منهُمَا**» فالمَسجد لدخُوله آدابٌ، وللخُروج منه آدابٌ؛ منها: أن يُقدّمَ رِجلَه اليُمنىٰ عند الدّخول، واليُسرىٰ عند الخروج، وأن يكونَ الدّخول بالتّسميَة، والخروجُ بالتّسميَةِ، يقول عند دخوله وخروجه: «**بِسْم اللهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُول اللهِ**». وفي دخوله؛ يسأل اللهَ أن يَفتَحَ له أبوابَ الرَّحمَةِ، وفي الخروج؛ يسأل اللهَ أن يَفتَحَ له أبوابَ الفَضل. فعن أبي حُمَيْدٍ، أو عن أبي أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجدَ، فَلْيَقلْ: اللّهُمَّ افْتَحْ لي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقلْ: اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلكَ**

(١) انظر «زاد المعاد» (٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

منْ فَضْلكَ»(١).

وفي كلّ من الدّخول والخروج تشرَعُ الاستعاذةُ من الشّيطانِ؛ أمَّا عند الدّخول: فمن السُّنّة أن يقول: «**أعُوذُ بالله العَظِيم، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَسُلْطَانِهِ القَدِيم منَ الشّيْطَانِ الرَّجيم**»(٢). وأمَّا عند الخروج: فمن السُّنّةِ أن يقولَ: «**اللّهُمَّ اعْصِمْنِي منَ الشّيْطَان**»(٣). وذلكَ أنّ الشّيطانَ حَرِيصٌ علىٰ المَرْءِ عند دخوله المسجدَ حتّىٰ يُفوِّت عليه حُسنَ العبادة، وعند الخُروج منَ المسجد حتّىٰ يَحرِمَه من أثَرِ العبادة، فيَجُرُّه إلىٰ مكانٍ مُحَرَّم، أو فعل مُحَرَّم، أو تَصرُّفٍ مُحرَّم، كما قالَ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: «**إنّ الشّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأطْرُقِهِ**»(٤). ومن ذلكُم: طريق المسجد دخولًا وخروجًا.

كذلكَ المَنزِل لدخوله آدابٌ، وللخُروج منه آدابٌ، فإذا دخَل بيتَه يُسمِّي ويسلّم؛ فإنّه بركَةٌ عليه وعلىٰ أهل بَيتِه ووقايةٌ من الشّيطانِ، ويتحلّىٰ بالأخلاق الفاضلةِ في تعامُله مع أهله ووَلَدِه في بَيتِه، قال ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُل بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللّهَ عِنْدَ دُخُولهِ وَعِنْدَ طَعَامهِ، قَالَ الشّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ؛ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللّهَ عِنْدَ دُخُولِه، قَالَ: الشّيْطَانُ أدْرَكْتمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أدْرَكْتمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ**»(٥). وقال ﷺ: «**إِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ أهْلكَ فَسَلّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْك وَعَلَىٰ أهْل بَيْتِكَ**»(٦). وإذا خرجَ يُسمِّي: «**بِسْم الله، تَوَكّلْت عَلَىٰ الله، لاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّةَ إلّا بالله**»(٧). ويدعو اللهَ أن يُعيذَه: «**اللّهُمَّ أعُوذُ بِكَ أنْ أضِلّ أوْ أضَلّ، أوْ أزِلّ أوْ أزَلّ، أوْ**

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧١٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٧٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٤).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٩٥٨)، والنسائي (٣١٣٤) عن سَبْرَة بن أبي فاكِهٍ رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٢٩٧٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ وحسَّنه الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (٦٣).

(٧) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤١٩).

أظْلِمَ أوْ أظْلَمَ، أوْ أجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[(١)].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وعند السَّفر**» السَّفر له آدابٌ عديدةٌ، ينبغي علىٰ المُسافِرِ أن يَعرِفَها، وأن يَتحلّىٰ بها، من حيث آدابُ الرُّكوب وآدابُ النّزول، وآدابُ الدّخول للبلد الّذي يَدخُله، وما جاء في الشّريعةِ من دَعَواتٍ مُبارَكاتٍ تتعَلّق بذلك؛ كلّ ذلك يحرصُ المسلمُ علىٰ العنايةِ به.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومع الوالدَيْن**» والوالدان هما أحَق النّاسِ بحُسنِ الأدب، كما جاء في الحديث: أنّ رجلًا سأل النّبيَّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: من أحَق النّاسِ بحُسْنِ صحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «**ثمَّ أُمُّكَ**». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «**ثمَّ أُمُّكَ**». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «**ثمَّ أَبُوكَ**»[(٢)]. وفي الحديثِ الآخر قال: «**بِرَّ أُمَّكَ وَأَباكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»[(٣)]. فهُما أحَق النَّاسِ بالآداب وحُسنِ المُعاملة، ولهذا أوَّلَ بابٍ عقَدَه الإمامُ البُخاري في كتابه: «الأدَب المُفرد»، هو: «باب برِّ الوالدَيْن»، تنبيهًا منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ أنّ الوَالدَيْن هُما أحَق النّاسِ بذلكَ الأدب والإحسان.

ويكفي دلالةً علىٰ عِظَم هذا الحقّ أنّ اللهَ قَرَنَ حقّهما بحقّه في غير مَوضِع من كتابه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ] أي: أحسِنُوا إليهما بجَميع وجوهِ الإحسانِ القوليَّةِ والفعليَّةِ؛ لأنّهما سبَبُ وُجودِ العبد، وبَذَلَا في تربيَتِه والإحسانِ إليه الشّيءَ الكثيرَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والأقاربُ**» كما في الحديث المُتقدّم: «**ثمَّ أدْنَاكَ أدْنَاكَ**». فيَحرصُ المُسلم علىٰ التّعامل معهُم بالآداب الكريمَة، والرِّعاية لحقوقهم، وصِلَتِهم،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦١٦)، وأبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وصحّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٣١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وزاد مسلم: «ثمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

(٣) أخرجه الحاكم (٧٢٤٥) عن أبي رمثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣/ ٣٢٢).

والإحسان إليهم، والبُعد عن الإساءةِ إليهم. ❁

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والجيران**» فمن آداب الشّريعةِ: الأدبُ مع الجار، ورِعايَةُ حقوقه، والبُعد عن إيذائِه، والحرص علىٰ الإحسان إليه بكلّ وجوهِ الإحسان المُستَطاعةِ قوليَّةً أو فعليَّةً؛ فإنّ الوصيَّةَ به في الشّرع عظيمةٌ، قال ﷺ: «**مَا زَالَ يُوصِينِي جبْرِيل بِالجَارِ، حَتّىٰ ظَنَنْت أنّه سَيُوَرِّثه**»(١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والأدب مع الكبار والصِّغار**» كلّ بحَسَبِه، وقد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَيْسَ منّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا**»(٢).

فالكبيرُ: يُعامَل بالتَّوقير والاحترام، وقد قال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: «**إِنّ منْ إِجْلَالِ اللّهِ إِكْرَامَ ذي الشّيْبَةِ المُسْلم**»(٣).

والصَّغيرُ: يُعامَل بالرَّحمة، ومن لا يَرحَمُ لا يُرحَمُ. جاء في «الصَّحيحين» أنّ الأقْرَعَ بنَ حَابِس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان جالسًا عند النّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، فقبَّل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ الحَسَنَ بنَ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال الأقرَعُ: إنّ لي عَشَرَةً منَ الوَلَدِ، مَا قَبَّلْت منْهُمْ أحَدًا، فنظر إليه النّبيُّ ﷺ وقال: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(٤).

وجاء في «الصَّحيحَيْن» أنّ أعرابيًّا أتىٰ النّبيَّ ﷺ وقال: تقبِّلونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ» يعني: نحن لا نقبِّل صبيانَنا، فقال النّبيُّ ﷺ: «**أَوَأَمْلكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللّهُ منْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**»(٥).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والتّهنِئَةُ بالمَولودِ**» بالدّعاء لوالدَيْه؛ أن يجعَلَه قرَّةَ عَيْنٍ، وأن يجعلَه من أئمَّةِ الهُدىٰ، وأن يَجعلَه مُبارَكًا علىٰ أهله وعلىٰ الأمَّةِ، فعن حمَّاد بنِ زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان أيُّوب إذا هنّأ رجلًا بمَولود قال: «جَعَلَهُ اللهُ مُبَارَكًا عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أمَّةِ مُحَمَّدٍ

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه أحمد (٦٦٤٣) عن عبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٤٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣) عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٥) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ﷺ»[(١)]. وهي دعوةٌ عظيمةٌ، يَحسُنُ الدّعاءُ بها عند التّهنئةِ بالمولود، بدَلَ تكلّفِ كلماتٍ قد تكون خاطئةً.

وعن السَّرِيِّ بن يحيىٰ: أنّ رَجُلًا ممَّنْ كان يُجالسُ الحَسَنَ وُلدَ له ابنٌ، فهنّأهُ رجلٌ، فقال: ليَهْنِكَ الفارِسُ. فقال الحسَنُ: وما يُدرِيكَ أنّه فارِسٌ؟! لعلّه نجَّارٌ، لعلّه خيَّاطٌ، قال: فكيفَ أقول؟ قال: قل: «جَعَلَهُ اللهُ مُبَارَكًا عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»[(٢)].

قال ﷺ: «**والتّبريك بالزَّواج**» كما جاء في الحديث، فيقال له: «**بَارَكَ اللّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ**»[(٣)].

قال ﷺ: «**والتّعزية في المصاب**» بأن يُسلّىٰ مَن أصِيبَ بمصيبةٍ في مُصابِه، بأن يقال له: «**لله مَا أخَذَ، وَلَهُ مَا أعْطَىٰ، وَكُلّ عِنْدَهُ بِأجَل مُسَمًّىٰ؛ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»[(٤)]. ونحو ذلك ممَّا وَرَدَ، وكذلكَ ممَّا لم يَرِدْ من الكلمات الّتي فيها مُؤانسَةٌ وتَسليَةٌ، مع الحذَرِ من شيءٍ يكون فيه مخالفةٌ لشرع الله.

قال ﷺ: «**وغير ذلكَ من الآداب الإسلاميَّةِ في اللّبْسِ والخُلْع والانتعال**» مَن استجَدّ له ثوبٌ يَحمَدُ اللهَ - سبحانه وتعالىٰ -: «**اللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أسْألكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**».

ومَن رأىٰ علىٰ أخيه ثوبًا جديدًا يدعُو له بما ورَدَ في الحديث: «**تبْلي، وَيُخْلفُ اللّهُ تَعَالَىٰ**»[(٥)].

وَمن السُّنّةِ: التّيامُنُ في اللّباسِ ونَحوِه، وتَجنّبُ ثيابِ الشّهرَةِ، والحذَرُ من

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٩٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٨).

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (٩٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٨٩٥٧)، وأبو داود (٢١٣٠)، والترمذي (١٠٩١)، وابن ماجه (١٩٠٥) عن أبي هريرة ﵁؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (٦/ ٣٥١).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) عن أسامة بن زيد ﵄.

(٥) أخرجه أحمد (١١٢٤٨)، وأبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧) عن أبي سعيد الخدري ﵁؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٦٤).

الإسبال والخُيلَاءِ: «**كُلوا وتَصَدّقوا والْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ولاَ مَخِيلَةٍ**»[(١)].

وعناية المسلم بهذه الآداب وتحَلّيه بها ـ ممَّا ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ أو لم يَذْكُرْه ـ يُعَدّ من جمال المسلم وكماله، وعنوانُ فلاحه وسَعادَتِه في دُنيَاه وأخرَاه.

ولْيَسْتَعِنِ المُسلمُ في التّحلّي بهذه الآدابِ برَبِّه ـ جلّ في علاه ـ بسؤاله حُسنَها، والاستعاذةِ به من سَيِّئِها، وفي الدّعاء المأثور: «**اللّهُمَّ اهْدِنِي لأحْسَنِ الأخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إِلّا أنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلّا أنْتَ**»[(٢)]. وفي الدّعاء المأثور أيضًا: «**اللّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ منْ مُنْكَرَاتِ الأخْلَاقِ، وَالأعْمَال، وَالأهْوَاءِ**»[(٣)].



(١) أخرجه أحمد (٦٦٩٥)، والنسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩١) عن قطبة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٩٨).

الدرس السابع عشر:
التحذير من الشرك، وأنواع المعاصي

○ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الدّرس السَّابع عشر: التّحذير من الشِّرك وأنواع المعاصي:

الحذَرُ والتّحذير من الشِّرك وأنواع المعاصي، ومنها: السَّبعُ الموبِقَاتِ المُهلكاتِ، وهي: الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النّفسِ الّتي حرَّمَ اللهُ إلّا بالحقّ، وأكل مال اليتيم، وأكل الرِّبا، والتّولّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المُحصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمنات.

ومنها: عقوق الوالدَيْن، وقطيعةُ الرَّحم، وشهادةُ الزُّور، والأيْمَانُ الكاذبةُ، وإيذاءُ الجار، وظلمُ النّاسِ في الدّماءِ والأموال والأعراضِ، وشُربُ المُسكِرِ، ولَعِبُ القِمَارِ وهو المَيْسِر، والغِيبَةُ، والنّميمةُ، وغيرُ ذلك ممَّا نهىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنه أو رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

الشرح:

○ لمَّا أنهىٰ الشّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ في الدّرسَيْن الماضِيَيْن ما يتعلّق بالأخلاق والآداب الإسلاميَّةِ وأهمِّيَّةِ التّحلّي بها، عَقَدَ هذا الدّرْسَ تحذيرًا من الكبائر ونهيًا عنها؛ فالدّرسان الماضيان في التّحليَةِ، وهذا الدّرسُ في التّخليَةِ، والدّينُ تحلٍّ بالفضائل وتخلٍّ عن الرَّذائل، وأعظم الفضائل والحسنات: توحيدُ الله، وأشْنَعُ الرَّذائل والمُوبقات: الشِّركُ به ـ جلّ في علاه ـ.

وكما أنّ المسلمَ مطلوبٌ منه أن يَعرِفَ الفضائلَ والخيراتِ ليتَحلّىٰ بها وليكونَ من أهلها المُتّصِفين بها؛ فإنّه كذلك مطلوبٌ منه معرفةُ المُحرَّمات والمُوبِقات، ليجتَنِبَها وليَحذَرَ من الوقوع فيها، علىٰ حدّ قول مَن قال:

تعلّم الشّرَّ لا للشّرِّ ولكن لتوَقّيه ... فإنّ مَن لم يعرف الشّرَّ منَ النّاس يقَع فيه

وكان حذيفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «كَانَ النّاسُ يَسْأَلونَ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ

أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[١].

وقد قيل قديمًا: «كيف يتّقي مَن لا يَدري ما يَتّقي؟!» أي: كيف يتّقي المُحرَّماتِ ويجتَنِبُ المُنكَرَاتِ، وهو لا يعرفُها، ولا يعرفُ خُطورَتَها، ولا يعرفُ العقوبات الّتي ورَدَتْ في نصوص الشّرع مُحذِّرَةً منها؟! فتأكّد علىٰ المسلم: أن يعرِفَ الكبائرَ من أجْل اجتنابِها واتّقائها.

ولهذا ألّف العلماءُ ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ مُصنّفاتٍ خاصّةً بالكبائر، يُعدّدون الكبائرَ، ويَذكُرون كلّ كبيرةٍ مَقرونَةً بأدلّتِها من الكتاب والسُّنّةِ، ومن أحْسَنِ ما ألّف في هذا الباب: «كتاب الكبائر» للإمام الذّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنّه كتابٌ عظيمٌ في بابه، ونافع جدًّا في التّحذير من الكبائر، وبيانِ خُطورَتِها.

الحاصل؛ أنّ المسلمَ مطلوبٌ منه أن يعرف الكبائرَ والموبقات، وأن يعرفَ خُطورتَها، وأن يَعرِفَ العقوباتِ الشّرعيَّةَ الواردةَ فيها، ليكون حذِرًا منها ومُحذِّرًا لغيرِه، تعاونًا علىٰ البرِّ والتّقوىٰ، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

وقد دلّت النّصوصُ علىٰ أنّ المعاصي والذّنوبَ تنقسم إلىٰ قِسمَيْن: كبائر وصغائر؛ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [سُورَةُ القَمَرِ]، وقال ـ جلّ وعَلا ـ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٣١]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النَّجْم: ٣٢]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحُجُرَات: ٧]؛ وهذه الآية قسّمَتْ فيها المعاصي الّتي كَرَّهَها اللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إلىٰ عبادِه المؤمنين إلىٰ أقسام ثلاثةٍ:

١ـ **كفر**؛ وهو الأمرُ النّاقِل من الملّة.

٢ـ **وفسوق**؛ وهو كبائِرُ الإثم.

٣ـ **وعصيان**؛ وهو ما دون الكبائر.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وفي الدّعاء الوارِد في القرآن: ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فذكر الذّنوبَ والسَّيِّئَاتِ، ويراد بالذّنوب هنا: الكبائر، وبالسَّيِّئَاتِ: الصَّغائر؛ والنّصوص في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

ولا شكّ أنّ معرفةَ المسلم بالكبائر والصَّغائر، وانقسامَ الذّنوبِ إلىٰ كبائر وصغائر، ومعرفتَه أيضًا بخطورة الكبائر، وأنّ الصَّغائر تكفّرُها الطّاعات ولا سيَّما العبادات الكبار، مثل ما قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**الصَّلَوَات الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَىٰ الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[1]. ولهذا قال: ﴿وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ أي: بالحسنات الّتي يُوفّق اللهُ ـ جلّ وعلا ـ العبدَ لها، لكنّ الكبائِرَ لابُدّ فيها من توبةٍ إلىٰ الله ﷻ؛ بترك الذّنبِ، والإقلاع عنه، والعَزْم علىٰ عدم العودة إليه.

والشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ في هذا الدّرس أشار إلىٰ جملةٍ من الكبائر، تنبيهًا بما ذَكر علىٰ ما لم يُذكَرْ، وأنّ ما يَسعُه هذا المُختَصرُ الإشارةَ إلىٰ بعض الكبائر؛ تنبيهًا للمسلم إلىٰ أنّ من الدّروس المُهمَّةِ الّتي يحتاج إليها؛ أن يَعرِفَ كبائرَ الذّنوب والمُوبِقَاتِ حتّىٰ يكونَ منها علىٰ حَذَرٍ.

وقد جرت عادةُ النّاسِ الاهتمام بالأمور الّتي تضُرُّهم في أبدانهم، ويسألون عنها، ويتوقّوْنَها، حتّىٰ إنّ بعضَ النّاسِ في هذا الباب يَشتَدّ به الاهتمامُ، فيترك كثيرًا من الطّيِّباتِ إبقاءً علىٰ بَدَنِه وصِحَّتِه وعافِيَتِه، فتجدُه يحتَمي من عدد من الطّيِّباتِ، لا يَأكُلها ولا يَطعَمُها ولا يَقرَبُها، حفظًا لصحَّتِه وبَدَنِه، لكنّه في الوقت نفسِه لا يحتمي من جملةٍ من كبائر الذّنوب حفظًا لبدنه؛ لأنّ في البُعدِ عن الذّنوب حفظًا للبدن ـ بإذن الله ـ من الدّخول للنّارِ يوم القيامة، فعجبًا لمن يتّقي كثيرًا من الطّيِّباتِ خَوْفَ مضَرَّتِها كيف لا يتّقِي الذُّنوب خوفَ مَعرَّتِها وعقوبَتِها يومَ يلقىٰ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ!!

والمرءُ النّاصحُ لنفسِه يعتني بهذا الباب عنايةً دقيقةً، ويسأل عن الكبائر ويحرصُ علىٰ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

معرفَتِها، ليكون منها علىٰ حذَرٍ، وليكون أيضًا مُحذِّرًا للآخرين منها.

وأنصح كثيرًا في هذا الباب بقراءة «كتاب الكبائر» للإمام الذّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنصَحُ أيضًا أن يُهدَىٰ هذا الكتابُ للأهل والأولاد والأقارب، لا سيَّما والدّعوةُ في زَمانِنا هذا لفِعْل الكبائر كبيرةٌ جدًّا من خلال القنوات ومواقع الإنترنت؛ فإنّ شبابَ المسلمين وشابَّاتِهم يُتخَطّفون في كلّ يوم من خلال هذه المواقع والقَنَوَاتِ، فما أمسَّ حاجَتَهم إلىٰ أن يُعرَّفوا بالكبائر، وأن يَقِفُوا علىٰ خُطورَتِها، ليكونوا منها علىٰ حذَرٍ، وذلك أنّ العِلمَ الشّرعيَّ حصنٌ للمسلم بإذن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وإنّما يُؤتَىٰ كثيرٌ من النّاس بسبب الفراغ والجهل وقلّةِ العلم والبصيرة بدين الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ. ◉

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الحذر والتّحذير...**» أي: في نفسك ولغَيرك «**من الشِّرك وأنواع المعاصي، ومنها: السَّبعُ المُوبِقات المُهلِكَات**» ثمَّ عدّدها رَحِمَهُ اللَّهُ. وقد جاء ذكر هذه السَّبع في حديثٍ واحدٍ في «الصَّحيحَيْن» عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ أنّه قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». قَالوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا هُنّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْل النّفْسِ الّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلّا بِالحَقّ، وَأكْل الرِّبَا، وَأكْل مَال اليَتِيم، وَالتّوَلّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمنَاتِ الغَافِلاَتِ**»[١]. ومعنىٰ: اجتنبوا: أي ابتعدوا عنها، وكونوا في جانبٍ بعيدٍ عن الوقوع فيها، كما قال خليل الرَّحمن ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي: اجعلني في جانِبٍ بعيد عن الأصنام وعبادَتِها.

ولهذا؛ الواجبُ علىٰ المُسلم أن يكونَ بعيدًا عن الكبائر، وبعيدًا عن الأسبابِ المُوصِلَةِ إليها والطّرائِقِ المُفضِيَةِ إليها؛ لأنّ الله ﷻ لمَّا نهىٰ عن الكبائرِ نهىٰ عن قربَانِها وأمَر باجتنابِها، قال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ [النساء: ٣١]، وقال ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وتسمَّىٰ الكبائرُ: «**مُوبقات**» لأنّها مُهلكَةٌ لفاعِلها في دُنياه وأخراه؛ أمَّا في الدّنيا:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فبالعقوبات والعواقب الوخيمةِ الّتي يَجنِيها مُرتَكِبُو الكبائر، وأمَّا في الآخرة: فبالعقوباتِ الشّديدةِ الّتي أعدّها اللهُ لهم يومَ القيامة.

قال: «**السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» هذا فيه اهتمامٌ بالأمر؛ لأنّه لمَّا ذَكَرَها ذكَرَ في أوَّلها أنّها سبعٌ، فلو عَدَدتَّها فيما بعدُ ستًّا تقول لنفسك بقي واحدةٌ، ولو لم يَذكُرْ في أوَّلها أنّها سَبْعٌ ربَّما فاتَكَ بعضُها ولم تَتنَبَّهْ؛ وهذا من فائدة ذكر العَدد في أوَّل الحديث؛ بل في كثيرٍ من الأحاديث؛ لأنّه يُعِينُ علىٰ ضبط العلم وإتقانه.

ثمَّ إنّه ليس هذا حصرًا للكبائر في هذا العدد؛ لأنّه جاءت أحاديث أخرىٰ فيها التّنصيصُ علىٰ أعمال أخرىٰ أنّها من الكبائر؛ مثل حديث النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قالوا: بلَىٰ يا رسولَ اللّه، قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقوق الوَالدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»(١). وعقوق الوالدَيْن وشهادةُ الزُّور ليسَا من هذه السَّبع المذكورةِ في هذا الحديث، وهما من الكبائر بنصِّ حديث رسول الله ﷺ؛ فالكبائر أكثرُ منَ السَّبعِ بكثيرٍ، بل كما جاء عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنّه قال: «هي إلىٰ السَّبعِينَ أقْرَبُ»(٢). وأيضًا ليس هذا حصرًا لها بهذا العدد.

وأهمُّ ما ينبغي أن يُعنَىٰ به في هذا الباب معرفةُ ضابطِ الكبيرة الّذي به تمَيَّزَ عن الصَّغيرة، وهو كلّ عَمَل صُدّر بلَعْنٍ، أو حرمانٍ من دخول الجنّةِ، أو وَعيدٍ بدخول النّار، أو بذكر سخَطِ الرَّبِّ وعقابِه، أو بلعن فاعله، أو نفيِ الإيمانِ عنه، أو قول: ليس منّا؛ فهذه كلّها من العلامات علىٰ أنّ الأمْرَ كبيرةٌ، إضافةً إلىٰ التّنصيصِ علىٰ العمل أنّه من الكبائر.

وأخطرُ الكبائرِ وأشَدّها ضررًا: الشِّركُ بالله، ولهذا قدّمه - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ -؛ فإنّه في باب الأوامر يُقدّمُ أعظَمُها وهو التّوحيد، وفي باب النّواهي يُقدّمُ أخطَرُها وهو الشِّركِ؛ كقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه عبدالرَّزَّاق (١٩٧٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٠).

إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فقدّم الشِّركَ، وقوله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾، ثمَّ ذكر بعدَهُ جملةً من النّواهي، لكنّه قدّم النّهيَ عن الشِّرك، فالشِّركُ هو أعظَمُ المُوبِقات، وهو الذّنبُ الّذي لا يُغفَرُ، وهو أظْلَمُ الظّلم وأشْنَعُ المعاصي، كما قال الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي وصيَّةِ لقمَان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والشِّركُ: هو تسويةُ غَيرِ اللهِ بالله في شيءٍ من حقوقِه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ من دعاءٍ أو ذبح أو نذرٍ أو استغاثةٍ أو غير ذلك من أنواع العبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام]، ولهذا يقول المشركون يومَ القيامة إذا دخلوا النّارَ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء]؛ فمَنْ سوَّىٰ غيرَ الله بالله في شيءٍ من حقوقِ اللهِ كان من المُشرِكين، وكان من أعْظَمِ الظّالمين، وكان مُرتَكِبًا لأكبر الكبائر وأعظَم الظّلم وأشَدّ المُوبِقَات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والسِّحر**» وَهو من الكبائر، بل هو من أكبَرِها؛ لأنّه كفرٌ بالله، والسَّاحرُ لا يكون سَاحرًا إلّا بالكفر والشِّركِ بالله، وطاعةِ الشّياطين، ونبذِ كتابِ اللهِ ربِّ العالمين، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [سورة البقرة]، وهو كفرٌ بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [سورة البقرة]، ولمَّا برَّأ اللهُ نبيَّهُ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من السِّحر برَّأه بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾؛ لأنّ السِّحرَ كفرٌ بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

والسِّحر: عبارةٌ عن عَزائِمَ ورُقًىٰ وعُقَدٍ تؤثّرُ في المسحور في قَلبِه وبَدَنِه وماله؛ فمن السِّحرِ ما يَقتل، ومنه ما يُمرِضُ، ومنه ما يُفرِّق بين المَرْءِ وزَوْجه، والسِّحرُ منه ما

له حقيقةٌ، ومنه ما هو مُجرَّدُ خَيال ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]؛ فالنّوعُ الّذي له حقيقةٌ له تأثيرٌ في المسحور من موتٍ أو مرضٍ أو تفريقٍ بين الزَّوجَيْن أو غيرِ ذلك، كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] أي: السَّواحر. والتّعوُّذُ من شرِّهِنّ دليلٌ علىٰ أنّ أعمالَ السَّواحرِ والسَّحَرَةِ له تأثيرٌ وله مَضرَّةٌ علىٰ المسحور؛ من مَرَضٍ، أو غيرِ ذلك.

والسِّحرُ من أعظَم الشّرورِ وأخْطَرِها، وإذا فشا في مُجتمَع من المُجتمَعاتِ أهلَكَهُ وأضرَّ به أشدّ الضَّرَرِ، ويَكثرُ السَّحَرَةُ في البلدةِ إذا قلّ فيها نورُ التّوحيدِ وضِياؤُه، وقلّ بيانُ التّوحيدِ وإيضاحُه؛ فإذا جَهِلَ النّاسُ التّوحيدَ والعقيدةَ الصَّحيحةَ تَمكّن السَّحَرَةُ من البلد وتكاثروا فيه، وإذا عَلَت رايات التّوحيدِ وظَهَرَتْ مناراته وقَوِيَتِ الدّعوَةِ إليه؛ فإنّ السِّحرَ يَنحَسِرُ بل يتلاشَىٰ بإذن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ؛ ولهذا فما أحْوَجَ النّاسَ إلىٰ التّوحيد؛ بيانًا وإيضاحًا، وتقريرًا واستدلالًا، وتحذيرًا من ضِدّه ونَقيضِه وهو الشِّرك بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقتل النّفسِ الّتي حرَّمَ اللهُ إلّا بالحقّ» قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، وهذا دليلٌ علىٰ أنّ قَتْلَ النّفسِ المعصومةِ كبيرةٌ من كبائر الذّنوبِ وعظيمةٌ من عظائم الآثام.

وقد جاء في السُّنّةِ أحاديث كثيرةٌ جدًّا في التّحذير من هذه الكبيرةِ وبيان خطورَتِها، وأنّ المَرْءَ لا يزال في فُسحَةٍ من دِينِه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا؛ لأنّه إذا أصابَ دمًا حرامًا بأن قَتَلَ شخصًا عمدًا أصبَحَ هذا المقتول خصمًا له يوم القيامة، هناك حقّ لأولياء المقتول، قد يَعفُون عنه بمقابل، أو بدون مُقابِل، وقد لا يَعفُون، لكن هناك حقّ للمقتول، والمقتول ذهَب ولم يبقَ في الدّنيا، وليس ثَمَّ إلّا القصاص يومَ القيامة، ولهذا لا يزال المَرْءُ في فُسحَةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا، فلو سَرَقَ مالًا وأراد أن

يَتوبَ فيستطيع أن يُعِيدَ المالَ إلىٰ أهله، حتّىٰ لو مات صاحبُ المال يعيدُه للوَرَثَةِ، وأيُّ ذَنْبٍ من الذّنوب يستطيع صاحبه بإذن الله أنّه يتخلّص من متعلّقاته، إلّا القَتْل فصاحبُ الحقّ أزهِقَت روحُه علىٰ يد هذا القاتل، ولم يبقَ إلّا القصاصُ يومَ القيامة، وهذا يدُلّ علىٰ خُطورَةِ القَتْل، وأنّ القَتْلَ أعظَمُ الذّنوبِ بعد الشِّرك والكُفرِ بالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، سواءً قَتَلَ المرءُ نفسَه وهو ما يُسمَّىٰ بالانتحار ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، أو قَتَلَه لغيرِه عمدًا بغير حقٍّ؛ فهذان الذّنبان أعظَمُ الذّنوبِ وأكْبَرُ المُوبِقَات بعد الكُفْرِ والشِّركِ بالله ـ جلّ وعلا ـ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكل مال اليتيم» قال اللهُ تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]؛ وهذا فيه أنّ أكلَ مال اليَتِيم من الكبائر المُوجبَةِ لدخول النّارِ يومَ القيامة، والتّنصيصُ هنا علىٰ الأكل؛ لأنّه أعظم وجوه الانتفاع بالمال، وإلّا أيُّ إتلافٍ لمال اليتيم ـ سواءً بالأكل أو أن يشتري به ثيابًا أو يشتري به بيتًا أو يشتري به مركوبًا أو أي استعمال آخر ـ؛ فإنّه يَشمَله هذا الوعيد.

واليتيم فيه ضعفٌ، ولا يدري عن المال وعن قَدْره، فوَليُّ اليَتيم مُؤتَمَنٌ علىٰ هذا المال، وقد يأكل منه ويأخذ، ولا أحد يعلمُ به إلّا ربُّ العالمين ـ جلّ في علاه ـ، فجاءت النّصوصُ بهذا الوعيد والتّحذير، حفظًا لأموال اليتامىٰ حتّىٰ لا يضيِّعها مَن وَليَ أمرَهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكْل الرِّبا» الرِّبَا من عظائم الذّنوب وكبائرِها، وهو أكلٌ لأموال النّاسِ بالباطل، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال عن آكِلِ الرِّبا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وهو من مُوجبَاتِ اللّعنَةِ والسَّخَطِ، كما جاء في الحديث: «لَعَنَ رَسُول اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ»[(١)].

ولا يَسلَمُ النّاسُ من هذه العقوبة بتَغييرِ اسم الرِّبا إلىٰ أرباح، أو فوائد، أو غير

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ذلك من الأسماء، فالعبرةُ بالحقائق وإن غُيِّرتِ الأسماءُ؛ فإنّ المعصيةَ لا تتغيَّر حقيقَتها إذا غُيِّرَ اسمُها، فإذا سُمِّيَ الرِّبا: «فوائد» أو سُمِّيَت الرِّشوةُ «إكراميَّة» أو نحو ذلك فالحقيقة باقيةٌ، ومتعاطي ذلك مُعرَّضٌ لعقوبة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

ويجبُ علىٰ المسلم أن يكون مُحترِزًا في هذا الباب، مُحتاطا حتّىٰ لا يشتبه عليه في هذا الباب عليه أن يَتّقِيَه استبراءً لدينِه وعرضِه، ولا يخاطر بنفسه ويعُرِّضُها للهلاك، كما قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: «**فَمَنِ اتّقَىٰ الشّبُهَاتِ؛ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشّبُهَاتِ؛ وَقَعَ فِي الحَرَام**»(١). ●

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**والتّولّي يوم الزَّحفِ**» أي: مُلاقاة العدوِّ، والله يقول: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]، إذا كان التّولّي من أجل التّحرُّفِ لقتال ـ أي: ينحَرِفُ من جهةٍ إلىٰ جهةٍ أخرىٰ، أو ينحاز إلىٰ جهةٍ يُعاوِنُهم ويُساعِدُهم ـ فلا بَأْسَ، أمّا إذا تولّىٰ فِرَارًا من الزَّحْفِ فهذا من الكبائر العظيمة؛ لأنّ التّولّي يومَ الزَّحفِ أخْطَرُ من عدم حضُور المعركة؛ لأنّ هذا يُضعِفُ من قوَّةِ الجَيْشِ وصُمُودِه أمامَ العدُوِّ، فإذا وَجَدَ المقاتلون أنّ بعضَ الأفراد فرَّ وولّاهُمُ الدّبُرَ فتّ ذلكَ من عَضُدِهم وأضْعَفَ من قوَّتِهم وهِمَّتِهم؛ ولهذا عُدّ في السَّبعِ المُوبِقَات.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وقذف المُحصَنات الغَافلات المُؤمنات**» يُراد بالمُحصَنات: العفيفَات البريئات الحَرائر، سواء كُنّ ثيِّبَاتٍ أو أبكارًا، سواءٌ كنّ مُتزوِّجاتٍ أو غَيْرَ مُتزَوِّجَاتٍ؛ لأنّ المُحصَنَةَ في الشّرعِ تطلَق تارةً ويراد بها العفيفةُ، وتطلَق تارةً ويراد بها المُتزَوِّجةُ الّتي أحصِنَت بالزَّواج، وهنا يراد بها العَفيفَة.

ويراد بالغَافلات: أي: عمَّا رُمينَ به؛ رُمينَ بالفاحشة وهنّ غافلاتٌ بَرِيئَاتٌ بَعِيدَاتٌ عن هذه الأعمال.

ويراد بالمُؤمنات: أي: بالله، والعاملات بطاعته ـ جلّ في علاه ـ؛ فرَمْيُهُنّ بالفاحشة هذا من المُوبِقات العظيمة المهلكة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النّعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها» أي: الكبائر «عقوق الوالدَيْن» والوالدان هما أحق النّاسِ بحُسْن الصُّحبَةِ وجميل الإحسان والوفاء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فالله عَزَّ وَجَلَّ وَصَّىٰ بالوالديْن إحسانًا، وحفْظًا للجميل والصَّنِيع العظيم الّذي قدّماه لولَدِهما، والإحسان إلىٰ الوَالدَيْن من أعْظَم الطَّاعاتِ.

والعقوق من أعظم الذّنوب، وقد جاء قَرينَ الشِّركِ في القرآن والسُّنّةِ، وفي الحديث قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قَالوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللّهِ! قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقوق الوَالدَيْنِ**»(١). فقرنَ عقوق الوالدَيْن بالإشراك بالله؛ ممَّا يدُلّ علىٰ خطورة العقوق.

وعقوق الوالدَيْن مأخوذٌ من العَقّ وهو القَطْعُ؛ لأنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أمر بالإحسان والوفاء والإكرام والقيام بالواجب نحوهما، فمَن لم يَقمْ بهذا الواجب وأساءَ إليهما بالقول، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أو بالفعل ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ كان بذلك عاقًّا لهما، وهو أيضًا من لؤم الإنسان؛ لأنّ الوالدَيْن أعظَمُ مَن قدّم له معروفًا، فكيفَ يقابل هذا المعروفَ وهذا الإحسانَ بالإساءة إليهما؟! فالعقوقَ لا يقعُ إلّا من أشَدّ النّاسِ لؤْمًا، والعياذُ بالله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقطيعةُ الرَّحم» واللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أمَرَ بصِلَةِ الرَّحم، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]، وقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [سورة محمد].

والقطيعة من الذّنوبِ العظيمةِ والموبِقَاتِ المُهلكَةِ، والشّريعةُ جاءت بصلة الأرحام، والوفاء مع القرابة، والعمل علىٰ الإحسان إليهم، وبَلّ هذه الرَّابطةِ ببلَالها؛ صلةً وسلامًا وتهاديًا ومحبّةً وصفاءً، وبُعْدًا عن الإساءة.

---

(١) سبق تخريجه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وشهادةُ الزُّور**» والزُّور: هو الكذِبُ والبُهتان، وقد جاءت شهادةُ الزُّور قرينةً للشِّركِ في القرآن والسُّنّة.

أمّا القرآنُ: ففي قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠].

وأمّا السُّنّة: ففي الحديث المُتقدّم قال: «**ألاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قَالوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللّهِ! قال: «**الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقوق الوَالدَيْنِ، وَجلَسَ وَكَانَ مُتّكِئًا فَقَالَ: ألاَ وَقَوْل الزُّورِ**» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتّىٰ قلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ؛ شفقةً علىٰ النّبيِّ ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ.

وشهادةُ الزُّور جريمةٌ كبرىٰ؛ لأنّها تضيَّعُ بها الحقوق، وتؤكَل بها أموال النّاسِ بالباطل، ورُبَّما تزهَق بها أرواحٌ بريئةٌ، وشاهدُ الزُّورِ ظَالمٌ من جهاتٍ كثيرةٍ:

- ظالمٌ من جهة الكذب؛ لأنّ الزُّورَ قائم علىٰ الكذب والبهتان.
- وظالمٌ في حقّ مَنْ شَهِدَ عليه؛ لأنّه بهذه الشّهادة ضيَّع عليه حقًّا.
- وظالمٌ لمن شهد له؛ لأنّه بهذه الشّهادة أعطاه حقًّا ليس له.
- وظالمٌ أيضا فيما يتعلَّق بالأموال، وقد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ**»[(١)].

فشهادة الزُّور فيها ظلْمٌ من جهاتٍ عديدةٍ، وهي جريمةٌ كبرىٰ، ويتَرتّبُ عليها من الآثار السَّيِّئَةِ والعواقِبِ الوخيمةِ ما لا يَعلَمُ عقباه إلّا اللهُ ﷻ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والأيْمَانُ الكاذبةُ**» أي: الّتي تقتطَع بها الأموال بغير حقٍّ، أو تنفَّق فيها الأموال بغير حقٍّ، وقد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ**»، وذَكر منهم: «**المُنَفِّق سِلْعَتَهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِالحَلفِ الكَاذِبِ»[(١)].

فلا يجوز للمسلم أن يجعل اللهَ يمينَه في تنفيق بضائعه وسِلَعِه، ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، ولا يجوز أن يكون مُتجَرِّئًا في هذا الباب، فكُلّما أراد أن يُنفّقَ سلعةً أو بضاعةً أو غير ذلك حلف، وإذا كان في أيمانِه كاذِبًا فهذه اليمينُ الكاذبةُ خطيرةٌ جدًّا علىٰ صاحبِها، وهي من كبائر الذّنوب ومُوجبَاتِ سَخَطِ الله وعقابه ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإيذاء الجار**» أي: هذا أيضًا من المُوبِقات، والنّبيُّ ﷺ نفىٰ الإيمانَ ـ أي: الواجب ـ عمَّن يُؤذِي جارَه، قال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: «**والله لا يُؤمنُ، وَاللّهِ لا يُؤْمنُ، والله لا يُؤمنُ**». قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**»[(٢)]. أي: أذاه وشرَّه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَظلمُ النّاسِ في الدّماءِ والأموال والأعراضِ**» وقد قال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ في خُطْبَتِه في حجَّةِ الوداع: «**إِنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**». وقال في الحديث الآخر: «**كُلّ المُسْلم عَلَىٰ المُسْلم حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»[(٣)].

وقد كتب رجُلٌ إلىٰ ابنِ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «أنِ اكْتبْ لي بالعِلْم كلّه». كيف يكون الجوابُ علىٰ هذا السُّؤال؟ لو أنّ أحدًا من العلماء جاءته رسالةٌ من أحد السَّائلين أو المُسْتَنْصِحين وقال له: اكتبْ لي بالعلم كلّه، كيف يُجيبُ عليه؟ فكتب إليه ابنُ عمر ـ وانظر جمالَ نُصح الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وكمال فقههم ـ قال: «إنّ العِلمَ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَلقَىٰ اللهَ خَفِيفَ الظّهْرِ مِنْ دِمَاءِ النّاسِ، خَمِيْصَ البَطنِ مِنْ أمْوَالِهِم، كَافّ اللّسَانِ عَنْ أعْرَاضِهِم، لاَزِمًا لأمرِ جَمَاعَتِهِم، فَافعَلْ»[(٤)]. فأشار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أنّ من وُفّقَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦) عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه بن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٧٠).

للسَّلامة من الوقوع في هذه الثّلاثة ـ الدّماء والأعراض والأموال ـ فقد أوتِيَ خَيرًا كثيرًا وفقهًا عظيمًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وشُرْبُ المُسكِر**» خمرًا أو غيرَه من المُخدّرَات والمفَتّرات، وغير ذلك من المُذهِبَاتِ للعُقول.

والخمر أمُّ الخَبَائِثِ ومَجمَعُ الشّرور؛ لأنّ مَنْ يتعاطىٰ الخمرَ ويَشرَبُها تَجلبُ له شرورًا عظيمةً وجناياتٍ مُتنوِّعَةً بسَبَب أنّها تذهِبُ العقلَ، وذاهِبُ العَقل يتصَرَّفُ تَصرُّفاتٍ كثيرةً وهو لا يعي ولا يعقل بسَبَب هذا الّذي تعاطاه وشَرِبَه، وهي من كبائر الذّنوب وعظائم الآثام.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ولعب القِمار، وهو المَيْسِر**» والقِمَار مَبنِيٌّ علىٰ المخاطرة بالأموال، وفي القمار تضيع أموالٌ وتؤكَل أمْوَالٌ بغير حقٍّ؛ فكم من أناسٍ قامروا بأموالهم فذَهب مالهم كلّه في لَحظَةٍ واحدةٍ، وكم من أنَاسٍ حصَّلوا بالقمار أموالًا طائلةً لكن بغير حقٍّ، فمَن حصَّل أموالًا بالقمار فأكله لها أكلٌ بغير حقٍّ.

ومَن ضَيَّع أموالَه بالقِمار فهو مسؤولٌ عن هذا التّضييع الّذي حرَّمه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ عليه، وهو من أكل الأموال بالباطل، وقد جاءت الشّريعةُ بتَحرِيمه والتّحذِيرِ منه، وبيان أنّه من عَمَل الشّيطان، ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والغِيبَةُ**» والغيبةُ عرَّفها النّبيُّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في الحديث بقوله: «**ذِكْرُكَ أخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»(١). وقد قَال الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ في القرآن: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ فشبَّه غِيبَةَ الشَّخصِ بأكل لَحمه مَيِّتًا، تِبيانًا لشناعةِ الغِيبةِ وعِظَم خُطورَتها، وأنّها من الأذىٰ للمؤمنين، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فيجب علىٰ المسلم أن يَحذَرَ من أذىٰ إخوانه المسلمين بأيِّ نَوع من الأذىٰ، بالغِيبَةِ أو غيرِها.

وقد جاء في كتاب «الأدب المفرد»(١) للإمام البخاري بسندٍ صحيح عن عائشة ﵂ أنه قِيلَ للنّبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله! إنّ فلانةً تقوم اللّيْلَ، وتصومُ النّهارَ، وتفعل، وتصَّدّق، وتؤذِي جيرَانَها بلسَانِها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النّارِ**». وقيل له: وفُلَانَةٌ تصَلّي المَكْتوبَةَ، وَتَصَّدّق بِأَثْوَارٍ، وَلَا تؤْذِي أَحَدًا؟ فقال رسول اللّه ﷺ: «**هِيَ مِنْ أَهْلِ الجَنّة**». فإيذاء النّاس باللّسان ـ غيبةً ونميمةً وسخريةً واستهزاءً ـ هذا من المُوبقات والمُهلكات العَظيمة.

قال: «**والنّميمة**» وهي: «**القَالَةُ بَيْنَ النّاسِ**»(٢) بنقل الكلام من شخصٍ إلىٰ آخر علىٰ وجه الإفساد بينهما. والنَّمّام من المُفسِدِين في الأرض، بل قال بعضُ السَّلَفِ ـ وهو يحيىٰ بنُ أبي كثير اليمامي ﵀ ـ: «يُفسِدُ النَّمَّامُ في ساعةٍ ما لا يُفسِدُه السَّاحرُ في شَهر»(٣). والنميمة من أخطر ما يكونُ في المُجتمَعات إيقاعًا للفَساد، ونشرًا للعَداوات، وإيجادًا للبُغضة بين المُتَحَابِّين، ولذا جاءت الشّريعة بتحريمها، بل قال النّبيُّ ﷺ: «**لَا يَدْخُل الجَنّة قَتّاتٌ**»(٤). والقَتّات: هو النَّمَّامُ.

قال ﵀: «**وغير ذلكَ ممَّا نهىٰ اللهُ عنه أو رسوله ﷺ**» وهذا فيه التّنبيهُ إلىٰ أنّ ما ذكره ﵀ ليسَ علىٰ وجهِ الحصر، وإنّما هو إشارةٌ مُختَصَرةٌ تنبيهًا علىٰ جملةٍ مِنَ الكَبائر، وأنّ الواجبَ علىٰ المُسلم أن يكونَ علىٰ معرفةٍ بها وبخطورتها، ليَحذَرَ هو في نفسِه منها، وليُحذِّرَ منها الآخَرِين؛ من أهْل ووَلَدٍ وجيرَانٍ وأصدقاء وغيرِهم. ⁕



(١) برقم (١١٩)، وأخرجه الحاكم (٧٣٠٤)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٥٧٦٤)؛ وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (١٩٠). وقوله: «وتصدق بأثوار»: الأثوار: جمع ثور، وهي قطعة من الأقط، وهو لبنٌ جامدٌ مستَحْجَر. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٦) عن عبد الله بن مسعود ﵁.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) عن حذيفة بن اليمان ﵁.

الدرس الثامن عشر:
تجهيز الميت، والصلاة عليه، ودفنه

○ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدّرس الثّامن عشر: تجهيز الميِّت والصَّلاة عليه ودفنه:

وإليك تفصيل ذلك.

أوَّلًا: يُشرَعُ تلقين المحتَضر: «لا إله إلّا اللهُ»، لقول النّبي ﷺ: «لَقّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ». رواه مسلم في «صحيحه». والمراد بالموتىٰ في هذا الحديث: المُحتَضَرُون، وهم: مَنْ ظَهَرَتْ عليهم أمارات الموت.

ثانيًا: إذا تيُقّنَ موته؛ أغمضَتْ عيناه، وشُدّ لحْيَاه؛ لورود السُّنّة بذلك.

ثالثًا: يجبُ غسل الميِّتِ المُسلم، إلّا أن يكونَ شهيدًا مَات في المَعركَة، فإنّه لَا يُغسَّل، وَلا يُصلّىٰ عَليه، بَل يُدفَن في ثيابه؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ لَم يُغَسِّلْ قَتْلَىٰ أحُدٍ، وَلَم يُصَلّ عَليهمْ».

الشرح:

○ هذا هو الدّرسُ الأخير من هذه الرِّسالة النّافعة، وقد خصَّصه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأحكام المُتعَلّقَةِ بالميِّتِ تجهيزًا وصلاةً عليه ودفنًا له؛ ولا شكّ أنّ هذه مسائل مُهمَّةٌ، جَديرٌ بالمسلم أن يَتعلّمَها وأن يَعِيَها وأن يَعرِفَها، والموت أمرٌ واقع لكلّ إنسانٍ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والميِّت له أحكامٌ جاءت الشّريعة ببيانها، فيها عنايةٌ بالميِّت تجهيزًا وتغسيلًا وتكفينًا وصلاةً ودعاءً ودفنًا؛ وهي أحكامٌ عظيمةٌ، تتجلّىٰ فيها ما للميِّتِ من حقٍّ عظيم علىٰ أهله وذويه، وعلىٰ عموم النّاس دعاءً وصلاةً.

وإذا جُهلَتِ هذه الأحكامُ ربّما عومل الميِّت معاملةً خاطئةً مُخالفَةً لشرع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، سواءً من حيث التّغسيل والتّكفين، أو من حيث الصَّلاةُ والدّفن،

أو من حيث الدّعاء الّذي يُدعىٰ به للميِّت؛ فإنّ مَنْ يَجهَل ما جاءت به شريعة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ربَّما وقع في أمورٍ مخالفةٍ للشّرع وأمور لا أصل لها.

حدّثني أحدُ الأشخاص قال: مرَّةً ـ وكنّا نجهل هذا الأمر ـ جئنا بالجنازة، وصلّيْنَا عليها ركعتَيْن بركوع وسجود. فمَنْ لا يَعرِفُ الأحكامَ؛ يقع منه مثل هذا، وربَّما أشدّ من ذلك، وكم يُمارَسُ عند الدّفن من بدع لا تنفَع الميِّت، وتضرُّ الأحياء؛ بسَبَب الجهل بالدّين.

ولهذا ينبغي علىٰ المسلم أن يعتنيَ بهذه المسائل، وأن يَضبِطَها حتّىٰ يكون التّعامل منه مع الميِّت وَفْقَ شرع الله ﷻ، ووفقَ ما جاء عن رسول الله ـ صلوات الله وسلامُه وبركاته عليه ـ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أوَّلًا: يُشرَعُ تلقينُ المُحتضَر «لا إله إلّا اللهُ» لقول النّبيِّ ﷺ: «لَقّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ». رواه مسلم في «صحيحه». والمُراد بالموتىٰ في هذا الحديث: المُحتَضَرون، وهُم مَن ظهرت عليهم أمارات الموتِ»** لأنّه صحَّ عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ أنّه قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ دَخَلَ الجَنّةَ**». فيُشرَعُ أن يُلقّنَ الميِّت هذه الكلمةَ العظيمةَ، لتكون آخرَ كلامه من الدُّنيا، ولذا قال النّبيُّ ﷺ: «**لَقّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ**»(١). ويراد بالموتىٰ: من قارب الوفاةَ، ودنا منها، وظهرت عليه أمارات الموت وعلاماته، وليس من مات فعلًا، فمن السُّنّة أن يُسارِعَ بتَلقِينِه: «لا إله إلّا اللهُ» برِفْقٍ وأسلوبٍ لطيفٍ، حتّىٰ لا يُتسبَّبَ في إيقاعِ شيءٍ من الضَّجَرِ، ولاسيَّما أنّه في شدّةٍ وكَرْبٍ، وإذا قالها لا يُكرِّرُ عليه بل يُترَكُ، ثمَّ إن جرىٰ منه حديثٌ آخر؛ فإنّه من بعد ذلك يُلَقّن، لكن يُترفّق به غايةَ التّرفّق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ثانيًا: إذا تيُقّنَ موته أغمضَت عيناه وشُدّ لحْيَاه؛ لورود السُّنّة بذلك»**

أي: إذا تحقّق مَن عنده أنّه مات فعلًا بظهور علامات الموتِ عليه أو ـ مثلًا ـ بتقرير الطّبيب أو نحوِ ذلك؛ فإنّه يُشرَعُ حينئذٍ أن تغمَضَ عيناه؛ لأنّه إذا نُزِعَتْ منه الرُّوح

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٦) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تَبِعَها البَصَرُ فيَشْخَصُ بصرُه، فمن السُّنّةِ عندئذٍ أن تغمَضَ عيناه، ففي «صحيح مسلم»[(١)] عن أمِّ سَلَمَة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَ رَسُول الله ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ».

قوله: «وشُدّ لحْيَاه» واللّحْيَان: هُما العَظْمَان اللّذان هما مَنبَت الأسنان فيُشَدّان بقماشٍ؛ لأنّه إذا لم يَربِطْهما فرُبَّما يَنفَتِحُ الفَم، فإذا شَدّهما وبَرَدَ الميِّت بَقِيَ مَشْدُودًا، ومنَ الحكمة في ذلك: أن لا يدخُل الماءُ إلىٰ فيه وقتَ غَسله أو الهوامُّ بعد دفنه، وهو وإن لم يرِدْ به نصٌّ مُعيَّنٌ إلّا أنّه داخلٌ في الأصول العامَّة.

قال رحمه الله: «ثالثًا: يجبُ غسل الميِّتِ المُسلم» أي: أنّ غَسلَه من الواجبات، وهو من حقوق الميِّت الّتي يجب أن تفعَل، وتأتي صفة هذا الغسل.

«إلّا أن يكون شهيدًا مات في المعركة» لأنّ هناك شهداءَ جاء في الشّرع إطلاق الشّهادةِ عليهم، لكنّهم في غير المعركة، مثل: «**المَبطونُ شهيدٌ، والغَريق شهيدٌ**» فهؤلاء شهداء في ثواب الآخرة، لكن في أحكام الدّنيا يُعامَلون معاملةَ غيرِهم؛ فيُغسَّلون، ويُكفّنون، ويُصلّىٰ عليهم.

وأمَّا شهيد المعركة؛ «فإنّه لا يُغسَّل ولا يُصلّىٰ عليه، بل يُدفَنُ في ثيابه؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ لم يُغسِّلْ قَتْلَىٰ أحُدٍ ولم يُصَلّ عليهم» كما في حديثِ جابر رضي الله عنه قال: «لمَّا كان يومُ أُحُدٍ أَشْرَفَ النّبيُّ ﷺ علىٰ الشّهداءِ الّذين قتِلوا يومئِذٍ، فقال: «**زَمِّلوهُمْ بِدِمَائِهِمْ**»[(٢)]. والحكمةُ من تَركِهم بدمائهم من غيرِ تغسيل تُعلَمُ من قوله ﷺ في الحديث الآخر: «**مَا مِنْ مَجْرُوح جُرِحَ فِي اللهِ، إِلّا بَعَثَهُ اللّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَىٰ، اللّوْنُ لَوْنُ الدّم وَالرِّيحُ رِيحُ المسْكِ**»[(٣)]. إبقاءً لأثَرِ هذه الطّاعةِ العظيمةِ، طاعةِ الجهاد في سبيل الله إعلاءً لكلمته عز وجل. ۞



(١) برقم (٩٢٠).
(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦٦٠)؛ وصحّحه الألباني في «الإرواء» (٧١٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«رَابِعًا: صفة غسل الميِّت:

أَنْ تستَرَ عورَته، ثمَّ يُرفَعُ قليلًا ويُعصَر بطنُه عصرًا رفيقًا، ثمَّ يَلفّ الغاسِل علىٰ يده خِرقَةً أو نحوَها فيُنجِّيه بها، ثمَّ يُوضِّئُه وضوءَ الصَّلاة، ثمَّ يغسِل رأسَه ولحيَتَه بماءٍ وسِدْرٍ أو نحوه، ثمَّ يغسِّل شقهُ الأيمن ثمَّ الأيسَر، ثمَّ يغسِّله كذلك مرَّةً ثانيةً وثالثةً، يُمرُّ في كلّ مرَّةٍ يدَه علىٰ بطنِه، فإن خرجَ منه شيءٌ غَسَلَه، وسَدّ المحَلّ بقطنٍ أو نَحوِه، فإن لم يَسْتَمْسِكْ فبطِينٍ حر، أو بوسائل الطّبِّ الحديثة كاللّزق ونحوه.

ويُعيدُ وضوءَه، وإن لم يُنَقّ بثلاثٍ زيد إلىٰ خمسٍ أو إلىٰ سبع، ثمَّ يُنشِّفُه بثوبٍ، ويَجعَل الطّيبَ في مَغابِنِه ومَواضِعِ سُجودِه، وإن طيَّبَه كلّه كان حسنًا، ويجَمِّرُ أكفانَه بالبخور، وإن كان شاربُه أو أظفارُه طويلةً أخذَ منها، وإن ترك ذلك فلا حرجَ، ولا يُسرِّحُ شعرَه، ولا يَحلق عانتَه، ولا يَختِنُه؛ لعدم الدّليل علىٰ ذلك، والمرأة يُظفَرُ شَعرُها ثلاثَ قرون ويُسدَل من ورائِها».

الشرح:

○ ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ هنا «صفة غسل الميِّت» في ضوء ما وردت به السُّنّةُ عن رسول الله ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ.

فذكر أنّ أوّلَ ما يُبدَأ به: «أن تستَر عَورَته» عندما يُجرَّدُ من ملابِسِه الّتي كانت عليه تستَرُ عَورَته بأن توضَعَ قطعةٌ من القماش تكون ساترًا لعورة الميِّت، فالنّظر للعورة مُحرَّمٌ سواءً كانت عورَةَ حيٍّ أو ميِّتٍ، وقد جاء في «السُّنن» لأبي داود وغيرِه أنّ النّبيَّ ﷺ قال لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلاَ تَنْظُرَنّ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ وَلاَ مَيِّتٍ»[1]. وإذا كان لا يُنظَرُ لفَخِذِ

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤٠)، وضعَّفه الألباني في «الإرواء» (٦٩٨)، وقال: «وهي وإن كانت أسانيدها كلها لا تخلو من ضعف ...؛ فإن بعضها يقوّي بعضًا؛ لأنّه ليس فيها متّهمٌ، بل عللها تدور بين الاضطراب والجهالة والضّعف المحتَمل، فمثلها ممَّا يطمئنّ القَلبُ لصحَّة الحَديث المَرويِّ بها، لا سيمَا وقَد صحَّح بعضَها الحاكمُ، ووافقه الذَّهبيُّ، وحسَّن بعضَها التّرمذيُّ، وعلّقها البُخاري في «صحيحه»».

الحيِّ ولا فخِذِ الميِّتِ فكيفَ بالعَورة المُغلَّظَةِ القبُل والدّبُرِ؟! ولهذَا يجبُ أن يُبدَأَ بسَتْرِ العَورة، من السُّرَّةِ إلىٰ الرُّكبَةِ، ويُجرَّدُ منَ الملابس وعليه هذا الغطاء السَّاتِر لعورَتِه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثمَّ يُرفَعُ قليلًا» يعني: من جهة الظّهر والرَّأس، «ويُعصَرُ بطنُه عصرًا رفيقًا» بأن يضع الغاسِل ساعِدَه علىٰ أعلىٰ البطن، ويضغط ضغطا يسيرًا علىٰ البطن إلىٰ أسفل البطن، وقد أنْهَضَه قليلًا من أجل إذا كان ثمَّةَ شيءٌ مُتهيِّئٌ للخروج يَخرُج، ويكون ذلك برفقٍ؛ لأنّ الميِّتَ له حرمةٌ مثل الحيِّ، لا يُقال: هذا ميِّتٌ، ويعامل بقوَّةٍ وشدّةٍ، بل يُرفَعُ بِرفْقٍ ويُعصَرُ بِرفْقٍ احترامًا للميِّتِ، مثلَما أنّه مُحترَمٌ وهو حيٌّ.

«ثمَّ يَلفّ الغاسِل علىٰ يدِه خِرقَةً أو نحوَها» وقد تيسَّر في هذا الزَّمان قفّازاتٌ لليدَيْن من القماش ونحوِه، سميكةٌ يمكن أن تستَعْمَلَ في هذا الغَرَضِ، «فيُنجِّيه بها» يُنجِّيه من الاستنجاء يعني يُنظِّفُه، والغرض من هذا القماش الّذي تلَفّ به اليدُ حتّىٰ لا يباشر بيده لمسَ عورةِ الميِّت، فالعورة لا يُنظَرُ إليها، ولا تمَسُّ باليد مسًّا مباشِرًا.

«ثمَّ يُوضِّئُه وضوءَ الصَّلاةِ» جاء في حديث أمِّ عطِيَّةَ أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «ابْدَأنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ منْهَا»[1]. فأوَّل ما يُبدَأ به يُوضَّأ وضوءه للصَّلاة. قال العُلماء: عدا المضمضَة والاستنشاق؛ لأنّه إذا وضَعَ الماءَ في فمه أو أنفِه دخل إلىٰ جوفِه.

«ثمَّ يَغسِل رأسَه ولحيَتَه بماءٍ وسِدر ونحوِ ذلك» وقد جاء في «الصَّحيحَيْن» في قصَّةِ المُحرِم الّذي وَقَصَتْه نَاقته؛ فماتَ، أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «اغْسِلوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ»[2].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثمَّ يُغسَّل شقه الأيمن، ثمَّ الأيْسَرُ» وقد تقدّمَ حديث: «ابْدَأنَ بِمَيَامِنِهَا».

«ثمَّ يَغسِله كذلك مرَّةً ثانيةً وثالثةً» وَإن احتاج إلىٰ خامسةٍ وسابعةٍ فعل، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩) عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

احتاج إلىٰ زيادةٍ فيزيد، لكن ينتهي بوِتْرٍ؛ سبعًا، تسعًا، وهكذا، للحديث: «**اغْسِلْنَهَا ثَلاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلكَ إِنْ رَأَيْتنّ ذَلكَ**»[(١)].

«يُمرُّ في كلّ مرَّةٍ يدَه علىٰ بطنِه، فإذا خرج منه شيءٌ غَسَلَه» علىٰ النّحو الّذي تَقدّم قريبًا.

«وسدّ المَحلّ بقطنٍ أو نحوِه» والغَرض من هذا القطن الّذي يُوضَعُ في الدّبُر حتّىٰ لا يَخرُجَ شيءٌ بعدَ ذلك.

«فَإِنْ لَمْ يَسْتَمْسِكْ» يعني: مع وجود القطن **«فبطِينٍ حُرٍّ»** أي: خالص، وهو الّذي ليس معه أشياء مُمتَزجةٌ به من ترابٍ أو نحوِه، والطِّينُ الحرُّ يكون مُتماسِكًا غايةَ التّماسُكِ.

«أو بوسائل الطّبِّ الحديثة؛ كاللّزق، ونحوه» حيث تيسَّرَتْ أمورٌ ما كانت مُتيسِّرَةً في الزّمنِ الأوَّل، فلا بأس من وضع أنواع من اللّزق تكونُ جيِّدَةً في منع هذا الخارج، فتقوم مقامَ القطنِ أو الطّين الحرِّ.

«ويُعِيدُ وضوءَه، وإن لم يُنقّ بثلاثٍ زيد إلىٰ خمسٍ أو إلىٰ سبع» أي: بحسب الحاجة.

«ثمَّ يُنشِّفُه بثوبٍ، ويجعل الطّيبَ في مَغابِنِه» المغابن مثل الإبط ونحوِه، خاصَّة الّتي يَكثُرُ فيها العرَق والرَّائحةُ، فيَضَعُ الطّيبَ في مغابِنِه، **«ومواضع سجوده»** مثل: الجبهة والأنف والكفّيْن؛ وهذا فيه شرفُ مواضع السُّجود وعظيم مكانتها.

«وإن طيَّبه كلّه كان حسنًا» إذا كان في الطّيبِ وفرَةٌ، وأراد أن يُطيِّبَ البدَنَ كلّه كان حسنًا، فإنّ مثلَ ذلك جاء فعله مع بعض الصَّحابة، مثل: أنس وابن عُمَر رضي الله عنهم.

«ويُجمَّرُ أكفانَه» أي: ما يُكفّنُ به **«بالبخور»** أي: بدُخان البخور ورائِحَتِه الطّيِّبَةِ، لتَطِيبَ رائحةُ الكَفَنِ، والسُّنّة أن يكون ذلك وِتْرًا، فقد جاء في الحديث عن نبيِّنا ـ عليه

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩) عن أم عطية رضي الله عنها، وقد سبق قريبا.

الصَّلاة والسَّلام ـ: «إِذَا جَمَّرْتمُ المَيِّتَ فَأَوْتِرُوا»[(١)].

«وإن كان شارِبُه أو أظفاره طويلةً أخذ منها، وإن ترك ذلك فلا حرج» لأنّ الأصلَ أن يُحافَظَ علىٰ كامل جسدِه.

«ولا يُسرِّحُ شعرَه ولا يَحلق عانتَه ولا يَختِنُه؛ لعدم الدّليل علىٰ ذلك» وخشيةَ تَساقطِه، فيَتسبَّبُ في زوال شيءٍ من بدنِه.

«والمرأةُ يُظْفَرُ شعرُها ثلاثةَ قرون ويُسدَل من ورائِها» وهذا جاء في حديث أمِّ عَطيَّةَ، قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَمَشَطْنَاهَا ثَلَاثَةَ قرُونٍ»[(٢)]. وتسدَل هذه القرون من ورائها.



○ قال رَحِمَهُ اللهُ:

«خامسًا: تكفين الميِّت:

الأفضل أن يُكفَّنَ الرَّجُل في ثلاثة أثواب بِيضٍ ليس فيها قَميصٌ ولا عِمامةٌ، كما فُعِلَ بالنّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُدرَجُ فيها إدراجًا، وإن كُفّن في قميص وإزار ولفافة فلا بأس.

والمرأةُ تكفَّنُ في خمسَة أثواب: في دِرْع، وخمارٍ، وإزارٍ، ولفافتَيْن.

والواجبُ في حقّ الجَميع؛ ثوبٌ واحدٌ يَسترُ جميعَ الميِّت، لكن إذا كان الميِّت مُحرِمًا؛ فإنّه يُغسَّل بماءٍ وسِدرٍ، ويُكفّنُ في إزارِه ورِدائِه أو في غيرِهما، ولا يُغطّىٰ رأسُه ولا وَجهُه ولا يُطيَّبُ؛ لأنّه يُبعَث يومَ القيامة مُلبِّيًا كما صحَّ بذلك الحديث عن رسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كانَ المُحرِمُ امرأةً كُفِّنَتْ كغيَرِها ولكن لا تطيَّبُ ولا يُغطّىٰ وَجهُها بنِقَابٍ ولا يداها بقفّازَيْن، ولكن يُغطّىٰ وَجهُها ويداها بالكَفَنِ الّذي كُفِّنَتْ فيه، كما تقدّمَ بيانُ صِفَةِ تَكفِينِ المَرْأةِ، ويُكفّن الصَّبيُّ في ثَوبٍ واحدٍ إلىٰ ثلاثةِ أثواب، وتكفّنُ الصَّغيرَةُ في قميصٍ ولفافتَيْن».

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٣١)، والحاكم (١٣١٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨١).

(٢) سبق تخريجه.

الشرح:

○ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**خامسًا: تكفين الميِّت**» وهذه المرحلة الّتي تَلي التّغسيلَ، فبعد أن يُغسَّلَ علىٰ الوَصْفِ الّذي تَقدّم يُكفّن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأفضل أن يُكفّن الرَّجل في ثلاثة أثواب بِيضٍ ليس فيها قميص ولا عمامة، كما فُعل بالنّبيِّ ﷺ**» والمراد بأثوابٍ قِطَعٌ من القماش طويلةٌ، تَكفِي كلّ واحدةٍ منها أن يُلَفّ بها المَيِّت، وقد جاء في حديث أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها قالت: «كُفّنَ رَسُول الله ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُوليَّةٍ، مِنْ كُرْسُفٍ» - أي من قطن - «لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ»[1].

«**يُدرَجُ فيها إدراجًا**» أي: يُوضَعُ الميِّت علىٰ الثّوب الأوَّل، ثمَّ يُلفّ به كاملًا، ثمَّ الثّاني يكون من تحته، وهكذا.

«**وإن كُفّن في قميصٍ وإزارٍ ولفافَة فلا بأس**» وإن كُفّنَ في لفافة واحدةٍ فقط فلا بأس؛ لأنّه يَحصُل المقصودُ وهو ستر الميِّت.

«**والمرأة تكفّنُ في خمسةِ أثوابٍ؛ في دِرْع، وخمارٍ، وإزار، ولفافتين**» وهذا زائدٌ علىٰ تَكفِينِ الرَّجُل؛ لأنّ فيه مُبالغَةً في سَترِ المرأة والعنايةِ بسَتْرِها، وهي تزيدُ في حياتِها علىٰ الرَّجُل في السَّترِ لزيادة عَورَتِها علىٰ عَوْرَتِه فكذلك تكون حالها في الموت، يبدأ تكفينُها بالإزار علىٰ العورة وما حولها، ثمَّ الدّرعُ علىٰ الجَسَدِ، ثمَّ الخِمَارُ علىٰ الرَّأس وما حولَه، ثمَّ تلَفّ باللّفَافتَيْن علىٰ النّحو المذكور بالنِّسبة للرَّجُل، «هذا هو الأفضل كما ذكره أهل العلم، وجاء في ذلك أحاديث تدُلّ عليه، وإن كُفِنَتْ في أقلّ من ذلك فلا بأس»[2].

وقد ورد في ذلك حديث ليلىٰ بنت قَانِف الثّقفِيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كُنت فيمَنْ غَسَّلَ أمَّ كُلْثوم بِنْتَ رَسُول اللّهِ ﷺ عِنْدَ وَفَاتِها، فَكَانَ أَوَّل مَا أعْطَانَا رَسُول اللّهِ ﷺ الحقَاءَ، ثمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٣)، ومسلم (٩٤١).

(٢) «مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن باز» (١٣/ ١٢٧).

الدِّرْعَ، ثمَّ الخِمَارَ، ثمَّ الملْحَفَةَ، ثمَّ أُدْرِجَتْ بَعْدُ في الثَّوْبِ الآخِرِ». قَالَتْ: «وَرَسُول اللَّهِ ﷺ جَالسٌ عِنْدَ البَابِ مَعَهُ كَفَنُهَا يُنَاوِلنَاهَا ثَوْبًا ثَوْبًا»(١).

قال ابنُ المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَكْثَرُ من نَحفَظ عنه من أهل العلم يرىٰ أنْ تكفَّنَ المرأةُ في خَمسَةِ أثواب»(٢).

ومن أهل العلم مَنْ ذَهَبَ إلىٰ أنَّ عدَدَ أكفَانِ النِّساءِ ثلاث لفَائِفَ بيض كما جاء في حقّ الرِّجال؛ لأنّ الأصلَ هو التّساوي بين الرِّجال والنِّساء في الأحكام؛ ولأنّ في إسناد الحديث المرويِّ في هذا الباب مقالًا.

«**والواجب في حقّ الجميعِ: ثَوبٌ واحدٌ يَسترُ جميعَ الميِّتِ**» الأكْمَل والأتَمُّ ـ كما تقدّمَ ـ أن يُكفّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ، كما فُعِلَ بالرَّسُول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، فإن لم يَتيَسَّرْ حصَلَ المقصودُ بثوبٍ واحدٍ يَستر جميعَ الميِّت.

«**لكن إذا كان الميِّت مُحرِمًا؛ فإنّه يُغسَّل بماء وسدر، ويُكفّنُ في إزاره وردائه أو في غيرِهما، ولا يُغطّىٰ رَأسُه ولا وَجهُه**» لنَهي النّبيِّ ﷺ، كما في شأن الرَّجُل الّذي وَقَصَتْه ناقَته، قال: «**اغْسِلوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تمسُّوهُ طِيبًا، وَلاَ تخَمِّرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**» مُتّفقٌ عليه(٣)، وفي روايةٍ لمسلم: «**وَلاَ وَجْهَهُ**»(٤).

«**وَلا يُطيَّب**» كما تقدّم في الحديث: «**ولَا تمسُّوهُ طِيبًا**»(٥).

«**لأنّه يُبعَث يومَ القيامة مُلبِّيًا، كما صَحَّ بذلكَ الحَديث عن رسُول الله ﷺ**» أي: يُبعَث علىٰ هَيْئَتِه الَّتي مات عليها ومعه علامةٌ لحَجِّه، وهي دلالةُ الفضيلةِ كما تقدّم في

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧١٣٥)، وأبو داود (٣١٥٧). وفي إسناده: نوح بن حكيم، وهو مجهول، وله شاهد رواه الجوزقي عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «فكفناها في خمسَة أثوابٍ، وخمَّرناها كمَا يُخَمَّر الحَيُّ». قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الزيادة صحيحة الإسناد». «فتح الباري» (٣/ ١٥٩).

(٢) نقله ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٣٥٠)، وانظر: «الأوسط» لابن المنذر (٥/ ٣٥٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) برقم (١٢٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (١٢٦٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مجيءِ الشّهيدِ يومَ القيامة وأوداجُه تَشْخَبُ دمًا.

«وإن كان المُحرِمُ امرأةً كُفِّنَتْ كغيرِها من النِّساء كما تقدّم، لكن لا تطيَّب» لأنّ الطّيبَ من المَحظورَاتِ.

«ولا يُغطّىٰ وَجهُهَا بنِقَابٍ ولا يَدَاها بقفّازَيْن ولكن يُغطّىٰ وَجهُها ويداها بالكَفَنِ الّذي كُفّنَتْ فيه كما تقدّمَ بيانُ صِفَةِ تكفينِ المرأةِ» لأنّ المُحرِمَةَ لا تَنتَقِبُ، ولا تَلبِسُ القفّازَيْنِ.

«ويُكفّنُ الصَّبيُّ في ثوبٍ واحدٍ إلىٰ ثلاثةِ أثوابٍ، وتكفّنُ الصَّغيرةُ في قَميصٍ ولفَافتَيْن» لعدم احتياجها إلىٰ الخمار في حياتها، فكذا بعد موتها. ❁



○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«سادِسًا: أحق النّاسِ بغَسله والصَّلاةِ عليه ودفنِه: وَصِيُّه في ذلك، ثمَّ الأب، ثمَّ الجدّ، ثمَّ الأقْرَبُ فالأقْرَبُ من العَصَبَاتِ في حقّ الرَّجُل.

والأوْلىٰ بغَسْل المرأةِ: وصيَّتها، ثمَّ الأمُّ، ثمَّ الجدّةُ، ثمَّ الأقربُ فالأقرب من نسائِها.

وللزَّوجَيْن أن يُغسِّلَ أحدُهُمَا الآخَرَ؛ لأنّ الصِّدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غسَّلَتْه زَوجَته، ولأنّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غسَّلَ زَوْجَتَه فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا».

الشرح:

○ ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألةِ السَّادسةِ: مَنِ الّذِي يتولّىٰ تَغسيلَ الميِّت؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحق النّاس بغسله والصَّلاةِ عليه ودفنه وَصِيُّه في ذلك» لأنّه حقّ للميِّت فقدّمَ وصيُّه فيه علىٰ غيره.

«ثمَّ الأب، ثمَّ الجدّ، ثمَّ الأقرب فالأقرب من العَصَبات في حقّ الرَّجل» أي: بعد الأب والجدّ الأبناءُ وإن نزلوا، ثمَّ الإخوةُ وإن نزلوا، ثمَّ الأعمام وإن نزلوا.

«والأولىٰ بغَسل المرأة: وصيَّتها، ثمَّ الأمُّ، ثمَّ الجدّةُ، ثمَّ الأقرَبُ فالأقرَبُ من

نسائِها» الأوْلىٰ وصيَّتها، فإن لم يكن؛ فالأمُّ وإن عَلَتْ، ثمَّ البِنت وإن نزلت، ثمَّ الأقربُ فالأقرب من نسائها؛ أختها من أبٍ أو أم أو الشّقيقة، ثمَّ عمَّتها، ثمَّ خالتها، إلىٰ آخره.

«وللزَّوجَيْن لكلّ واحدٍ منهما أن يُغسِّلَ الآخرَ؛ لأنّ الصِّدّيق ﷺ غسَّلَتْه زَوجَته، ولأنّ عليًّا ﷺ غسَّلَ زَوجَتَه فاطمة ﷺ» فالزَّوجُ له أن يُغسِّلَ زَوجَتَه إذا ماتت، والزَّوجَةُ لها أن تغسِّلَ زَوجَها إذا مات.



○ قال ﷺ :

«سابعًا: صفةُ الصَّلاة علىٰ الميِّت:

يُكبِّر أربعًا، ويقرأ بعد الأولىٰ الفاتحة، وإن قرأ معها سورةً قصيرةً أو آيةً أو آيتَيْن فحسَنٌ؛ للحديث الصَّحيح الوارد في ذلك عن ابنِ عبَّاس ﷺ، ثمَّ يُكبِّر الثّانيةَ ويُصلّي علىٰ النّبيِّ ﷺ كصلاتِه في التّشهُّد، ثمَّ يُكبِّرُ الثّالثة ويقول: «اللّهُمَّ اغفِرْ لحيِّنَا وميِّتِنا، وشَاهِدِنَا وغَائِبِنَا، وصَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا، وذَكَرِنَا وأنْثَانَا، اللّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ منّا فَأحْيِهِ عَلَىٰ الإِسْلَام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ منّا فَتوَفَّهُ عَلَىٰ الإِيمَانِ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ، وعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ، وأكْرِمْ نُزُلَهُ، ووَسِّعْ مَدْخَلَهُ، واغسِلْهُ بالمَاءِ والثّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّهِ من الذّنُوبِ والخَطَايَا كَمَا يُنَقّىٰ الثّوبُ الأبْيَضُ من الدّنَسِ، وأبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وأهْلًا خَيْرًا من أهْلِهِ، وأدْخِلْهُ الجَنّةَ، وأعِذْهُ منْ عَذَابِ القَبْرِ، وعَذَابِ النّارِ، وافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ، ونَوِّرْ لَهُ فِيهِ، اللّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أجْرَهُ ولَا تضِلّنَا بَعْدَهُ». ثمَّ يُكبِّرُ الرَّابعةَ، ويسلّم تسليمةً واحدةً عن يمينِه، ويُستَحبُّ أن يَرفَعَ يَدَيْه مع كُلّ تكبيرةٍ».

الشرح :

○ هذه المسألة السَّابعة في صفة الصَّلاة علىٰ الميِّت.

قال ﷺ: **«يكبِّر أربعًا»** أي: أربع تكبيرات، لحديث: «**فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَىٰ المُصَلّىٰ،**

وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»[١]. وفي الباب أحاديث عديدةٌ[٢]. وثبت الزِّيادةُ علىٰ الأربع؛ فعن عبد الرَّحمن بن أبيٰ ليلىٰ قال: «كَانَ زَيْدٌ يُكَبِّرُ عَلَىٰ جَنَائِزِنَا أَرْبَعًا، وَإِنَّهُ كَبَّرَ عَلَىٰ جَنَازَةٍ خَمْسًا فَسَأَلْتُهُ؛ فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَبِّرُهَا»[٣].

«ويقرَأ بعد الأولىٰ الفاتحة، وإن قَرَأ معها سورةً قصيرةً أو آيةً أو آيتَيْن فحَسَنٌ؛ للحديث الصَّحيح الوارِدِ في ذلك عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» فعَن طلحة بن عبدِ الله بنِ عوف قال: «صلّيت خَلْفَ ابنِ عبَّاسٍ علىٰ جنازةٍ فقرأ بفاتحة الكتاب وسورةٍ وجَهَرَ حتّىٰ أسمَعَنَا؛ فلمَّا فرَغَ أخَذْت بيده فسألته؛ فقال: «سنّةٌ وحقٌّ»[٤].

«ثمَّ يُكبِّرُ الثَّانيةَ، ويُصلّي علىٰ النّبيِّ ﷺ كصلاتِه في التّشهُّد» لكونه لم يَرِدْ بشأنِها صيغةٌ خاصَّةٌ، فيؤتىٰ فيها بصيغةٍ من الصِّيَغِ الثّابتةِ في التّشهُّد في الصَّلاة المكتوبة. ۞

«ثمَّ يُكبر الثّالثة، وَيقول: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لحَيِّنَا ومَيِّتِنَا، وشَاهِدِنَا وغَائِبِنَا، وصَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا، وذَكَرِنَا وأنْثَانَا، اللّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ منّا فَأَحْيِهِ عَلَىٰ الإِسْلَام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ منّا فَتَوَفَّهُ عَلَىٰ الإيمَانِ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ، وعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ، وأكْرِمْ نُزُلَهُ، ووَسِّعْ مَدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بالمَاءِ والثّلْج والبَرَدِ، ونَقِّهِ من الذّنُوبِ والخَطَايَا كَمَا يُنَقّىٰ الثّوْبُ الأبْيَضُ من الدّنَسِ، وأبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا منْ دَارِهِ، وأهْلًا خَيْرًا منْ أهْلِهِ، وأدْخِلْهُ الجَنّةَ، وأعِذْهُ منْ عَذَابِ القَبْرِ، وعَذَابِ النّارِ، وافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ، ونَوِّرْ لَهُ فِيهِ، اللّهُمَّ لا تَحْرِمْنا أجْرَهُ، ولَا تضِلّنَا بَعْدَهُ».

هذا الدّعاء الّذي ساقَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمَعَه من ثلاثةِ أحاديث ورَدَتْ في هذا الباب:

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لحَيِّنَا ومَيِّتِنَا، وشَاهِدِنَا وغَائِبِنَا، وصَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا، وذَكَرِنَا

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: «أحكام الجنائز» للألباني، ص ١١١.
(٣) أخرجه مسلم (٩٥٧).
(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٥)، والنسائي (١٩٨٧) واللفظ له.

وأنْثَانَا، اللّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ منّا فَأحْيِهِ عَلَىٰ الإسْلَام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ منّا فتَوَفّهُ عَلَىٰ الإيمَانِ» ثمَّ ما جاء في آخر الدّعاء: «اللّهُمَّ لَا تَحْرِمْنا أجْرَهُ، ولَا تضِلّنَا بَعْدَهُ» هذا ورد في «سنن أبي داود»[(١)] وغيره من حديث أبي هريرة ﵁.

وقوله ﵀: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ، وعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ» إلىٰ قوله: «وأعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وعَذَابِ النّارِ» هذا ثابت في «صحيح مسلم»[(٢)]، من حديث عوف بن مالك ﵁.

وقوله: «وافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ، ونَوِّرْ لَهُ فِيهِ» هذا جاء في الدّعاء الّذي دعا فيه النّبيُّ ﷺ لأبي سَلَمَة ﵁[(٣)].

قوله: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لحَيِّنَا ومَيِّتِنَا، وشَاهِدِنَا وغَائِبِنَا، وصَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا، وذَكَرِنَا وأنْثَانَا، اللّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ منّا فَأحْيِهِ عَلَىٰ الإسْلَام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ منّا فتَوَفّهُ عَلَىٰ الإيمَانِ» تأمَّلْ هذا الدّعاء ما أعظمَه! يكون بين يَدَيْه ميِّتٌ واحدٌ فيعمِّمُ بالدّعاء لهذا الميِّتِ ولعُموم موتىٰ المُسلمين وأحيائهم؛ مَنْ كانَ حاضِرًا أو غائِبًا، مَن كان صغيرًا أو كبيرًا، مَن كان ذكرًا أو أنثىٰ.

وذِكر الإسلام في الحياة، والإيمانِ في الوفاة؛ لأنّ الإسلامَ العمل، فمَن كان حيًّا عنده فُرصَةٌ ليعمل؛ من صلاةٍ وصيام وحجٍّ وصدقةٍ إلىٰ غير ذلك، ومن حضرته الوفاةُ فما ثمَّةَ فرصةٌ للعمل إلّا أن يَمُوتَ علىٰ الإيمان الصَّحيح والعقيدةِ الصَّحيحةِ، ولهذا قال: «مَنْ أحْيَيْتَهُ منّا، فَأحْيِهِ عَلَىٰ الإسْلَام» أي: العمل الصَّالح، «وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ منّا، فَتَوَفّهُ عَلَىٰ الإيمَانِ» أي: الاعتقاد الصَّحيح.

قوله: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وارْحَمْهُ» المغفرة: ستر الذّنوب مع التّجاوُزِ عنها، والرَّحمةُ أبْلَغُ؛ لأنّ فيها حصولَ المرغوب بعد زوال المكروه.

---

(١) برقم (٣٢٠١)، وأخرجه وابن ماجه (١٤٩٨)؛ وقال الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٢٤): «صحيح علىٰ شرط الشّيخين».

(٢) برقم (٩٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٩٢٠).

«وعَافِهِ، واعْفُ عَنْهُ» أي: عافه من العذاب، وسلّمه منه، واعفُ عنه ما وقع فيه من زلل وتقصير.

«وأكْرِمْ نُزُلَهُ» النُّزُل: ما يُقدّم للضَّيفِ، أي: اجْعَلْ نُزُلَه وضِيافَتَه عندك كريمة.

«ووَسِّعْ مَدْخَلَه» أي: وسِّع له في قَبرِه، وافْسَحْ له فيه، ووسِّعْ له كذلك مَنازِلَه عندك في الجنّة؛ لأنّ المدخلَ هنا مفردٌ مضاف، فيَعُمُّ.

«واغْسِلْهُ بالمَاءِ والثّلْجِ والبَرَدِ» وهذه الأمور الثّلاثةُ تقابِل حرارةَ الذّنوب، فتبرِدُها وتطفئُ لهيبَها.

«ونَقِّهِ منَ الذّنُوبِ والخَطَايَا كَمَا يُنَقّىٰ الثّوْبُ الأبْيَضُ منَ الدّنَسِ» أي: تنقيةً كاملةً وتامَّةً، كما يُنَقّىٰ الثّوبُ الأبيضُ من الدّنس، وخصَّ الأبيض بالذّكر؛ لأنّ إزالةَ الأوساخ فيه أظهر من غيره من الألوان.

«وأبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا منْ دَارِهِ» أي: أدخِلْه الجنّةَ دارَ كرامَتِك، بدلًا عن دار الدّنيا الّتي رحل عنها.

«وأهْلًا خَيْرًا منْ أهْلِهِ» أي: وأبدِلْه خيرًا منهم، وهذا شاملٌ للتّبديل في الأعيان والأوصاف، أمَّا في الأعيان بأن يُعوِّضه اللهُ عنهم خيرًا منهم في دار كرامته، وأمَّا في الأوصاف بأن تعودَ العجوزُ شابَّةً، وسيِّئةُ الخُلقِ حسنةَ الخُلق، وغيرُ الجميلة جميلةً.

«وأدْخِلْهُ الجَنّةَ، وأعِذْهُ منْ عَذَابِ القَبْرِ وعَذَابِ النّارِ» ثمَّ سأل اللهَ له دخولَ الجنّةِ والنّجاةَ من النّار، والسّلامةَ من فِتنَةِ القبر بأن يُوقىٰ شرَّها وأثرَها.

قال: «وَافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ» أي: وسِّعْ له في قَبره، «ونَوِّرْ لَهُ فِيهِ» أي: اجعَلْ قبرَه نورًا.

«اللّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أجْرَهُ» أي: أجْرَ وثوابَ الإحسان لهذا الميّت؛ من دعاءٍ، وصلاةٍ، وقيام بحقوقِه، وصبرٍ واحتسابٍ علىٰ فَقدِه.

«ولَا تضِلّنَا بَعْدَهُ» أي: لا تَجعَلْنا نُفتَنُ بعدَه ونَقَعُ في الضَّلال.

وهو دعاءٌ عظيمٌ جامعٌ، مُحِّضَ فيه الدّعاء للميِّت بالعفو والغفران، والسَّلامة والنّجاة، والإكرام والإحسان، يُؤتىٰ به في هذا الموضع العظيم عند الصَّلاة عليه، وهو

موضع يُستحبُّ فيه المبالغة في التّرحُّم علىٰ الميّتِ والدّعاء له؛ لأنّه قد أتِيَ به إلىٰ إخوانه المسلمين ليدعوا له، وليسألوا اللهَ مغفرةَ ذُنوبِه وسترَ عيوبِه وإقالةَ عثَرَاتِه، وهو دعاء ينفع الميِّتَ بإذن الله، وهو من جملة الأمور الدّالّةِ علىٰ قوَّةِ التّراحُم والتّعاطف بين أهل الإيمان.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ثمَّ يُكبِّر الرَّابعةَ ويسلّم تسليمةً واحدةً عن يمينه، ويُستَحبُّ أن يَرفَعَ يَدَيْه مع كلّ تكبيرةٍ**» وهذا الّذي ذكَرَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّه يَستَحبُّ مع كلّ تكبيرةٍ ثبت بالإسناد الصَّحيح من فعل ابنِ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنّه يرفع يَدَيْه مع كلّ تكبيرةٍ من تكبيرات الصَّلاة علىٰ الميِّت[1]. وهذا يدُلّ علىٰ أنّه تلقّاه عن النّبيِّ ﷺ؛ لأنّ هذا لا يُقال من جهةِ الرَّأي. ۞



○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«**وإذا كان الميِّت امرأةً يقال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لها». وإذا كانت الجنائز اثنَتَيْن يقال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لهما...» إلخ، وبالجمع إن كانت أكْثَرَ من ذلك يقال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ...» إلخ.**

أمَّا إذا كان فَرَطا: فيقال بَدَلَ الدّعاء له بالمغفرة: «اللّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطا وذُخْرًا لوَالدَيْهِ وشَفِيعًا مُجَابًا، اللّهُمَّ ثَقّلْ به مَوَازِينَهُمَا وأعْظِمْ بِهِ أجُورَهُمَا، وألْحقْهُ بصَالح سَلَفِ المُؤمنِينَ، واجْعَلْهُ في كَفَالَةِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقِهِ برَحْمَتِكَ عَذَابَ الجَحيم».

الشرح :

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإذا كان الميِّت امرأةً يُقال: اللّهمَّ اغفرْ لها**» أي: تعدّل الضَّمائرُ بما يُناسِبُ الميِّتَ في كلِّ الدّعاء من أوَّله إلىٰ آخرِه؛ فإذا كانت امرأةٌ يقال: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لها، وارْحَمْها، وعَافِها، واعْفُ عَنْها، وأكْرِمْ نُزُلَهَا، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهَا**».

(١) رواه البيهقي في «الكبرىٰ» (٦٩٩٣)، وابن أبي شيبة (١١٣٨٠)، وصحَّحه الألباني في «الضعيفة» (١٣/ ١١٨).

«وإِذَا كانت الجنائز اثْنتَيْن يقال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمَا...» إلخ» أي: يُثَنّىٰ الضَّميرُ، فيُقَال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمَا، وارْحَمْهُمَا، وعَافِهِمَا، واعْفُ عَنْهُمَا، وأَكْرِمْ نُزُلَهُمَا...» إلخ.

«وبالجمع إن كانت أَكْثَرَ من ذلك، يقال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ...» إلخ» وإذا كانوا جَمْعًا؛ فيكون الضَّميرُ بما يُناسِبُ ذلك، فيُقال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لهم، وارْحَمْهُمْ، وعافِهم، واعْفُ عنهم» إلىٰ آخر الدّعاء.

وإذا كان المأموم يَجهَل هل الميِّت رجلٌ أم امرأة، قال: «اللّهُمَّ اغْفرْ له...» إلىٰ آخرِه، يعني الميِّتَ، وإن قال: «اللّهُمَّ اغْفِرْ لها»، يَعْنِي الجنازةَ، فلا بأس.

«أمّا إذا كان فَرَطا فيُقَال بَدَلَ الدّعاء له بالمغفرة: «اللّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطا وذُخْرًا لوَالدَيْهِ وشَفِيعًا مُجَابًا، اللّهُمَّ ثَقّلْ به مَوَازِينَهُمَا وأعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا، وأَلْحقْهُ بصَالح سَلَفِ المُؤمنِينَ، واجْعَلْهُ في كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الجَحِيم» الفَرَط: الصَّغير، فرط يتقدّمُ والدَيْه إلىٰ الآخرة؛ ليكون لهما أجرهُ، لحديث المُغيرة رضي الله عنه مرفوعًا وفيه: «وَالسِّقْط يُصَلّىٰ عَلَيْهِ، وَيُدْعَىٰ لوَالدَيْهِ بالمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ»[1]. والسِّقْط: هو الّذي يَسقط من بطن أمِّه مَيِّتًا قبلَ أن يتمَّ، والطِّفل يأخُذُ حُكمَه في الدّعاء لوالدَيْه بالمغفِرَةِ والرَّحمةِ؛ لأنّهما بمعنىٰ واحدٍ، والحكمة من الدّعاء لوالدَيْه أنّهما سببٌ لوجوده، وقد فقَدَاه وهما يتطلّعان إليه، وكانا حرِيصَيْن علىٰ بقائه.

وقد ورد في الباب بعضُ الآثار عن بعض الصَّحابة رضي الله عنهم والتّابِعين، فعن سَمُرَة بنِ جُندُب رضي الله عنه: «ادْعُوا اللّهَ لوَالدَيْهِ أَنْ يَجْعَلَهُ لَهُمَا فَرَطا وَأَجْرًا»[2]. وعن الحسن رحمه الله قال: «اللّهُمَّ اجْعَلْهُ لنَا فَرَطا وَذُخْرًا وَأَجْرًا»[3].



(١) أخرجه أحمد (١٨١٧٤)، وأبو داود (٣١٨٠)، والترمذي (١٠٣١)؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٧١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٥٩٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٨٣٨).

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والسُّنّة أن يَقِفَ الإمامُ حذَاءَ رأسِ الرَّجل ووسطَ المرأة، وأن يكون الرَّجُل ممَّا يلي الإمامَ إذا اجْتمَعَتِ الجنائزُ، والمرأةُ ممَّا يلي القِبلَةَ.

وإن كان معَهم أطفالٌ؛ قدّمَ الصَّبيُّ علىٰ المرأة، ثمَّ المرأة، ثمَّ الطِّفلة.

ويكونُ رأسُ الصَّبيِّ حيالَ رأسِ الرَّجل، ووسَطَ المرأةِ حيَالَ رأس الرَّجُل، وهكذا الطِّفلَةُ يكون رَأسُها حيال رَأسِ المرأة، ويكون وسطها حيالَ رأس الرَّجُل.

ويكون المُصَلّون جميعًا خَلْفَ الإمام، إلّا أن يكون واحدًا لم يَجدْ مكانًا خَلْفَ الإمام؛ فإنّه يقف عن يمينه».

الشرح:

○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسُّنّة أن يَقِفَ الإمامُ حذَاءَ رأسِ الرَّجل ووسط المرأة» لمَا جاء في «المُسنَد» عن أبي غالب الخيَّاط قال: «شَهِدتّ أَنَسَ بنَ مَالكٍ صَلّىٰ علىٰ جنَازَةِ رَجُل، فقام عند رأسِه، فلمَّا رُفِعَتْ أتِيَ بجنازَةِ امرأةٍ من قرَيْشٍ أو من الأنصارِ فقيل له: يا أبا حَمْزَةَ، هذه جنازَةُ فلانةَ ابنَةِ فلانٍ، فصلِّ عليها فصلّىٰ عليها، فقام وَسَطَها وفينا العلاءُ بنُ زِيَادٍ العَدَوِي، فلمَّا رأىٰ اختلافَ قِيَامه علىٰ الرَّجُل والمرأةِ، قال: يا أبا حَمْزَةَا! هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع يَقومُ من الرَّجُل حيْث قمْتَ، ومن المرأةِ حَيْث قمْتَ؟ قال: نعَم، قال: فالْتَفَتَ إلينا العلاءُ فقال: احْفَظوا»[١].

وهذا يُفعَل مع الكبير والصَّغير؛ إن كان الميِّت رجلًا يقف الإمام عند رأسِه، وإن كان طفلًا يقف عند رأسه، وإن كانت امرأة أو طفلةً يقف عند وَسَطِها، وعندما تصَفّ الجنائزُ أيضًا تصفّ علىٰ هذه الهَيئَةِ بحيث يكون الإمامُ واقِفًا حذَاءَ رأسِ الرَّجُل ووَسَطَ المرأةِ.

«وأن يكون الرَّجل ممَّا يلي الإمام إذا اجتمَعَتِ الجنائزُ، والمرأةُ ممَّا يلي القبلةَ» لو كان فيه رجلٌ وامرأةٌ؛ يكون الرَّجل هو الّذي يلي الإمامَ، والمرأةُ تكون هي الأبعد

(١) أخرجه أحمد (١٣١١٤)، والترمذي (١٠٣٤)؛ وصحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص١٠٩).

عنه، لشَرَفِ الذّكوريَّة وكونِه مُفضَّلًا عليها، وعن نافع أنّ ابنَ عمر ﵄: صلّىٰ علىٰ تِسْعِ جنائزَ جميعًا فجعل الرِّجَال يلونَ الإمامَ والنِّسَاءُ يَلينَ القبلةَ فصَفّهُنّ صفًّا واحدًا[1].

«وإن كان معهم أطفالٌ قدّم الصَّبيُّ علىٰ المرأة، ثمَّ المرأة، ثمَّ الطّفلة» لما رواه النّسائي عن عمَّار مولىٰ بني هاشم قال: «شَهِدتّ جنَازَةَ امْرَأةٍ وَصَبِيٍّ، فَقدَّمَ الصَّبِيُّ ممَّا يَلِي القَوْمَ، وَوُضِعَتِ المَرْأةُ وَرَاءَهُ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِمَا؛ وَفي القَوْم: أبُو سَعِيدٍ الخُدْرِي وابنُ عَبَّاسٍ وأبو قتادةَ وأبو هُرَيْرَةَ، فَسَألْتهُمْ عَنْ ذَلكَ، فَقَالوا: السُّنّةُ»[2].

«ويكون رأس الصَّبيِّ حيالَ رأسِ الرَّجل، ووسط المرأةِ حيَالَ رأس الرَّجُل، وهكذا الطّفلَةُ يكون رَأسُها حيال رَأسِ المرأة، ويكون وسطها حيال رأس الرَّجُل» فالطّفل يوضع كالرَّجُل، والطّفلَةُ توضَعُ كالمرأة، كما تقدّم بيانُه.

«ويَكون المُصَلّون جَميعًا خَلْفَ الإمَام، إلّا أن يكُون وَاحدًا لم يَجدْ مَكانًا خَلْفَ الإمَام؛ فإنّه يَقِفُ عَن يَمينِه» وَفي حَديث صَلاة النّبيِّ عَلىٰ النّجَاشي قَال: «ثمَّ تَقَدّمَ، فَصَفّوا خَلْفَهُ، فَكَبَّرَ أرْبَعًا»[3]. وَمَن لَم يجدْ مكانًا في الصُّفوف؛ صلّىٰ عن يمين الإمام.



○ قال ﵀:

«ثامنًا: صفة دَفنِ المَيِّت:

المشروعُ تَعميق القَبْرِ إلىٰ وسط الرَّجُل، وأن يكون فيه لَحْدٌ من جهةِ القِبلَةِ، وأن يُوضَعَ الميِّت في اللّحدِ علىٰ جَنبِه الأيمن، وتحَلّ عُقَدُ الكَفَن ولا تنزَعُ بل تترك، ولا يُكشَف وجهُه سواءٌ كان الميِّت رَجُلًا أو امرأةً، ثمَّ يَنصِبُ عليه اللّبِن ويُطَيَّنُ حتّىٰ يَثبُتَ ويَقيه التّراب، فإن لم يَتيسَّرْ اللّبِن فبغير ذلك من ألواح أو أحجارٍ أو خشب يقيه

(١) أخرجه النسائي (١٩٧٨)، وصحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص١٠٣).
(٢) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٢١١٥).
(٣) سبق تخريجه.

التّراب، ثمَّ يُهَال عليه التّراب، ويُستَحبُّ أن يقال عند ذلك: «بسم الله، وعلىٰ ملّةِ رَسُول الله». ويَرفَعُ القبرَ قَدْرَ شِبْرٍ، ويُوضَعُ عليه حَصْباء إن تيسَّرَ ذلك، وَيرُشّ بالمَاء.

ويُشرَعُ للمُشيِّعِين أن يَقِفُوا عند القبر، ويدعوا للميِّتِ؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ كان إذا فَرَغَ من دفن الميّتِ وقَفَ عليه، وقال: «اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ، واسْألوا لَهُ التّثْبِيتَ؛ فَإِنّهُ الآنَ يُسْأل».

الشرح :

○ هذه مسائل بيَّنها رَحِمَهُ اللَّهُ مُتعلّقةٌ بدَفن الميِّت.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المشروع تَعميق القَبر إلىٰ وسط الرَّجُل» لقوله ﷺ: «**احْفِرُوا، وأوْسِعُوا، وَأعْمقوا**»[(١)].

وَلم يَأْتِ عن النّبيِّ ﷺ حدٌّ في التّعميق، وَقد اخْتلفَ في حَدّ الإعمَاق؛ فقيل: قَامة، وقيل: إلىٰ السُّرَّة، وقيل: إلىٰ الصدر، وهي متقاربة، وَيكفي من ذَلكَ: ما يَمنَعُ ظهورَ الرَّائحةِ، وَوصولَ السِّباع والكلاب، ويراعىٰ فيه حال الأرض من صلابة ورخاوة.

«وأن يكونَ فيه لَحْدٌ من جهة القِبلَةِ» أي: بَعد أن يُعمَّقَ القَبرُ يُجعل في أسفَله لَحْدٌ من جهة القِبلَةِ، بحَيث يُدخَل فيه الميِّت، وَسُمِّيَ لَحْدًا؛ لأنّه مائِلٌ عَن سَمْتِ القَبر، وَفي الحَديثِ: «**اللّحْدُ لَنَا، والشّق لغَيْرِنَا**»[(٢)].

«ويُجعَل المَيِّت علىٰ جَنبِهِ الأيمَن» وَوجهُه قبالَةَ القِبلة، وَعَلىٰ هذَا جَرىٰ عمَل أهل الإسلام من عَهد رَسُول الله ﷺ، وَفي الحَديثِ في عَدّ النّبيِّ ﷺ للكَبائر قال: «**وَاسْتِحْلَال البَيْتِ الحَرَام، قِبْلَتِكُمْ أحْيَاءً وَأمْوَاتًا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٥)، والترمذي (١٧١٣)، والنسائي (٢٠١٠) عن هشام بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٧٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠٨)، والترمذي (١٠٤٥)، والنسائي (٢٠٠٩)، وابن ماجه (١٥٥٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وصحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٤٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨٧٥) عن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (٦٩٠).

«وتحلّ عُقَدُ الكفَن، ولا تنزَع، بَل تترَك» للاستغناء عَنهَا، وَلورودِ بَعض الآثار في ذلكَ عَن بَعض التّابعين، تفيد أنّ هذَا الأمرَ كَان مَعرُوفًا عند السَّلَف[1].

«ولا يُكشَفُ وجهُه، سواءٌ كانَ الميِّت رجلًا أو امرأةً» لعدم ورود ما يدُلّ علىٰ مشروعيَّةِ كشفِه.

«ثمَّ يُنصَبُ عليه اللّبِن ويُطيَّن حتّىٰ يَثبُتَ ويقيه التّراب» أي: وقايةً للميِّت إذا أهِيلَ عليه التّراب، لئَلّا يَدخُلَ شيءٌ منه في اللّحدِ، فَعَن سعدِ بنِ أبي وقّاص ﷺ قَالَ في مَرضِه الّذي هَلَك فيهِ: «**الْحَدُوا لي لَحْدًا، وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللّبِنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُول اللّهِ ﷺ**»[2].

«فإن لم يَتيسَّرْ اللّبِن فبغَيْر ذلكَ؛ من ألواح، أو أحجَارٍ، أو خَشَبٍ، يقيهِ التّراب» لقَولهِ سُبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

«ثمَّ يُهَال عليه التّراب» لقَول عَائشة ﵂: «مَا علمنَا بدَفْنِ رسول اللهِ ﷺ حتّىٰ سمعْنا صَوتَ المَسَاحي»[3]. ولقَول فاطمَة ﵂: «أطَابَتْ أنْفُسُكُمْ أنْ تَحْثوا عَلَىٰ رَسُول اللهِ ﷺ التّرَابَ»[4].

«ويُستَحَبُّ أن يُقالَ عندَ ذلكَ: باسم الله، وعلىٰ ملّةِ رَسول الله» لحديث ابن عمر ﵄ قَال: «كانَ النّبيُّ ﷺ إذا أدْخَلَ الميِّتَ القَبْرَ، قَالَ: «**بِسْم اللهِ، وعَلَىٰ ملّةِ رَسُول اللهِ**». وَفي روَايةٍ: «**وَعَلَىٰ سُنّةِ رَسُول اللهِ**»[5].

«ويَرفَعُ القبرَ قَدْرَ شِبْرٍ» مُسنَّمًا ـ أي علىٰ هيئة السَّنَام ـ لثبوت ذلكَ في صفة قَبْرِ

---

(١) انظر: «السنن الكبرىٰ» للبيهقي، «باب عقد الأكفان عند خوف الانتشار وحلها إذا أدخلوه القبر» (٣/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٣٣٣)، وابن أبي شيبة (١١٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٦١٤) عن أنس ﷺ، وأخرجه الترمذي (١٠٤٦)، وابن ماجه (١٥٥٠) عن ابن عمر ﵄؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٧٤٧).

النّبيِّ ﷺ وصاحبيْه[(١)]. وليُعلَمَ أنّه قَبْرٌ فلا يُهَان، ولا يُزَادُ عن التّراب الّذي أخرِجَ من القَبر.

«ويُوضِع عليه حصبَاء، إن تيَسَّر ذلكَ، ويُرَشّ بالماء» لتحفَظَ تربَةُ القبر، وليتَمَاسَكَ ترابُه وَلا يَتطايَرُ، ولا بأس بتعليمه بحَجر ونَحوه ليُعرَف، لحَديث أنس ﷺ: «أنّ رسُولَ الله ﷺ أعْلَمَ قَبرَ عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ بِصَخْرَةٍ»[(٢)].

«ويُشرَعُ للمُشَيِّعين أن يَقِفُوا عِندَ القَبْر» أي: بَعد الفَراغ منَ الدّفنِ من أجل الدّعَاء للمَيِّت.

«وَيَدعُوا للميِّتِ؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ كانَ إذا فَرغَ من دَفنِ الميِّتِ وَقفَ عَليه، وَقالَ: «اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ، واسْألوا لَهُ التّثْبِيتَ؛ فَإِنّهُ الآنَ يُسْأل» وَذلكَ في حَديث عُثمان بنِ عفّان ﷺ قال: كانَ النّبيُّ ﷺ إذَا فَرغَ من دَفْن المَيِّت؛ وَقَفَ عَليه، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ، وَسَلوا لَهُ التّثْبِيتَ؛ فَإِنّهُ الآنَ يُسْأل**»[(٣)]. ۞



○ قال رَحِمَهُ اللهُ:

«تاسعًا: ويُشرَع لمن لَم يُصَلّ عليه أن يُصَلّيَ عليه بَعد الدّفن؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ فعَلَ ذلكَ، علىٰ أن يكون ذَلك في حُدود شهرٍ فأقلّ، فإن كَانتِ المُدّةُ أكْثَرَ من ذلك لَم تشرَعِ الصَّلاةُ علىٰ القبر؛ لأنّه لم يُنقَلْ عَن النّبيِّ ﷺ أنّه صلّىٰ علىٰ قبرٍ بَعد شَهر من دَفنِ المَيِّتِ».

الشرح:

○ هَذه المسألة التّاسعة بشأن مَنْ لم يتمَكّنْ من الصَّلاة علىٰ الميِّت، هَل له أن

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٦٣٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٦٧٣٦) عن جابر ﷺ؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٧٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٦١) عن أنس ﷺ. وأخرجه أبو داود (٣٢٠٦) عن المطلب ﷺ؛ وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (٣٠٦٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٤٥).

يُصلّيَ عليه بَعد الدّفن.

«ويُشرَع لمن لَم يُصَلّ عليه أن يُصلّيَ عليه بَعد الدّفن؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ فَعلَ ذلكَ» فَفي حَديث أبي هُريرة ﵁: «أنّ امْرَأةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقمُّ المَسْجدَ ـ أوْ شَابًّا ـ فَفَقَدَهَا رَسُول اللّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا ـ أوْ عَنْهُ ـ؛ فَقَالوا: مَاتَ؛ قَالَ: «**أفَلاَ كُنْتمْ آذَنْتمُوني!**» قَال: فكأنّهُمْ صغَّرُوا أمرَهَا ـ أوْ أمْرَهُ ـ؛ فَقَالَ: «**دُلّوني عَلَىٰ قَبْرِها**» فَدلّوه، فَصلّىٰ عليها، ثمَّ قال: «**إنّ هَذِهِ القبُورَ مَمْلوءَةٌ ظلْمَةً عَلَىٰ أهْلِهَا، وَإنّ اللّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**»[(١)].

وَصفةُ الصّلاة عَليه بَعدَ الدّفن هِيَ كَصفةِ الصّلاة عَليه قَبلَ الدّفنِ.

«عَلىٰ أن يكُون ذلك في حُدود شهرٍ فأقلّ، فَإن كَانت المُدّة أكثر من ذلكَ لَم تشرَعِ الصّلاةُ علىٰ القَبر؛ لأنّه لم يُنقَلْ عن النّبيِّ ﷺ أنّه صلّىٰ علىٰ قَبْرٍ بعدَ شَهْر من دَفن الميِّت» قَال أحمد وإسحاق: «يُصلّىٰ علىٰ القَبر إلىٰ شَهرٍ». وَقَالا: «أكثَرُ مَا سمعْنا عن ابنِ المُسيِّب: أنّ النّبيَّ ﷺ صلّىٰ عَلىٰ قَبرِ أمِّ سَعْدِ بنِ عُبادَةَ بَعد شَهْر»[(٢)].

قَالَ ابنُ القيِّم ﵀: «وَكَان من هَديِه ﷺ إذا فاتته الصّلاةُ علىٰ الجنازة صلّىٰ علىٰ القبر؛ فَصلّىٰ مرَّةً علىٰ قبرٍ بعد ليلةٍ، ومرَّةً بعد ثَلاثٍ، وَمرَّةً بَعد شهرٍ، وَلم يُوقّتْ في ذلك وقتًا، قَال أحمد ﵀: «مَنْ يشكّ في الصّلاةِ عَلىٰ القبر؟ وَيُروَىٰ عن النّبيِّ ﷺ كَان إذا فاتَته الجنازةُ صلّىٰ علىٰ القَبْرِ من ستّةِ أوْجُهٍ كلّها حسانٌ». فحدّ الإمامُ أحمَدُ الصّلاةَ علىٰ القبر بشهرٍ؛ إذ هو أكثر ما رُوِيَ عن النّبيِّ ﷺ أنّه صلّىٰ بعدَه، وحدّه الشّافعي ﵀ بما إذا لم يَبْلَ الميِّت، وَمنع منهَا مَالك وأبو حنيفة ـ رَحمهما الله ـ إلّا للوليِّ إذا كان غائبًا»[(٣)].



(١) أخرجه مسلم (٩٥٦).
(٢) نقله الترمذي في «جامعه» (٣/ ٣٤٦)، وحديث ابن المسيِّب رواه الترمذي (١٠٣٨)، وهو مرسل.
(٣) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٤٩٣).

❍ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«عَاشرًا: لا يجوز لأهل الميِّت أن يَصنعُوا طعامًا للنّاس؛ لقول جرير بنِ عبد الله البجلي الصَّحابي الجَليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنّا نَعُدّ الاجتماعَ إلىٰ أهل الميِّت وصَنعَةَ الطّعام بعد الدّفنِ من النِّياحَةِ». رواه الإمام أحمد بسندٍ حسنٍ.

أمَّا صُنعُ الطّعام لَهم أو لضيوفهم: فَلا بأسَ، ويُشرَعُ لأقارِبِه وجيرانِه أن يَصنعُوا لهم الطّعامَ؛ لأنّ النّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا جاءه الخبرُ بمَوْتِ جعفر بنِ أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الشّام؛ أمَرَ أهْلَه أن يَصنَعُوا طعامًا لأهل جعفر، وقال: «إِنّه أتَاهُمْ ما يُشْغِلُهُمْ».

ولا حَرج علىٰ أهل الميِّت أن يَدعُوا جيرانَهم أو غيرَهم للأكل منَ الطّعام المُهدَىٰ إليهم، وَليس لذلك وقتٌ مَحدودٌ فيما نَعلَمُ منَ الشّرعِ».

الشرح:

❍ بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ أهلَ الميِّت لا يجوز لَهم تجميعُ النّاس وَصنعُ الطّعام لَهم بَعد الصَّلاة علىٰ الميِّت وَدفنِه، وفي الأيّام الّتي تلي ذلكَ؛ فإنّ السَّلَفَ ـ رَحمهم الله تعالىٰ ـ كانوا يَعدّون ذَلكَ منَ النِّياحةِ، ونَقَلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَ جَرير بن عبد الله البَجَلي الصَّحابي الجَليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**كُنّا نَعُدّ الاِجْتِمَاعَ إِلَىٰ أهْل المَيِّتِ وصَنيعَةَ الطّعَام بَعْدَ دَفْنِهِ منَ النِّيَاحَةِ**»[(١)].

قال الشّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمّا صُنْعُ الطّعام من أهل الميِّتِ للنّاسِ، سواءً كان ذلك من مال الوَرثَةِ أو من ثلثِ الميِّتِ أو من شخص آخر فَهذا لا يَجوز؛ لأنّه خلافُ السُّنّةِ ومن عَمَل الجاهليَّة، ولأنّ في ذلكَ زِيادةَ تَعَبٍ لهم علىٰ مُصيبتِهم وشُغلًا إلىٰ شُغلهم، وَلم يَثبُتْ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عَن أحدٍ منْ أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَلَا عَن السَّلفِ الصَّالح إقامةُ حَفْل للميِّت مُطلقًا؛ لا عند وفاتِه، وَلا بَعْدَ أسبُوع، ولا بعد أرْبَعِينَ يومًا، ولا بَعد سَنَةٍ من وَفاتِه، بَل ذَلكَ بدعةٌ يَجبُ تَركُها وإنكارُها وَالتّوبةُ إلىٰ الله منها، لما فيها من الابتداع في الدّين وَمشابهةِ أهل الجَاهليَّة»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد (٦٩٠٥)، وابن ماجه (١٦١٢)؛ وصحَّحه الألباني في «أحكام الجنائز» ص ١٦٧.

(٢) «مجموع فتاويه» (٢/ ٣٥٦) بشيء من الاختصار.

«أمَّا صُنْعُ الطّعام لَهم أو لضيوفِهم فَلا بأس، ويُشرَعُ لأقارِبِه وَجيرانِه أن يَصنعوا لَهم الطّعامَ؛ لأنّ النّبيَّ ﷺ لمَّا جَاءه الخَبَرُ بموتِ جَعفر بن أبي طالب ﷺ في الشّام؛ أمر أهلَه أن يَصنَعُوا طعامًا لأهل جعفر، وقال: «إنّه أَتَاهُمْ مَا يُشْغِلُهُمْ»» حديث: «اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يُشْغِلُهُمْ، أَوْ أَتَاهُمْ مَا يُشْغِلُهُمْ». رواه أحمد وغيرُه[(١)]، بإسنادٍ قال عنه الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ: «صحيح»[(٢)].

فلا بأس أن يُرسِلَ إليهم جيرانُهم أو بعضُ قَرَابتِهم طعامًا، وإذا كان الطّعامُ الّذي وصَلَهم زائِدًا عن حاجتهم، ودَعَوْا بعضَ جيرَانِهم أو بعضَ الفقراء يأكلون معهم هذا الطّعامَ الزَّائِدَ فلا حرَجَ عليهم في ذلك، لكن أن تتّخَذَ هذه مناسبةً، ويصنعُ أهلُ الميِّت الأطعمةَ، ويجمَعون النّاسَ عليها فهذا لا أصلَ له بل هُو من عمل أهل الجاهليَّةِ. ۞



○ قال رَحِمَهُ اللهُ:

«حادي عشر: لا يجوز للمرأة الإحدادُ علىٰ ميِّتٍ أكثر من ثلاثةِ أيَّام إلّا علىٰ زوجها؛ فإنّه يَجبُ عليها أن تحدّ عليه أربعةَ أشهُرٍ وعَشْرًا، إلّا أن تكون حاملًا فإلىٰ وضع الحمل؛ لثبوت السُّنّةِ الصَّحيحةِ عن النّبيِّ ﷺ بذلك، أمَّا الرَّجُل: فلا يجوز له أن يُحدّ علىٰ أحدٍ؛ من الأقارب، أو غيرهم».

الشرح:

○ هذه المسألة الحادية عشرة في الإحداد علىٰ الميِّت.

«لا يجوز للمرأة الإحدادُ علىٰ ميِّتٍ أكثر من ثلاثةِ أيَّام إلّا علىٰ زوجها؛ فإنّه يَجبُ عليها أن تحدّ عليه أربعةَ أشهُرٍ وعَشْرًا، إلّا أن تكون حاملًا فإلىٰ وضع الحمل؛ لثبوت السُّنّةِ الصَّحيحةِ عن النّبيِّ ﷺ» يراد بإحداد المرأة خمسة أشياء:

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥١)، وأبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨) وابن ماجه (١٦١٠) عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠١٥).

(٢) «مجموع فتاويه» (٩/ ٣٢٣).

ـ البقاء في منزلها الّذي توفّيَ زَوجُها وهي فيه مهما أمكنها ذلك، ولا يجوز خروجُها منه إلّا لحاجة.

ـ تَجنّبُ الطّيبِ في ثيابِها وبَدنِها، وكذلك الحنّاء.

ـ تجنّب لبسِ الحُليّ بجميع أنواعه.

ـ تجنّبُ لبسِ ملابس الزّينة.

ـ عَدمُ الكُحْل في عَيْنَيْها.

فعَن أمِّ عطيَّةَ ﵂ عَن النّبيِّ ﷺ قالت: «كُنّا نُنْهَىٰ أنْ نُحدّ عَلَىٰ مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إلّا عَلَىٰ زَوْج أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْرًا»(١).

وَعن أمِّ حَبِيبَةَ ﵂ قَالت: سَمعت النّبيَّ ﷺ يقول: «**لَا يَحلّ لامْرَأةٍ تؤمنُ بِاللّهِ وَاليَوْم الآخِرِ، أنْ تحدّ عَلَىٰ مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إلّا عَلَىٰ زَوْج، فَإنّهَا تحدّ عَلَيْهِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْرًا**»(٢). إلّا أن تكون حَاملًا فإلىٰ وضع الحمل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

«**أمّا الرَّجل: فلا يجوزُ له أن يُحدّ علىٰ أحدٍ منَ الأقارب أو غيرهم**» لأنّ الإحدادَ خاصٌّ بالمرأةِ، وهو تابعٌ للعِدّةِ.

قال ابنُ القيِّم ﵀: «وأمّا الإحدَاد علىٰ الزّوج؛ فإنّه تابعٌ للعِدّةِ، وهو من مُقتضَيَاتِها ومُكمِّلَاتِها؛ فإنّ المرأةَ إنّما تحتاج إلىٰ التّزيُّن والتّجمُّل والتّعطّر لتتحبَّبَ إلىٰ زَوجها، وترد لها نفسُه، ويَحسُنُ ما بينهما من العشرة، فإذا مات الزَّوجُ واعْتَدّتْ منه وهي لم تَصِلْ إلىٰ زوج آخر، فاقتضىٰ تمامُ حقّ الأوَّل وتأكيدُ المنع من الثّاني قبلَ بلوغِ الكتابِ أجلَه؛ أن تمنعَ ممَّا تَصنعُه النِّساءُ لأزواجهنّ، مع ما في ذلك من سدّ الذّريعةِ إلىٰ طَمَعِها في الرِّجال، وطَمَعِهم فيها بالزِّينةِ والخضابِ والتّطيُّبِ، فإذا بلغ الكتابُ أجلَه صارت محتاجةً إلىٰ ما يُرغّبُ في نكاحها، فأُبيحَ لها من ذلك ما يُبَاحُ لذات الزَّوج، فلا شَيْءَ أبْلَغُ في الحسن من

(١) أخرجه البخاري (٣١٣)، ومسلم (٩٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦).

هذا المنع والإباحة، ولو اقترحت عقول العالمين لم تَقتَرِحْ شيئًا أحسنَ منه»[(١)]. ◉



○ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثَاني عَشر: يُشرَعُ للرِّجال زيارةُ القبور بَين وَقتٍ وآخر؛ للدّعاء لهم والتّرحُّم عليهم، وتَذكّرِ الموت وما بعده؛ لقول النّبيِّ ﷺ: «زُورُوا الْقبُورَ فَإِنّهَا تذَكِّرُ الْمَوْتَ». خرَّجه الإمامُ مسلم في «صحيحه»[(٢)]. وكان ﷺ يعلّم أصحابَه إذا زارُوا القبورَ أن يَقولوا: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ الدّيَارِ منَ المُؤْمنِينَ والمُسْلمينَ، وإِنّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحقونَ، نَسْأل اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ، يَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمينَ منّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ».

أمَّا النِّساء: فليس لهنّ زيارةُ القبور؛ لأنّ الرَّسولَ ﷺ لَعَنَ زائراتِ القبور، ولأنّهُنّ يُخشَىٰ من زيارِتهنّ الفتنةُ وقلّةُ الصَّبرِ، وهكذا لا يجوز لهُنّ اتّباعُ الجنائز إلىٰ المقبرة؛ لأنّ الرَّسولَ ﷺ نهاهُنّ عن ذلك، أمَّا الصَّلاةُ علىٰ الميِّت في المسجد أو في المُصلّىٰ فهي مشروعةٌ للرِّجال وللنِّساء جميعًا.

هذا آخر ما تيسَّر جمعُه.

وصلّىٰ اللهُ وسلّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبِه».

الشرح:

○ هذه المسألة الثّانية عشرة والأخيرةُ حول زيارة القبور.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُشرَعُ للرِّجال زيارةُ القبور بين وَقتٍ وآخر؛ للدّعاء لهم، والتّرحُّم عليهم، وتَذكّرِ الموت وما بعده؛ لقول النّبيِّ ﷺ: «زُورُوا القبُورَ؛ فَإِنّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ». خرَّجه الإمامُ مسلم في «صحيحه» هذه الزِّيارة للقبور تعَدّ زيارةً شرعيَّةً؛ لكونها وفق ما جاء عن الرَّسول ﷺ، ويَستفِيدُ منها الحيُّ الزَّائِرُ، والميِّت المزور؛ فالحيُّ الزَّائِر يستفيد ثلاثَ فوائد:

---

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٦٧).

(٢) برقم (٩٧٦).

⊙ **الأولىٰ**: تَذكّر الموت؛ لما يترتّبُ عليه من الاستعداد له بالأعمال الصَّالحة؛ للحديث الّذي ساقه الشّيخ رَحِمَهُ اللهُ: «**زُورُوا القبُورَ؛ فَإِنّهَا تذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**».

⊙ **والثّانية**: فعله الزِّيارَةَ، وهي سُنّة سنّها رسول الله ﷺ، فيُؤجَرُ علىٰ ذلك.

⊙ **والثّالثة**: الإحسان إلىٰ الأموات المسلمين بالدّعاء لهم، فيُؤجَرُ علىٰ هذا الإحسان.

وأمَّا الميِّت المزور؛ فإنّه يَستَفيدُ في الزِّيارة الشّرعيَّةِ الدّعاءَ له والإحسانَ إليه بذلك؛ لأنّ الأمواتَ يستفيدون من دعاء الأحياء.

أمَّا زيارةُ القبور؛ من أجل دُعاء أهلها، والاستغاثةِ بهم، وطلب قضَاء الحاجات منهم، ونحو ذلك؛ فإنّ هذه الزِّيارةَ لا يستَفيد منها الميِّت، ويتضَرَّرُ بها الحيُّ، فالحيُّ يَتضَرَّرُ؛ لأنّه فعَلَ أمرًا لا يجوز؛ إذ هُو شِركٌ بالله، والميِّت لا ينتفعُ؛ لأنّه لم يَدْعُ له، وإنّما دُعِيَ من دونِ الله، وقَد قال الشّيخُ رَحِمَهُ اللهُ في «منسكِه»: «فأمَّا زيارَتهم لقَصد الدُّعاء عند قبورِهم، أو العكوفِ عندها، أو سؤالهم قضاء الحاجات، أو شفاء المرضىٰ، أو سؤال الله بهم أو بجَاهِهم ونحو ذلك، فهذه زيارةٌ بدعيَّةٌ مُنكَرَةٌ لم يَشرَعْها اللهُ ولا رسوله ولا فَعلَها السَّلفُ الصَّالحُ - رحمهم الله -، بل هي منَ الهُجْرِ الّذي نهىٰ عنه الرَّسول، حيث قال: «**زُورُوا القبُورَ، ولَا تَقولوا هُجْرًا**»[(١)]. وهذه الأمور المذكورة تَجتَمعُ في كونها بدعةً، ولكنّها مُختَلفَةُ المَراتِب، فبَعضُها بدعةٌ وليسَ بشركٍ؛ كدُعاءِ الله سُبحانه عند القبور وسُؤاله بحقّ الميِّتِ وجَاهِه ونحو ذلكَ، وبعضُها منَ الشِّركِ الأكبَر كدُعاءِ المَوتىٰ والاستعانة بهم ونحو ذلكَ»[(٢)].

«**وكانَ ﷺ يُعلّمُ أصحابَه إذا زارُوا القبورَ أن يَقولوا: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدّيَارِ منَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلمين، وإنّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحقونَ، نَسْأل اللهَ لَنَا وَلَكُمُ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٥٢)، والنسائي (٢٠٣٣) عن بريدة رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٣/ ٢٢٦).

(٢) «مجموع فتاويه» (١٦/ ١١٦).

العَافِيَةَ، يَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ منّا وَالمُسْتَأخِرِينَ». وهو في «صحيح مسلم»[(١)]، وهو دعاء من جنس ما يقوله ﷺ عند الصَّلاة علىٰ الميِّتِ؛ منَ الدّعاء والتّرحُّم والاستغفَار.

وأمَّا قراءةُ الفاتحة عند زيارةِ القبور علىٰ روح الموتَىٰ: فهو عملٌ لا أصل له في شَرع الله، بل هو منَ البدع، ومع هذَا تجد منَ النّاسِ مَن يعمَل بهذا الأمر غير المشروع، ويَترُكُ أمرًا مشروعًا فيه نفعٌ له ولمَوتاه.

«أمَّا النِّساءُ؛ فليسَ لهنّ زيارة القبور؛ لأنّ الرَّسولَ ﷺ لعن زائراتِ القبور» ثبت عن النّبيِّ ﷺ أنّه قال: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ القبُورِ**»[(٢)]. وقوله: «زَوَّارَاتِ» ليس للمُبالغة، بل للنِّسبة، أي: ذواتِ زيارة.

«ولأنّهنّ يُخشَىٰ من زيارتِهنّ الفتنةُ، وقلّةُ الصَّبر» لأنّ المرأةَ أضْعَفُ من الرَّجُل، وسريعةُ الجَزَع والتّسخّط.

«وهكذا لا يجوز لهنّ اتّباعُ الجنائزِ إلىٰ المقبرة؛ لأنّ الرَّسولَ ﷺ نهاهُنّ عن ذلك» فعن أمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قالت: «نُهِينَا عَنِ اتّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»[(٣)].

«أمَّا الصَّلاة علىٰ الميِّت في المسجد أو في المُصلّىٰ؛ فهي مشروعة للرِّجال وللنِّساء جميعًا» أي: إذا جاءت المرأةُ المسجدَ، ونُودِيَ للصَّلاةِ علىٰ الميِّت؛ تقومُ وتصلّي، فهذا أمرٌ مشروع للرِّجال والنِّساء علىٰ حدٍّ سواءٍ.

قال الشّيخُ رحمه الله: «أمَّا الصَّلاة علىٰ الميِّت فلم تنْهَ عنها المرأةُ، سواء كانت الصَّلاةُ عليه في المسجد أو في البيت أو في المُصلّىٰ، وكان النِّساءُ يُصلّينَ علىٰ الجنائز في مسجدِه ﷺ، مع النّبيِّ ﷺ وبعدَه»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٤٩)، والترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٧٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

(٤) «مجموع فتاويه» (١٣/ ١٣٤).

ثمَّ ختم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرِّسالةَ النّافعةَ المباركة بقوله:

«هذا آخر ما تيسَّر جمعه، وصلّىٰ اللهُ وسلّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه».

وأسأل اللهَ الكريمَ أن يَجزِيَ الشّيخَ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ خير الجزاء، وأن يُعظِمَ له الأجرَ، وأن يرفع درجتَه في علّيِّين، وأن يغفر له ولجميع علمائنا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وأن يصلح لنا شأننا كلّه، وأن لا يَكِلَنَا إلىٰ أنفسنا طرفةَ عين، وأن يُحسِنَ لنا أجمعين الختام، وأن يُحيِيَنَا مُسلمين، وأن يَتوَفّانا مُؤمنين، غيرَ ضَالّين ولا مُضِلّين، وأن يهدينا أجمعين إليه صراطا مستقيمًا.

سبحانك اللّهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرُكَ وأتوب إليك.

اللّهُمَّ صلّ وسلّمْ علىٰ عبدِك ورسولك نبيِّنَا مُحمَّدٍ وآله وصحبِه.



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

